

السنة الثانية
العدد ١٢

مايو ٢٠٢٣
شوال ١٤٤٤

الأمين العام
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

تدخل عامها الثاني





مجلة أنصار النبي ﷺ

تصدر عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

الهيئة العالمية لنصرة نبي الاسلام

International Organization to support the Prophet of Islam

أهداف الهيئة

تضع الهيئة هدفها الرئيسي على هذا النحو:

«أن يكون جناب النبي ﷺ مصوناً محترماً، وأن تكون الإساءة إليه مجرمة قانوناً في سائر أنحاء العالم» وهو الهدف الكبير الذي يحتاج إلى عمل ضخم ودؤوب على كافة المستويات.

وقبل الوصول إليه لا بد من إنجاز مراحل مهمة في التعريف بالنبي ﷺ، كذلك لا بد من إنجاز مراحل مهمة في حشد الجهود مع المسلمين والعقلاء من غير المسلمين لتجريم الإساءة إلى النبي ﷺ قانونياً في البلدان المختلفة، وهو الأمر الذي يتطلب خبرات متنوعة عالية المستوى.

السياسة العامة لعمل الهيئة

إن قضية نصرة النبي ﷺ قضية كبيرة لا يمكن أن تنهض بها جهة واحدة مهما بلغت من القدرات والإمكانيات، وكذلك فإن «الهيئة العالمية لنصرة النبي ﷺ» اختطّت لنفسها سياسة عامة تقوم على تفعيل الطاقات الإسلامية واستثمارها والتنسيق بينها، بحيث تبلغ المجهودات المبذولة في نصرة النبي ﷺ أقصى نتائج ممكنة.

تضع الهيئة نفسها في موضع التنسيق والتنظيم بين المؤسسات الإسلامية المختلفة لتأدية واجب نصرة النبي ﷺ، فهي تعمل -على سبيل المثال- على استثمار طاقة الجاليات الإسلامية المقيمة في البلاد المختلفة لحصر أهم الشبهات والقضايا المثارة عن النبي ﷺ والتي تحتاج مجهودا علميا وفكريا لتفنيدها، ثم تعمل على حث طاقة المؤسسات العلمية من الجامعات الإسلامية والمعاهد والأكاديميات والروابط العلمائية على معالجة هذه الشبهات، ثم تعمل على تحويل هذا المجهود الفكري والعلمي إلى معالجات فنية متنوعة: مقروءة ومسموعة ومرئية قريبة إلى لغة العصر والمزاج العام السائد لدى الرأي العام المعاصر، وذلك عبر حث الطاقات القائمة في مجال الإعلام والإنتاج الفني لدى المؤسسات الإسلامية على معالجة هذه الأفكار. تستثمر هذه الأطراف جميعها طاقاتها الموجودة فعلاً في تسويق المنتجات النهائية.

وبهذا تتوجه المجهودات والطاقات القائمة نحو هدف نصرة النبي ﷺ بطريقة فعالة ومنسقة، حيث تؤدي كل جهة دورها الذي تحسنه.

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾

تصدر عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

محتويات العدد

الأمين العام للهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي

@ ansarunaby@gmail.com

أئمة الهدى

«من تراث علمائنا الراحلين»

الصادعون بالحق

«من تراث العلماء والدعاة الأسرى»

ترحب مجلة « أنصار النبي ﷺ » بمشاركات السادة القراء الكرام على هذا النحو:

١ كتابة المقال، وأن يكون مقالاً لا تنقصه الرصانة العلمية ولا العاطفة الدعوية، على ألا يتجاوز في أقصى الأحوال ١٥٠٠ كلمة، مذيلاً بالاسم الحقيقي لصاحبه.. ويتعلق بموضوع المجلة عن التعريف بالنبي ﷺ وشمائله وفضائله وأخلاقه ورحمته بأمته والتذكير بحقه وواجبات الأمة نحوه، والدفاع عن سنته ومحبة آل بيته وصحابته، ورد الشبهات عنه.

٢ ترشيح مادة كتبها عالم من العلماء الراحلين، أو من المؤسسات الإسلامية العريقة كالأزهر في مصر وهيئة كبار العلماء في الجزيرة وندوة العلماء في الهند تتعلق بموضوعات المجلة.. مع التوثيق الدقيق لهذه المادة: في أي كتاب أو مجلة نشرت بالصفحة وتاريخ الطبعة، أو رابط المادة على الانترنت.

٣ أو ترشيح مادة كتبها أحد العلماء والدعاة الأسرى فيما يتعلق بموضوع المجلة، مع التوثيق الدقيق لمصدرها.

- تفريغ مادة صوتية لأحد العلماء -الراحلين أو الأسرى- مع توثيق مصدرها.

- ولا نستغني أبداً عن مجهود القراء ومساعدتهم في نشر المجلة أو في ترجمتها إلى لغات أخرى أو في طباعتها وتوزيعها في بلدانهم، فحقوق الطبع والتوزيع محفوظة لكل مسلم.

ترسل المشاركات على البريد الإلكتروني التالي : ansarunaby@gmail.com



الافتتاحية..

عام مع أنصار النبي ﷺ



د. محمد الصغير

الأمين العام للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

اتخذت المؤسسات الدعوية والتعليمية في مصر -مثالاً- لنفسها مبكراً أذرعاً صحفية، وعمدوا لإيصال رسالتهم من خلال كتابة المقالات، والتدوين في الصحف والمجلات، وكنا ننتظر مطلع الشهر العربي بفارغ الصبر، لنطالع مجلة الأزهر الشريف، وما يصدر معها من كتيبات نافعة، حيث صدر العدد الأول منها عام ١٣٤٩هـ الموافق ١٩٣١م.

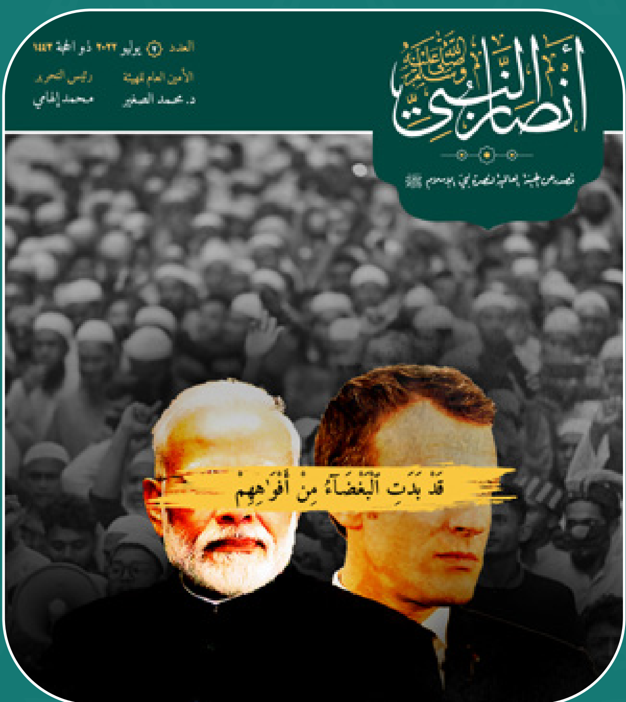
وكذلك أصدرت جماعة أنصار السنة المحمدية مجلة التوحيد، على يد مؤسسها الشيخ محمد حامد الفقي سنة ١٣٥٦هـ الموافق ١٩٣٧م، كما أنشأ الشيخ أحمد عيسى عاشور مجلة الاعتصام، لتكون اللسان المعبر عن الجمعية الشرعية، وظلت المجلة تصدر شهرية منذ ١٥ يوليو/تموز ١٩٣٨حتى أوقفت في سبتمبر/أيلول ١٩٨١ ثم عادت للظهور ١٩٨٥، ثم أخرجت الجمعية الشرعية مجلتها باسم التبيان.



وعلى صعيد الأفراد وجدت أن أئمة الإصلاح ورموز التجديد، كان لهم اهتمامهم الخاص بإنشاء الصحف والمجلات، وتطويع الصحافة لمشاريعهم، فقد رأينا الإمام حسن البنا بعد تأسيس جماعة الإخوان، أسس معهم جريدة الإخوان المسلمين، ثم أسسوا بعده عدة مجلات أخرى، وأكثر ما اشتهر به العلامة السيد محمد رشيد رضا هو تأسيس مجلة المنار، التي أصبحت منارة للعلم والدعوة في أقطار العالم الإسلامي كله، والأعجب من هذا أن القاضي المحدث أحمد محمد شاكر مع اشتغاله بالقضاء والتعليم والتأليف والتحقيق والتحديث، جمع إلى جوار ذلك الإشراف على تحرير مجلة الهدي النبوي سنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م وكان يكتب بها مقالًا ثابتًا بعنوان: «اصدع بما تؤمر»، وقد جمعت بعض هذه المقالات ونشرت في كتاب بعنوان « كلمة الحق»، طبعته دار الكتب السلفية.



وعلى صعيد الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ اقترح د. محمد إلهامي بعد التأسيس، أن تُصدر الهيئة مجلة لأنصار النبي ﷺ، وكانت له تجربة سابقة في إصدار مجلة كلمة حق إلكترونياً، وجاء في عرضه أن العالم يتجه إلى النشر عبر الفضاء الإلكتروني، بعيداً عن نفقات النشر الورقي وقيوده، ولفت نظري جانب عبقري أثناء العرض، أن المجلة ستكون في موضوع واحد، يكتب تحته العلماء المعاصرون، ويُنتقى له من تراث العلماء الراحلين لاسيما من رحلوا قريباً، لقرب العهد بهم وقرب عباراتهم من القارئ، ثم تجلى العبقرية في القسم الثالث من خلال انتقاء ما كُتب في الموضوع بأقلام العلماء الأسرى والدعاة المعتقلين، نشراً لسيرتهم وتذكيراً بمسيرتهم، وفي كل عدد من الأعداد الماضية تشعر وكأن هؤلاء الأسرى كتبوا هذا خصيصاً لمجلة أنصار النبي ﷺ وأغرب ما جاء في ذلك، كان في العدد الذي صدر إبان الإساءات الهندية للنبي ﷺ، فقد خصص العددُ مقالات العلماء الراحلين لتكون مقالات للراحلين من علماء الهند، فكانت إشراقة جليلة ومقالات في الصميم!



وكان الاتفاق أن تصدر مجلة أنصار النبي ﷺ إلكترونياً، لكن بركة النسبة وشرف الموضوع، يسّرا أن يُطبع من أعدادها بضع آلاف حتى الآن، ومع دخول شهر رمضان ١٤٤٤هـ واكتمال العام الأول على

إصدار المجلة، توفر لها من آل البيت النبوي مَن تكفل بطباعة كامل أعدادها، بحيث تكون كل ثلاثة أعداد في مجلد واحد، لتبقى مرجعاً علمياً، وأثراً باقياً بين أيدي العلماء وطلاب العلم.



وإذ نبارك لأسرة تحرير مجلة أنصار النبي ﷺ على هذا الإنجاز، فإننا نأمل أن يكون لها خطة أكثر انتشاراً بين شباب الدعاة وطلبة العلم، لأن الشباب أغلبية في الأمة، فأمتنا شابة، وهم قادرون على الحفاظ على شبابها واسترداد عافيتها، وألا يكون تحقيق المأمول والهدف من خلال خروج المجلدات المطبوعة، إلا دافعاً وحافزاً لتحقيق الأهداف من النسخة الإلكترونية، صاحبة الكلفة الأقل، والانتشار الأكبر.

وختاماً أوجه رسالتي لأصحاب الفضيلة من العلماء والكُتّاب، فإني وجدت أكبر ما يُهدى لأسرة التحرير، وأعظم ما يُقدم إليهم، هي الكتابات والمشاركات التي تعينهم على استكمال الطريق، وتحقيق الأهداف، فلا تتأخروا عليهم، شرفنا الله جميعاً بنصرة رسول الله ﷺ، فإنْ فاتنا شرف الصحبة فلا يفوتنا شرف النصرة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أكاديمية أنصار النبي

SUPPORTERS OF PROPHET ACADEMY

أكاديمية أنصار النبي

أكاديمية علمية ودعوية عالمية، منبثقة عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام، تعتمد التقنيات والأساليب الحديثة في التعليم، تنظم وتقدم برامج ودورات علمية، ودبلومات شرعية وفنية ومهارية في مختلف مجالات النصرة النبوية، وتقوم على تخريج وتأهيل متخصصين في فقه نصرة النبي صلى الله عليه وسلم علميا وعمليا، وتعمل على تمكين الشباب المسلم من المشاركة الواعية الفعالة في مجالات النصرة المتعددة.

الشيخ د. محمد الصغير
الأمين العام للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام

+90 536 491 13 74
@ansaracademy_

الشيخ د. عبد الحي يوسف
عميد أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

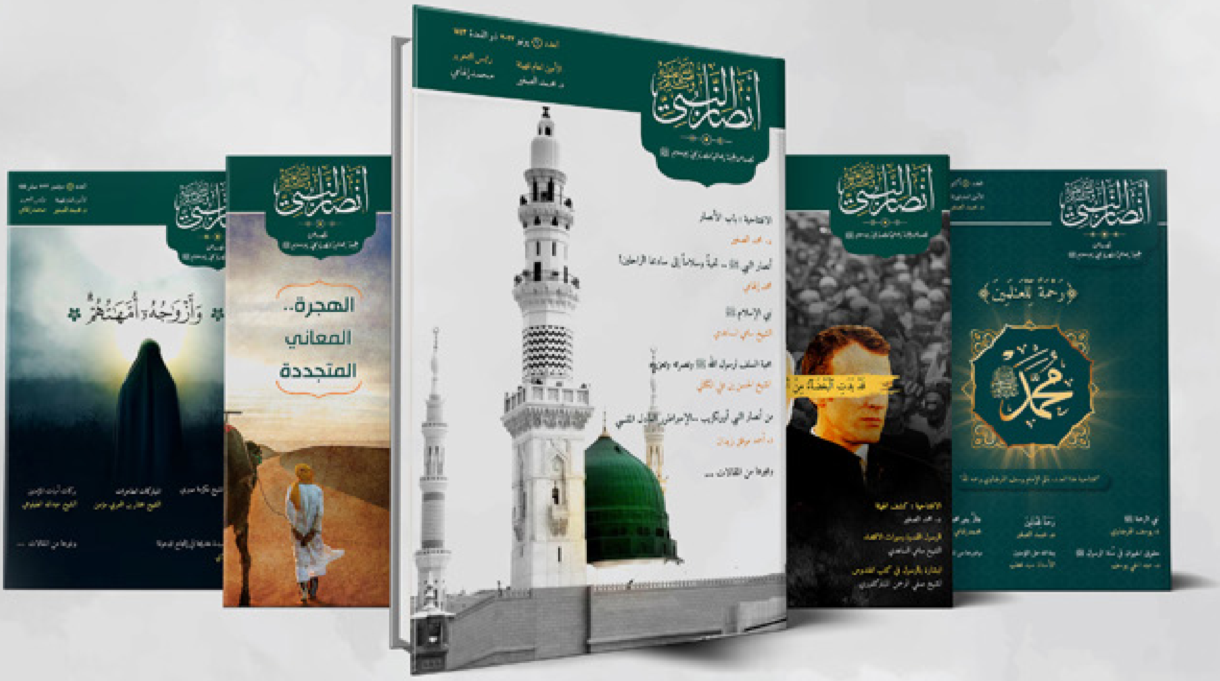


أنصار النبي ﷺ في عامها الأول



محمد إلهامي (رئيس التحرير)

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ



يمكن اختزال مشكلة المسلمين، ومشكلة البشرية كلها، في أنهم لا يتخذون محمداً ﷺ إمامًا!

ترى لماذا لا يفعلون ذلك؟

١

دون ذلك عوائق متينة:

أولها: الجهل بالنبي ورسالته، فمع كثرة المسلمين إلا أن أقلهم أولئك الذين يستطيعون البيان والشرح لفكرة أن النبي ﷺ هو منقذ الإنسانية، وأن رسالته احتوت على أسباب السعادة ونشر العدالة. ولقد يكون الإنسان تائهاً والخريطة في يده لكنه لا يحسن قراءتها ولا يعرف فائدتها، وقد ضرب شاعرنا القديم مثلاً على ذلك فقال:

ومن العجائب، والعجائب جمة •• قربُ الدواء، وما إليه وصول

كالعيس في البيداء يقتلها الظما •• والماء فوق ظهورها محمول

أي: كالإبل في الصحراء يكاد العطش يقتلها، ولا تعرف أنها تحمل الماء فوق ظهرها.

وأشدُّ من ذلك ما ضربه الله من المثل في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]، فالحمار مهما حمل من الكتب لا ينتفع بذلك، بل لو أنزلت الكتب من فوق ظهره ونُشرت أمام عينه لما انتفع بذلك، إذ هو يجهل قراءتها وفهم معانيها!



وثانيها: ما تنطوي عليه النفوس من الشهوة والأَثَرَة، فكم في الناس من يعرف الحق ثم تغلبه شهوته وأثرته؟! فينصرف عن الحق إلى الباطل، وعن العدل إلى الظلم، وعن الخير إلى الشر. فإذا هو واصل السير في هذا الطريق فإنه يصير من أئمة الباطل، فيكون بذلك عدواً للحق وحامليه، وعدواً للمصلحين ودعوتهم، بل عدواً للأنبياء والرسل ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].. ويبلغ أولئك الحدَّ الذي قال الله فيه ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

وثالثها: ما بلغتْه الأمة في زماننا هذا من حال ضعف مُزرية، جعلها مقهورة تحت عدوها الذي يغمرها بأفكاره ويُلزمها بنظامه ويشكك أبناءها في دينهم، فلستَ ترى منفذاً من منافذ التعليم والإعلام والثقافة إلا وهو يُفسد في المسلمين أكثر مما يصلح، ويبعدهم عن دينهم ونبيهم أكثر مما يقربهم إليه، فصارت العقول والقلوب منغمسة في بحر من الشهوات والشبهات، حتى صار من الغريب المستغرب أن يَقنع المسلم بأن نبيه ﷺ هو منقذ الإنسانية، وأن ما جاء به هو الدواء الشافي والجواب الكافي!

تأمل في هذه الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٤، ٦٥].

وفي حالة نبينا محمد ﷺ تبدو المسألة أوضح وأعظم، إن رجلاً ظهر في التاريخ فجأة فنقل أمة العرب من التمزق والفرقة والحروب، في سنوات معدودة، إلى الوحدة والسيادة لهو رجلٌ جديرٌ بالوقوف طويلاً أمام قصته وسيرته، وجديرٌ بأن يتعلم منه كل مَن تفكّر في سبيل النهضة!



هكذا ينبغي أن يفكر في الأمر العلماني المادي الملحد الذي لا يبتغي من الحياة إلا النهضة المادية وحدها لنفسه ولقومه، فإن تاريخ محمد ﷺ هو أنجح تجربة على الإطلاق لانبعاث أمة وانبثاق حضارة، يشهد بذلك مؤرخون غير مسلمين قبل أن يشهد له المسلمون.

فكيف، ومحمد ﷺ فوق ذلك وقبله وبعده نبيٌّ يجب على من آمن به أن يتبعه وأن يطيعه؟! وأن ينصت لقوله ويقتدي بفعله ويستسلم لحكمه؟! فإن هذا الذي آمن بالنبي لا يقتصر همُّه على الدنيا وتحقيق النهضة فيها، بل يمتد همُّه إلى مصيره الكبير في الآخرة: الجنة أو النار!

كيف نستطيع أن نرفع حواجز الجهل التي تحول بين المسلمين وبين أن يؤمنوا -عن قناعة راسخة وفَهم مطمئن- أن اتباع النبي هو السبيل الوحيد لإنقاذ البشرية؟ إنقاذها في الدنيا ثم في الآخرة أيضاً؟! ذلك والله هو التحدي!



إنه ما من عاقل يستهين أو يستخف قولَ العالِم المتخصص في علمه، فإذا فاجأك الخبير برأي مُستغرب فإن ما عنده من العلم والخبرة يحملك على التوقف والتفكر في كلامه وتأمله! فكيف إن كان الذي تحدث عن طاعته والتسليم له نبي رسول، موصول بالسماء، جاء بالعلم الذي ينطق به وحياً صافياً نازلاً من عند الله؟! ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠]

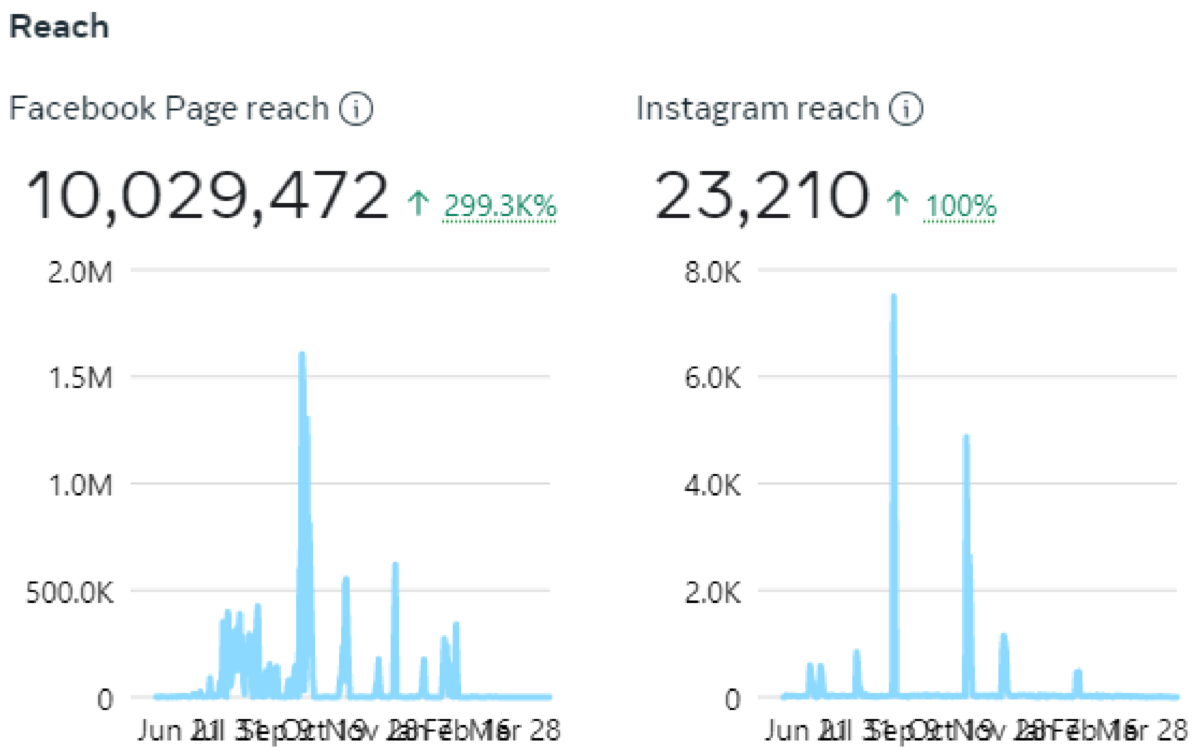
يبدو الأمر سهلاً ومنطقياً وواضحاً، ولكن بيننا وبين فهمه وتطبيقه تلك الحواجز العتيدة!

كان أبسط ما واجهناه في هذا العالم الأول من «مجلة أنصار النبي» هو سياسات مواقع التواصل الاجتماعي، لا سيما الـ(فيسبوك)، إنه مصمم لنشر التفاهة والانحلال، فهو يزيد من الوصول إليها ومن

التفاعل عليها، وأما المحتوى الجاد النافع فإنه مُصَمَّمٌ لدفنه وإخماده. وما هذا بالمستغرب! فإنه ابن الحضارة الغربية المادية المنحلة أخلاقياً التي تسعى سعياً محموماً وراء الشهوة واللذة!

ومع ذلك، فيجب القول أيضاً بأن هذه المواقع لا تزال مفتوحة، ويمكن النشر عليها، فإن تلك الحضارة المادية الغربية ذاتها قد سيطرت على العالم المادي سيطرةً لا يمكن معها نشر هذه المجلة في عالم الواقع ولا تيسير وصولها إلى الجمهور، فمواقع التواصل -إذن- على كل ما فيها، هي المتنفس الصغير الباقي، في عالم يزداد حصاراً وإحكاماً على مَن يقولون: اتبعوا محمداً ﷺ!

ترى.. هل هو نجاحٌ أم إخفاقٌ أن نقول، بعد مرور عام من صدور هذه المجلة، إننا استطعنا الوصول إلى ثلاثة عشر مليون شخص على الأقل؟!

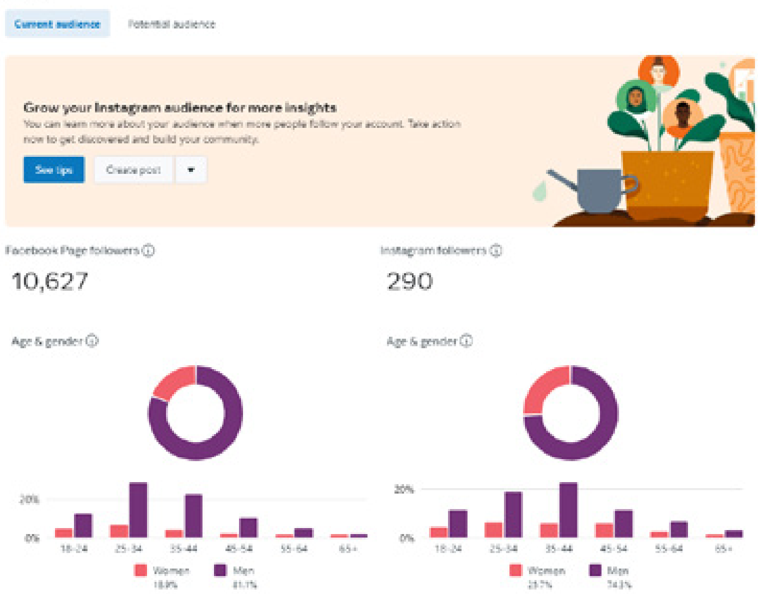


فيسبوك



تويتر خلال ثلاثة أشهر

مَن نظر مِن باب الحصار المحكم والإمكـانيـات المحدودة وسيادة التفاهة رآه نجاحا وعدَّه في سجل المناقب، ولكن من نظر من باب حجم المشكلة التي يحياها العالم والمسلمون رآه إخفاقاً! فماذا يفعل مجرد الوصول إلى هذا العدد في مقاومة هذه العوائق الثلاث المتينة؟!



انستجرام و فيسبوك

٢

وماذا على أتباع الأنبياء أن يفعلوا إلا ما فعله الأنبياء؟!

لا أتذكر متى انتبهتُ أول مرة إلى هذا المعنى: لقد نزل قول الله تعالى لعباده المؤمنين: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] في أخطر لحظة مرَّت على الدولة الإسلامية، في غزوة الأحزاب، حين كانت عاصمة الإسلام مهددة بالاجتياح، وكانت المعركة معركة وجود! كانت لحظة مهولة

مرعبة، وصفها الله تعالى بقوله: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١].

في هذا الهول الهائل والرعب الرعيب نزل قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾!



وبعدها مباشرة جاءت الآية التالية تقول: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، فكأن هذا الذي تعلق برسول الله ﷺ واتخذه أسوة حسنة، يتنزل عليه الأمن والسكينة والاطمئنان، حتى إنه ليصل إلى أن يرى العدو، فلا يشعر بالفزع والخطر بل يشعر بصدق الوعد وبرد اليقين وزيادة الإيمان والتسليم!

وفي هذا يقول القاسمي في تفسيره: «إذ لا يصح الجبن لمن صح اقتداؤه برسول الله ﷺ لغاية قبحه"!

ويقول الشهيد سيد قطب: « كان رسول الله ﷺ على الرغم من الهول المرعب والضيق المجهد، مثابة الأمان للمسلمين، ومصدر الثقة والرجاء والاطمئنان. وإن دراسة موقفه ﷺ في هذا الحادث الضخم لمما يرسم لقادة الجماعات والحركات طريقهم؛ وفيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر".

هكذا إذن.. خير ما تحصل فيه الأسوة الحسنة بالنبي ﷺ هو وقت المحنة والشدة، وقت الخوف والكريهة، وقت الزلزلة الكبيرة!

إن تعلقنا بالنبي ﷺ هو فوق تعلق الضال التائه بمن يهديه في الطريق المخوفة! وهو فوق تعلق الضعيف الخائف بالقوي الذي يحميه ويسعفه! وهو فوق تعلق الابن العاجز بأبيه وأمه اللذين يرحمانه ويرعيانه ويخلصان له النصيحة! وهو فوق تعلق التلميذ الجاهل بالمعلم الخبير الذي يعلمه ويفهمه! وهو فوق تعلق الحائر المضطرب بالمربي الشفوق الذي يهذبه ويؤدبه! وهو فوق تعلق الكسول الخجول برائده الذي يأخذ بيده ويرفع همته! وهو فوق تعلق الجندي المحدود الرؤية والمهمة بقائده الذي يستشرف ساحة الحرب ويأخذ القرار.. هو فوق كل ذلك، لأنه كل ذلك معًا!

﴿رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]

﴿رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]



﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]

﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]

٣

بقي في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الوافر للسادة الأفاضل الأماثل أصحاب السماحة والفضيلة من علماء الهيئة العالمية لنصرة النبي ﷺ، وعلى رأسهم فضيلة الشيخ المؤسس الدكتور محمد الصغير، وهو -بعد الله جل وعلا- صاحب الفضل الأول على المجلة بما أولاها من رعايته وعنايته واهتمامه، ثم أعضاء الأمانة العامة للهيئة، وأعضاء مجلس أمناء الهيئة، والسادة العلماء والأساتذة والباحثين الذين أثروا صفحات هذه المجلة بمقالاتهم الزاهرة الناضرة فاستحالت بهم صفحات المجلة حديقة غناء ذات ثمر شهي يشبع الآكلين ويروي الظامئين!



وأخص بالذكر منهم علماءنا الأسرى -الذين نسأل الله تعالى لهم الفرج القريب العاجل- وأن نتشرف بمقالاتهم التي يكتبونها أحراراً، من بعد ما تشرفنا بنشر نتاجهم قبل أَسْرِهم.

ثم الشكر للعلماء الأكارم الذين كتبوا لنا في مناسبة إتمام العام هذه العبارات الغالية الرائقة التي تجدونها مبثوثة في هذا العدد، وعلى رأسهم فضيلة العلامة الكبير الشيخ محمد الحسن ولد الددو، وفضيلة الشيخ الحبيب القريب السهل اللين البشوش الدكتور عبدالحي يوسف رئيس أكاديمية أنصار النبي ﷺ، وغيرهم من مشايخنا المكرمين.

ثم الشكر لفريق عمل المجلة في الإعداد والتحرير والتصميم الفني، فبمجهودهم خرجت المجلة حديقة ذات بهجة تسر الناظرين والقارئين.

ثم الشكر لإخواني من السادة العلماء ومن غيرهم من الإعلاميين والفنيين الذين تعاهدونا بالملاحظات ومقترحات التطوير والتحسين، ثم لسائر القراء الأفاضل الذين تفضلوا علينا بالقراءة والمتابعة، وخصوصاً لمن تفضل منهم بالنشر والترويج وساعدنا في الوصول إلى غيرهم من القراء، وبعضهم ساعدنا في ترجمة بعض المواد المنشورة في المجلة إلى اللغات الأجنبية.. وكنا في كل حين نكتشف أن المجلة وصلت إلى حيث لا نعرف، وبعض مَن لا نعرف قد نشرها أو ترجم منها إلى لغات، ومنها لغات إفريقية محلية في بلاد نائية!

والمجلة تفتح أبوابها للتعاون مع سائر المحبين والمخلصين من أنصار النبي ﷺ، فمن أراد الكتابة تشرفنا بالنشر له، ومن أراد أن يختار لنا من تراث أئمتنا الراحلين أو علمائنا الأسرى نشرنا ما يقترح مع الإشارة إليه، ومن أراد أن يساعدنا في النشر والترجمة كنا له من الشاكرين، ومن استطاع أن يأخذ بأيدينا إلى وسائل الإعلام أو يأخذ بأيديها إلينا كان له أجر الدلالة على الخير إن شاء الله، وكل امرئ أدرى بما يستطيع أن يفعل من وجوه الخير والدعم، وفي كلٍّ خير.

أسأل الله جميعاً أن يكتب لكل أولئك الأجر الجزيل والثواب الوافر. وأن يجمعنا دائماً على طاعته وفي نصرة نبيه، وأن يتوفانا على ذلك حتى يجمعنا مرة أخرى في ظل عرشه وعند حوض نبيه ﷺ، فنُسقى من يده الشريفة شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبداً.



قالوا عن أنصار النبي ﷺ

العلامة: محمد الحسن ولد الددو

إخواني القراء الأعزاء هاهي مجلتكم الغراء.. مجلة أنصار النبي ﷺ تتم عامها الأول، وقد حوت نفعاً كثيراً وعلماً جماً ومقالات متنوعة؛ فكانت مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ فهنيئاً لكم بها وهنيئاً لها بكم.

د. عبدالحي يوسف

جاءت مجلة أنصار النبي ﷺ المباركة في وقتها المناسب، جامعةً لما تفرق في ثنايا الكتب وعصارة عقول الرجال، محدثةً بدعة حسنة في إحياء ما درَس من آثار الأولين، وكتابات الأسرى المظلومين من العلماء العاملين، وكذلك ما جادت به قرائح المعاصرين؛ فجزى الله القائمين عليها خيراً، وبارك جهودهم.

الشيخ أبو الخير شكري

بتوفيق من الله عز وجل وبخطى واثقه تبدأ مجلة أنصار النبي ﷺ عامها الثاني في خدمة دينها ونصرة نبيها ﷺ، متوكلة على الله وحده، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

د. برهان سعيد

هذه المجلة مضى من عمرها عام كامل، وقد أضحت سفراً من سفور العلم، تناقش جانباً مهماً من جوانب العقيدة وهو حماية جناب النبي ﷺ. سخر الله لها علماء الأمة، الأحياء والموتى بل وحتى الأسرى، كتابات علمية محكمة، وبحوث دقيقة مختصرة، يعيش فيها القارئ بين المتعة والفائدة، الذَيْن يزيدان حب الرسول الكريم ﷺ في القلب. اللهم اجزِ القائمين عليها خيراً.

د. أحمد هليل

لقد قامت مجلة أنصار النبي ﷺ بعمل ضخم هائل خلال عام، ليس فقط في الدفاع عن النبي ﷺ بل أيضاً في التعريف به ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم جميعاً، فإن شعارنا: لو عرفوه لأحبوه! وفق الله القائمين عليها وفتح لهم فتوح العارفين وألهمهم التوفيق.

د. الحسن بن علي الكتاني

مجلة أنصار النبي ﷺ ذلك المولود الناتج من رحم الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام، صوت صادح بالحق، ومنبر إسلامي متميز بذل فيه أخونا الحبيب المهندس المؤرخ محمد إلهامي جهداً واضحاً، حتى خرج في أبهى حلة شكلاً ومضموناً. وأسأل الله أن يبارك فيه ويثمر غرسه.

د. صفاء الضوي العدوي

إن من أعظم نصرته ﷺ بذل الوسع في نشر سنته وهديه في العالمين. وإن من أحسن المنابر القائمة بنصرة النبي ﷺ هي مجلة أنصار النبي ﷺ، التي استكتبت أحسن الكتّاب المعاصرين، ولم تنسَ أن تذكر ما دبجه يراع علماء ومفكرين سابقين؛ فجزى الله القائمين عليها خيراً كثيراً.

د. عبد الله السادة

بلغت مجلة أنصار النبي ﷺ ولله الحمد عامها الأول وهي تدافع عن النبي ﷺ في كل محفل، وتعرف المسلمين بنبيهم ﷺ وحقه على أمته، وتنشر سيرته وآدابه وأحاديثه وأقواله، لكي يستنّ بها أهل الإسلام. إن أبناء المسلمين اليوم في غربة، لذلك تعزز هذه المجلة وتوثق صلة هذا الجيل الجديد بنبيهم ﷺ، فنشكر الله سبحانه وتعالى على هذا الأمر، والشكر موصول للقائمين على هذه المجلة المباركة، ونسأله سبحانه وتعالى أن يوفقهم.

الشيخ: مختار بن العربي مؤمن

بسم الله انطلقت، وبحمد الله انتشر أريجها في الآفاق، هل تعلمون من هي؟ إنها مجلة أنصار النبي ﷺ، التي قامت على العهد الوثيق والإيمان العميق والتخطيط الدقيق، في سبيل نصرة النبي ﷺ وشرعه الزاهر، والدفاع عن عرضه الطاهر، قامت على سواعد جنود آثروا أن يفدوا نبيهم ﷺ بكل ما يستطيعون فعله أو قوله؛ ليكون واقعاً يصدق محبتهم وولاءهم لنبيهم، فها هي تكمل عامها الأول لتنتقل بخطى ثابتة بإذن الله تعالى إلى المستقبل المشرق، لتنير درب التائهين عن محبة الحبيب ﷺ وشرعه القويم، ولتأخذ بأيدي المحبين المخلصين إلى معالي النصرة الحقة، والاقتداء الصحيح، فهلموا شباب الإسلام وفتياته وشيوخه وصغاره، لنتمثل الأسوة في حياتنا كلها. والله الموفق

الشيخ: محمد طوران

سيدي يا رسول الله:

المجد بيومك مولده .. والفتح بك امتدت يده

أحوال الخلق إذا اضطربت .. فالموقف أنت محمده

أما بعد، فإن مؤسسة إددف (إتحاد الجمعيات التي تقدر البشرية) تبارك لمجلة أنصار النبي ﷺ إتمام عامها الأول. وتشكر القائمين عليها على ما يبذلونه من جهود جبارة في سبيل نصرة النبي الأعظم ﷺ. ونقول إن دمائنا وأموالنا وأولادنا فداء لك يا سيدي يا رسول الله.

د. جاسم بن محمد الجابر

أنصار النبي ﷺ مجلة مباركة آتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗا. نسأل الله أن يديم نفعها على العالمين.

د. محمد العراقي

بارك الله بكم وبجهودكم والحمد لله أن جمع هذه القلوب على غاية من أنبل الغايات ومكرمة من أجل المكرمات. عام من النصرة، يعني عاماً من قيامكم نيابة عن الأمة كلها بواجب الدفاع عن نبينا الكريم ﷺ والدفاع عن صحابته وأهل بيته، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

د. حاتم عبدالعظيم

مجلة أنصار النبي ﷺ نقطة في بحر فضائله الكريمة وشمائله الشريفة، وشاهد محبة و برهان مودة لمقامه الشريف، وتعريف بشيء من سيرته وسنته التي لا تزال على تطاول القرون جديدة بيضاء كأنها بنت زماننا وكأنه يعيش بيننا، فتحية ومودة للقائمين عليها ولقرائها أجمعين.

د. أنس عيروط

نبارك ونهنئ لمجلة أنصار النبي ﷺ إتمامها عامها الأول في مسيرتها المباركة، جعلها الله منارة للأجيال، ونسأله عز وجل لها التوفيق والسداد، والعمر المديد، والنجاح القريب.

د. رجب زكي

عام من نصرة النبي.. لعمري إنه لفخار ما بعده فخار أن تكون من أنصار النبي ﷺ ، أن تكون مثل سعد بن عبادة أو أسعد بن زرارة أو أبي أيوب الأنصاري أو حسان بن ثابت. ذلك الإعلامي -في ذاك الزمان- والذي دافع ونافح عن النبي ﷺ بشعره، وإذا انتهى زمان حسان فهذا زمان أنصار النبي ﷺ تلك المجلة الفتية، والله أسأل أن يبارك جهودها وأن تكون في حديث النبي ﷺ لسيدنا حسان: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت (دافعت) عن رسول الله»».

أ. د. وصفي عاشور أبو زيد

مثلت مجلة أنصار النبي ﷺ منبراً متميزاً خلال عام مضى للدفاع عن النبي ﷺ: تعريفاً بسيرته، وعرضاً لمسيرته وآل بيته الكرام، ورداً للشبهات عنه. كما كانت منبراً حضرت فيه الأصوات الأسيرة من وراء القضبان بعلمها وفكرها الواجب نشره، ولم تنسَ العلماء الأثبات ممن سبقونا إلى الدار الآخرة بما منّ الله عليهم من علم نافع وعمل صالح. كل هذا جعل من هذه المجلة المباركة -ببركة موضوعها- زاداً مهماً ووجبة ثرية لا يستغني عنها مسلم معاصر.

أ. د. عبد الفتاح العويسي

لا شك أن صدور مجلة أنصار النبي ﷺ قبل عام، قد سد فراغاً معرفياً كبيراً، وفتح باباً جديداً في نصرة الحبيب محمد ﷺ، كانت الأمة المسلمة بحاجة إليه في زماننا الحالي. فكل الشكر والتقدير والمودة لأخي الحبيب/ محمد إلهامي -رئيس تحرير المجلة- وفريق عمله، على جهودهم المثابرة والمميزة، ولا سيما في خاتيار موضوعات محورية في نصرة النبي ﷺ لكل عدد من أعداد المجلة.

د. حسن سلمان

من أعظم ما يتقرب به إلى الله تعالى حماية الجناب النبوي الشريف والدفاع عنه وبيان شمائله ومعجزاته وترسيخ محبته والدلالة عليه، في مواجهة موجات الكراهية والتشويه لدينه وشخصه والسخرية منه في وسائل الإعلام الغربية، وقد تصدت مجلة أنصار النبي ﷺ لهذه المهمة العظيمة، والتي هي جهاد واحتساب في سبيل الله وسد ثغرة عظيمة في جدار هذا الدين الخاتم الذي تحتاجه البشرية أشد من حاجتها للطعام والشراب، وقد قدمت المجلة خلال عامها الأول العديد من المقالات والموضوعات دفاعاً عن رسول الله ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين، وترسيخاً لمحبته في قلوب المسلمين بعلم وبصيرة، وبياناً لحقيقة رسالته للناس كافة، والمجلة إذ تكمل عامها الأول وتلج بقوة لعامها الثاني فهي بحاجة ماسة لأقلام الكتّاب والباحثين والدعاة والعلماء، كما هي بحاجة لدعم الموسرين من أهل المال إسهاماً في هذا الخير العظيم والجهاد الكبير؛ فما أعظم أن تكون مُسهماً في الدفاع عن رسول الله ﷺ ونشر دينه وبيان دعوته بين العالمين.

د. بسام صهيوني

جمعت الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ في نصرة النبي الأكرم صلوات ربي وسلامه عليه بين القول والموقف والكلمة، فزرعت نبتة طيبة أنصار النبي ﷺ أصلها ثابت، مروي بمحبة نبي الإسلام ﷺ وتعظيمه وتوقيره، وفرعها اتباع سنته وهديه ودله، تؤتي أكلها كل شهر من يراع قلم محبي سيد الخلق ﷺ علماء الأمة ومنارات هداها.

الشيخ: شكري مجولي

مجلة أنصار النبي ﷺ نبتة طيبة في حقل المعرفة، وقناديل تملأ القلوب والعقول بمشارق أنوار محبته ﷺ.

أ. لمى خاطر

تمّ مجلة أنصار النبي ﷺ عامها الأول، وقد امتدت وترسّخت إضاءاتها الثرية حول روح النبوة ومعناها وأثرها المتفاعل في الحياة، ومفاهيم حسن الأسوة ودوام الحضور لسيرة رسولنا ﷺ، وإحيائها في واقعنا، وتمتين إحساس المسلمين بواجب نصرة نبيهم والذود عنه والبقاء على عهد التزام خطاه.

الشيخ: حسين عبد العال

رفيعة الشرف في مكانتها، من شرف من انتسبت إليه، متفردة في موضوعها، فلم يسبقها إليه أحد، متنوعة في موضوعاتها، وهذا سر من أسرار جمالها، عالمية في كُتَّابها، وهذا يضاعف قوتها، متجددة في فحواها، لمواكبة أحوال أمتها، قوية في نصرتها، وهذا مما يغيظ عدوها، مزدهرة متلألأة، لإتمامها أول أعوامها. إنها مجلة أنصار النبي ﷺ .. نبارك لها، وللقائمين عليها، ونسأل الله دوام نفعها.

د. سعد الدين حسنين

الحمد لله على فضل الله تعالى أن جعل لنا مجلة أنصار النبي ﷺ، والتي لا تميز بين عالم وآخر، وتجمع بين المتقدمين والمتأخرين، وتهتم بالمصدرية وتوثيق المعلومات، وتدعو إلى الوحدة وجمع الكلمة للدفاع عن نبي الرحمة ﷺ، فهنيئاً لنا جميعاً بلوغها عاماً، وإلى الإمام ومزيد من النجاح، والشكر موصول للقائمين عليها من صف حروف وإخراج متميز ومعلومة موثقة.

الشيخ: أحمد الحسني الشنقيطي

مجلة أنصار النبي ﷺ لسانُ صدق في الآخرين، وسِفر خُلود لمفاخر سيد المرسلين، استعمل الله في تدوينه ثلةً من العلماء المعاصرين، فهنيئا لمجلة أنصار النبي بذكرى انطلاقتها، ولمدير تحريرها سعادة المهندس محمد إلهامي، ولفضيلة الدكتور محمد الصغير صاحب السبق في نصرته ﷺ.

د. مشاري سعيد المطرفي

بمناسبة مرور عام على إصدار مجلة أنصار النبي ﷺ فإني أتقدم بالشكر والتقدير للقائمين على المجلة، وعلى رأسهم فضيلة الأمين العام للهيئة الدكتور محمد الصغير، ورئيس تحرير المجلة الأستاذ محمد إلهامي، ونسأل الله أن يبارك في جهودهم وفي جهود جميع العلماء والدعاة الذين أسهموا في كتابة البحوث والمقالات في التعريف والدفاع عن نبينا الكريم، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الشيخ: رجب صونكول

مجلة إسلامية أصيلة، تخاطب الناس بروح النبوة، وبروحانية الرسول ﷺ، وهي حقاً بمثابة المنظار تنظر من خلالها إلى عالمنا الحاضر، وتقدم المعاني الطيبة، وتداوى الأمراض المعنوية والمزمنة التي حلت بأمتنا الإسلامية. ويجب على كل من يقدم حلولاً أو يكتب مقالاً أن يكون على قدر المسؤولية، وينتبه إلى أنه يوقّع عن الرسول ﷺ، متحلياً في ذلك بالأخلاق النبوية. نريد من مجلة أنصار النبي ﷺ أن تكون شجرة مباركة أصلها، ونشكر كل من أسهم في إنجازها لتكمل عامها الأول، وجزى الله كل من سطر كلمة، أو خطى خطوة في سبيل إبراز محبة الرسول ﷺ. اللهم اجعل الكلمات التي يُسطرها الكُتّاب بمدادهم في حق رسول ﷺ من أسباب شفاعته، ووسيلة إلى رفقته.

الشيخ: عبدالله بن طاهر

نبارك لإخواننا القائمين على مجلة أنصار النبي ﷺ مـرور عام على جهدهم وجهادهم في تقديم عمل إعلامي، يبصر الناس من خلاله عظمة سيدنا محمد (رمز).

أقوال القراء

عبدالرحمن رشاش

إن الله اصطفى لكل عمل رجالاً، ولقد اصطفاكم لهذا العمل المبارك وسدّ هذا الثغر؛ فكنتم كالرجل المرابط الباذل كلمته في سبيل الحق ونصرة الحق والدفاع عن سيد الخلق، فلابد من إظهار الحق ولو لم يتبعه الناس، حتى يبقى حاضراً في الأذهان وأن تبقى القضية حية إلى أن يشاء الله بتغيير موازين القوة وتجدد الأمة نفسها، وتستأنف في الحياة تاريخها.

فنسأل الله أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتكم كما نسأله أن ينال القائمين على هذه المجلة شرف الشهادة التي شرفنا بها النبي ﷺ تشريفاً إذ قال لأصحابه: «أنتم أصحابي، وإخواني الذين لم يأتوا بعد وأنا فرطهم على الحوض».

محمد أبو زيان

تعلمنا منكم الكثير وكثير الإفادة، نسأل الله في هذه الأيام المباركة أن يجعله في ميزان حسناتكم!

Maher Mahmoud

نسأل الله لكم التوفيق والنجاح، أرجو منكم أن يكون هناك كتابة تخصصية في السيرة مثل دراسة أبعاد الشخصية السياسية والاجتماعية والثقافية للنبي ﷺ، بالإضافة إلى التركيز الكبير على دراسة الفترة المكية وكيفية إخراج جيل التغيير.

Abo Ali

أوصي بها كل من يستطيع النشر أو الترجمة أو الإسهام في صناعة المحتوى.

محمد حقي علي

لعل أبرز مظاهر الضعف والهوان في الأمة الإسلامية نقص تعظيم النبي ﷺ؛ لذا جاءت هذه المجلة سُلماً يرتقي بالمسلمين إلى مقام نصرة النبي ﷺ لينالوا هذا الشرف العظيم في الدنيا والآخرة.

Za Grammarist

جعله الله في ميزان حسناتكم، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا. نرجو أن يُفتَح باب التطوع على مصراعيه، تصميم صور ومقاطع فيديو ومقاطع صوتية وكتابة وترجمة (خصوصاً للغات الشعوب المسلمة كالتركية والفارسية والأردوية والروسية وطبعًا اللغات الأشيع كالإنجليزية والإسبانية والبرتغالية والألمانية) وتدقيق لغوي الخ، وأن يكون هناك مدونة إلكترونية وقناة تُنشَر عليهما مشاركات المتطوعين أولًا بأول. وأن تُنظَّم فعاليات وأنشطة ثقافية كمعارض الكتب وورش تربوية لتعليم الناس عن السنة الشريفة وأنها محفوظة بعلمائنا الأجلاء طوال تاريخها، وتعليمهم آداب التعامل مع السنة ومع مقام النبي ﷺ وكيف ينصرونه بتبني عادات يومية.

Tarek

والله مبادرة رائعة أتمنى أن تستمر ويُفاد منها، كل ما أتمناه هو:

١. عدد يختص بعلماء الحديث (حياة أصحاب الكتب التسعة ومنهجهم في تصحيح الحديث).

٢. عدد عن المؤلفين الذين أبدعوا في كتابة السيرة، خصوصاً المعاصرين منهم.

وفقكم الله وجزاكم عما قدمتم من عمل.



د. سامي عامري في حوار خاص لـ: أنصار النبي ﷺ

إخفاق الثورات العربية
من أهم أسباب انتشار الإلحاد في البلاد العربية

- الإرهاب، والحدود، والمرأة.. القضايا الأكثر تشويهاً للإسلام في الغرب
- يشهد الغرب اليوم صعود طبقة من الشباب المسلم المثقف يملك أدوات التفكير لكن يفتقد التوجيه العلمي الصحيح
- من الضرورات الحتمية إنشاء مراكز تعليمية وتربوية قوية، لكن مقومات نجاح هذه المراكز مفقود مع الأسف، بل وهو بعيد المنال.

أجرى الحوار: محمد إلهامي

لا يحتاج باحث مثل د. سامي عامري إلى كثير من التعريف به، فما من باحث في مجال مقارنة الأديان أو مكافحة تيار الإلحاد والعلمانية والنسْوية إلا وقد مرَّ عليه أو استفاد منه، ذلك أنه أثرى المكتبة بعدد غزير من المؤلفات الرصينة، التي تمثل بمجموعها مشروعاً علمياً واسعاً في بيان الإسلام وإبطال المذاهب الوضعية والأديان المحرفة، ولا تكاد تدور السَّنة إلا ويكون د. عامري قد أضاف إلى قرائه عدداً جديداً من الكتب التي تحتاج من غيره سنين عدداً.



وفي هذا الحوار، اقتصرنا مع د. عامري على المحور الذي نعمل عليه في مجلتنا هذه، نصرة نبينا ﷺ؛ فتجولنا سريعاً على أبرز ما رأينا أن القارئ العربي يحتاج معرفته عن الشبهات الغربية المثارة عن نبينا ﷺ، وعن طبيعة الحالة الثقافية، وطبيعة ما تحتاجه الحالة الغربية من مجهودات إسلامية لبناء الشخصيات القادرة على نصرة النبي ﷺ وبيان سمو رسالته. ولهذا فلا بد في هذا الإطار من الإشارة إلى أن عطاء د. عامري أوسع من مجال الحوار الذي اقتصرنا عليه، وينبغي على القارئ أن يتوسع في تتبع إنتاجه والاستفادة من موسوعيته.

أنصار النبي ﷺ: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، مرحباً بكم د. سامي في هذا الحوار.

د. سامي عامري: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، حياكم الله وأهلاً وسهلاً بكم.

أنصار النبي ﷺ ما قصة كتاب «براهين النبوة»، ولماذا فكرت في تأليفه؟



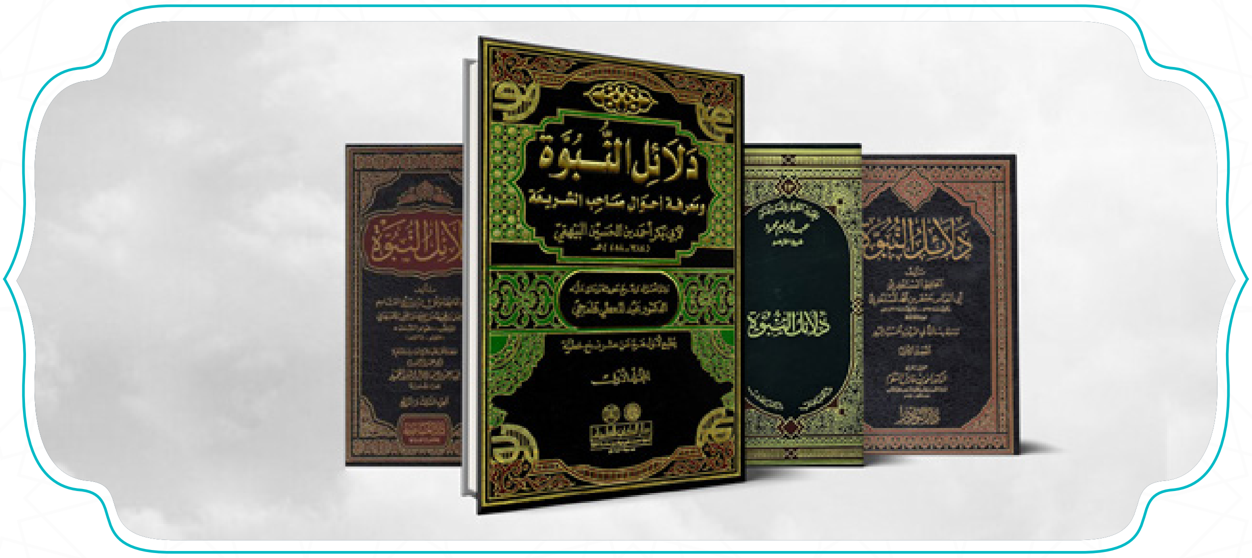
د. سامي عامري: العنوان الكامل للكتاب هو: «براهين النبوة والرد على اعتراضات المستشرقين والمنصرين»، وهو مبين عن طبيعة الكتاب وغرضه؛ فهو في تأصيل دلائل النبوّة وتفصيل أوجهها، والردّ على المخالفين. والكتاب جزء من مشروع كامل قاربتُ على الانتهاء منه، عنوانه «الإلحاد في الميزان»، وهو سلسلة في الردّ على المعارضات الإلحادية للإيمان.

وأصل المشروع طلب مواجهة تنامي المناكفة الإلحادية لعقيدة الأمّة بعد ظهور ما يُعرف «بالإلحاد الجديد» في الغرب، وفشل ما يُعرف بالثورات العربية في بلادنا، وما أحدثه ذلك من صدمة، وانتكاسة، وفوضى معرفيّة. وقد سعيتُ أن أتناول بالتحليل والنقد هذه المعارضات، بنفس طويل هادئ لا يُغفل أهم الاعتراضات.

والناظر في الأدبيات الإلحادية سيلاحظ أنّ أعظم اعتراض مكرّر، هو القول إنّ الإسلام قائم على التسليم الإيمانوي العجائزي الأعمى، فالمسلم -بزعمهم- يحاز إلى دين الأجداد دون رغبة في الرد على المعارضات ولا الدخول في جدل علمي شجاع مع المخالفين. وهو اعتراض يجب على المسلمين مواجهته بأن يُظهروا الأدلة على صدق معتقدهم في معترك الأفكار.

والحجّة التي على المسلمين النهوض لبيانها متعلّقة بإثبات موافقة أصل دينهم للحق، أي وجود إله مستحق للعبادة، وأنّه واحد أحد، وأنّه أرسل محمّدًا ﷺ بالرسالة في القرن السابع الميلادي، وأيّده بالدلائل القاطعة على نبوّته.

وقد قدمتُ رؤيتي لأدلة صدق الإسلام في جواب الأسئلة الثلاثة السالفة؛ ففي كتاب «براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم» بيان دلائل وجود الخالق سبحانه ووحدانيته. وهو بذلك يرد على الملاحدة واللاأدريين. وأمّا كتاب «براهين النبوة» ففيه جواب السؤال الثالث المتعلّق بدلائل نبوّة محمّد ﷺ. وهو ردّ على الملاحدة واللاأدريين والربوبيين والنصارى.



لا شكّ أنّ المكتبة الإسلامية قد قدّمت للقارئ مصنّفات كثيرة في باب دلائل النبوّة. وقد شعرت مع ذلك أنّ الساحة لا تزال تطلب المزيد، لسببين: أوّلهما أنّ إمعان النظر يفتح أمام البصر إشراقات جديدة للنبوّة الخاتمة، وثانيهما أنّ لكلّ عصر مزاجه الفكري، بما يقتضي مخاطبة أهل كل عصر بما يرضي عقولهم ويمسّ أفئدتهم.

أنصار النبي: فكيف كانت خطة الكتاب ومنهجه في معالجة هذه القضية؟

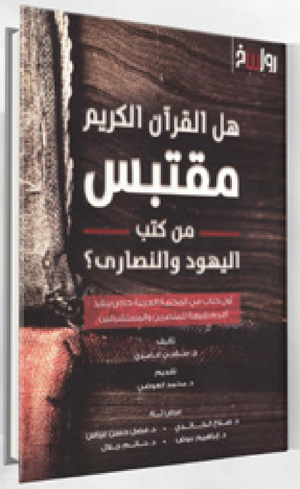
د. سامي عامري: يسلك الكتاب ثلاثة مسارات في تناول دلائل النبوة الخاتمة، أوّلها بسط أدلّة النبوة، بأجناسها المختلفة، وثانيها عرض أهم اعتراضات المخالفين من أعلام المستشرقين والمنصّرين، والردّ عليها، وثالثها بيان فساد النصرانية من الباب ذاته الذي نثبت من خلاله صدق الإسلام.



ولعلّ هذا الكتاب يتميّز عن عامة الكتب التي ألّفت في هذا الموضوع، بقيام نهجه لبيان ربّانيّة القرآن على مقارنة آياته بما عند اليهود والنصارى من نصوص. وسبب اختيار هذا الطريق، حقيقة أنّ القرآن كتاب «ظهر» بين البشر في القرن السابع الميلادي في جزيرة العرب. ولما حاول المستشرقون والمنصرون رد ربانيته، قالوا إنّ حاله لا يخرج عن أمرين اثنين، إمّا أن يكون مُستقى من التراث اليهودي - النصراني، أو هو كتاب من عند الله؛ فإنّ ما فيه من موافقة لذاك التراث ومخالفة له، لا بدّ أن تردّ إلى من هو على علم جيّد بتراث الأوّلين؛ فهو إمّا علم كسبي أو هو علم لدني ربّاني.

وقد استفرغ المستشرقون جهدهم لبيان أنّ القرآن لا يعدو أن يكون نسخة متأخرة من تراث اليهود والنصارى في أرض الحجاز. فجاء هذا الكتاب يوضح للقرّاء أنّ القراءة النقدية الواعية بتاريخ القرن السابع لا بد أن تجزم أن هذا الكتاب لم ينبت من الأرض بل نزل من السماء. وهو باب من النظر غزير التفاصيل.

وربما الحديث الإجمالي عنه هنا لا يفي ببيان صورته. ولذلك فالاطلاع المباشر على الكتاب هو الطريق الوحيد لبيان منهجه، وأدلّته، ومبلغ التزامه بالموضوعيّة. والكتاب متاح على الشبكة مجانًا على موقعنا، موقع (مبادرة البحث العلمي للمذاهب المعاصرة والأديان).



أنصار النبي ﷺ: ذكرتَ أن تنامي موجة الإلحاد كان بأثر من أمريْن: انتشار «الإلحاد الجديد» في الغرب.. و«فشل الثورات العربية».. ما هو هذا «الإلحاد الجديد»؟ وفيم يختلف عن «الإلحاد القديم»؟

د. سامي عامري: «الإلحاد الجديد»، تيّار دهري ظهر بعد أحداث ١١ سبتمبر، وأبرز ملامحه، الطابع العِلموي، والنهج النضالي الصدامي. أمّا الطابع العلموي، فمتعلّق بالدفاع المستميت عن القول إنّ العلم المادي هو الطريق الوحيد إلى المعرفة، وأنّ المعرفة الدينية مجرّد خرافة، أو ثرثرة -بعبارة فلاسفة الوضعية المنطقية-.

وأمّا النضال، فمتمثّل في أنّ هذا التيّار يقوم على وجوب «التبشير» بالإلحاد، ومحاربة المؤمنين بالله بكل صورة، ومنعهم من تصدّر المنصّات العلمية والتعليمية والإعلامية. ولذلك يُسمّى هذا التيار « militant Atheism». فهو تيّار قائم على المناكفة والاستفزاز، حتّى لُقّب أنّه قد تجاوز في طبيعته «الإلحاد: إنكار الإله» «Atheism» إلى أن أصبح تيّار « كره الإله» «Misotheism».

كما يختلف الإلحاد الجديد عن الإلحاد التقليدي في اختراق المجال الشعبي العام، واستعمال اللغة التواصليّة البسيطة، وأدوات الإعلام العامة، من طرف عوام وأشباه مثقفين، بالإضافة إلى رموز التيّار الكبار، على خلاف الإلحاد التقليدي الذي كان -عامةً- نخبويًا في خطابه، ولا يُصدّر في المجال العام الغربي للدفاع عنه إلّا قلّة من المتميّزين داخله.

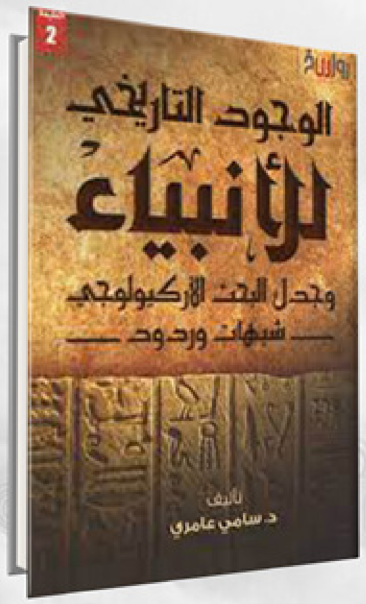
أنصار النبي ﷺ: وكيف ترى من موقعك كمتخصص في هذا الباب أثر فشل الثورات العربية على انتشار الإلحاد.. كيف نربط بين هاتين الظاهرتيْن؟

د. سامي عامري: فشلُ ما يُعرف بالثورات العربية هدم الثقة في عامة البنى التقليدية للمجتمع، ومن أهمّها التيّارات التي ترفع لافتات إسلاميّة، وأنشأ حالة يأس من الإصلاح -بعد سقوط رمزيّة مشاهير الإعلام الدعوي، ورغبة في تجربةِ غير المألوف.. وقد تقاطع ذلك مع ضرب جميع التيارات الدعوية أمنيًا، وإغلاق المنابر الكبرى، وإخراج المساجد كليّة عن مساحة التأثير المعرفي والتربوي، فوجد الشباب أنفسهم في العراء، لا شيء أمامهم سوى منصّات اليوتيوب، والفايسبوك، وتويتر.. وهي منصّات مفتوحة بلا ضابط، كما أنّها سبيل للترويج السهل والسريع والسلس للأفكار التغريبية الوافدة، ومنها الإلحاد العلموي الذي يعيش على الإبهار البصري، والتهويل والتدليس.

أنصار النبي ﷺ: لك عدد من الكتب عن القرآن الكريم وما جاء فيه مثل «شبهات تاريخية» و«العلم وحقائقه» و«الوجود التاريخي للأنبياء» و«هل القرآن مقتبس من كتب اليهود والنصارى».. وغيرها.. وتبدو هذه الكتب شديدة الإقناع للقارئ، ولكن: كيف ترى رد فعل الغربي حين يقرؤها؟ كيف يتصرف مع

مسائل مثل المعارف الموجودة في القرآن والتي لا يمكن للنبي أن يحوزها في زمانه.. السؤال ببساطة: الأمور التي تبدو واضحة جداً لنا، لماذا لا تبدو كذلك لهم؟ أو على الأقل كيف يتصرفون في شأنها؟

د. سامي عامري: ربّما أقول: هي أمور لا تبدو واضحة عند الغربيين؛ لأنّها -ببساطة- لم تصلهم.. فالغالب على الكتابات الإسلامية باللغات الغربية أنّها موجّهة إلى قارئ غير شكوكي، فهي تنحو نحو الإفراط في التبسيط، والاختصار، والاختزال، وتجاوز عرض الإشكاليات، وأجوبتها.. ولذلك فالمكتبة الإسلامية الغربيّة بحاجة إلى ثورة، بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى؛ فالكاتب الإسلامي يجب أن يُكتب بقلم متعمّق في المكتبة الغربية، وعلى دراية بالعقل القلق للغربي، ويُحسن توثيق الإحالة، والردّ إلى مصادر موثوقة.



ومن الواجب هنا أن أضيف أنّ الغربي وإن كان يتميز بالنهم الشديد للقراءة، فالكتاب جزء من حياته اليومية، إلا أنّ قراءاته في القضايا العقدية والدينية والفلسفية ضعيفة جدًا. كما تشهد الاستبيانات المتتالية أن معرفة الغربيين بالنصرانية ضعيفة، بالإضافة إلى أنّ فيها سوء فهم للكثير من القضايا العقدية والتاريخية. وهذا ما ظهر بصورة فاحشة وفاضحة عندما انتشرت رواية «شفرة دافنشي» التي حققت مبيعات مليونية،



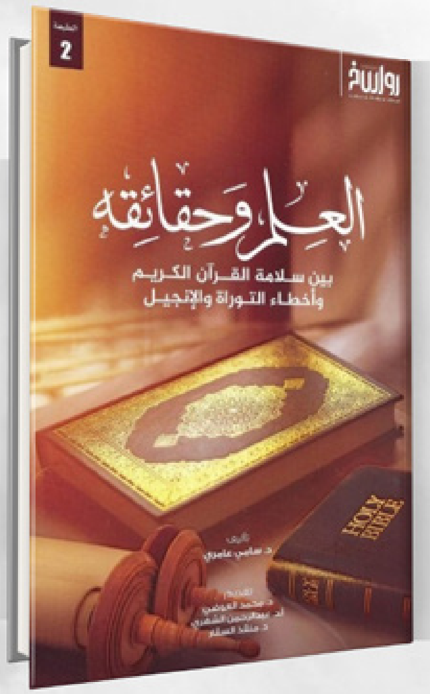
فقد صدّق كثير من الناس ما جاء فيها من دعاوى تاريخية باطلة، رغم أنّ صاحب الرواية أجنبيّ كليّةً عن الدراسات الدينية، كما أنّ رواياته فيها كثير من الأخطاء التاريخية البيّنة في الحديث عن التاريخ المبكّر للنصرانية.

إنّ الغرب اليوم يشهد صعود طبقة من الشباب المسلم المثقف الذي يملك الأدوات الأولى للتفكير، لكنه -للأسف- يفتقد التوجيه العلمي الصحيح في باب دراسة الثقافة الغربية بعمق وأصالة. ولذلك نحتاج إلى إنشاء مؤسسات تعليمية وتثقيفية وتربوية تهتم باستقطاب الشباب المسلم وتوجيهه إلى الدراسة العلمية النقدية الواعية للعقائد الغربية، والانتقال من مرحلة «الهواية» إلى مرحلة «التخصص العلمي».

أنصار النبي: برأيك، ما أهم العوائق التي تحول دون إنشاء مؤسسات تعليمية وتربوية قوية تخرّج الشباب المسلم المتمكن من الثقافة الغربية؟

د. سامي عامري: العائق الأكبر، غياب الداعم المالي لمشاريع طويلة النفس، بطيئة الأثر، مكلفة.. فهي طويلة النفس لأنّها تعمل على صناعة عالِم، وباحث، ومحقّق، وليست غايتها تقديم وجبات فكرية سريعة وخفيفة.. وهي بطيئة الأثر؛ لأنّها ليست ردّة فعل آنية تورث أهلها ثمرة عاجلة، وإنّما تحفر في الأرض، لتزرع بذرة، نطمع أن تصير شجرة باسقة بعد زمن.. وهي مكلفة، لأنّها تقوم على استقطاب أهل

التخصص، وتتكفّل بدفع رواتب بصورة دورية. وكلّ مشروع يقوم على رواتب دورية، يحتاج ميزانية كبيرة.. وللأسف الشديد، هذه المشاريع لا يملك دعمها إلّا كيان سياسي (دولة). وهذا بعيد في واقعنا المعلمَن، أو أثرياء أصحاب ملايين، وهؤلاء أندر من الكبريت، رغم كثرة أصحاب الملايين في أرضنا، فإن ندرتهم سببها أنّه لا بدّ أن يجتمع في هذا الثري، المال الوفير، والقناعة بقيمة العمل الفكري في صناعة أمّة قويّة وجيل محصّن من الأمراض العقدية.. وكنتُ أرجو أن تقوم الجماعات الدعوية الكبرى بهذه المشاريع، لكنّها للأسف انشغلت بأوهام التمكين البرلماني، وانغمست في استعجال قطف الثمرة، استنصارًا «بالمتعاطفين» العاطفيين، لا أبناء الإسلام الواعين.



ليس الإشكال إذن في وجود طائفة من الشباب المتحمّس لنصرة الدين، وإنّما في وجود مؤسسات علميّة، رساليّة، ذات إمكانيات ماديّة في حجم التحدّي والآمال.. والقضيّة عظيمة جدًا، قد عجزت عن أن أجد لها حلًا واقعيًا إلى الآن، للأسف الشديد.. ولذلك على الدعاة العمل في حدود الإمكانيات الهزيلة المتاحة، حتّى يأذن الله بالفرج لهذا الجيل. وما لا يُدرك كلّه، لا يُترك كلّه . ولله الأمر من قبل ومن بعد.

أنصار النبي ﷺ من واقع المعيشة في الغرب، إذا حاولنا أن نذكر أهم ثلاث شبهات تثار عن النبي ﷺ هناك، فما هي؟

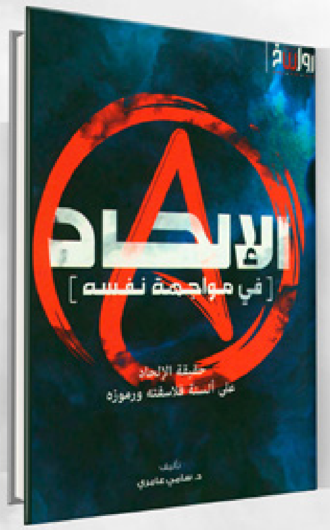
د. سامي عامري: لا شكّ أنّها «الإرهاب»، والشريعة (هكذا يسمونها Sharia، دون ترجمة، لِوَقْع هذه الكلمة الغريبة على الأسماع، مع صور قطع الأيادي ورجم الزناة الراسخة في الأذهان!)، وحقوق المرأة؛ فهي حاضرة بكثافة في الثقافة الشعبية الغربية، وفي خطاب اليمينيين والمنصّرين.

كيف تنصح بالتعامل مع هذه الشبهات الثلاثة؟ بمعنى: ما المداخل الأنسب للعقلية الغربية لمعالجة هذه الشبهات؟

د. سامي عامري: من الناحية العملية، هناك مدخل تلفيقي يحاول الرد على هذه الشبهات من خلال تبني مقولات الليبرالية الغربية وتحريف الإسلام. وهذا المسلك -بلا شك- نهج غير مرضي إسلاميًا. وللأسف الشديد صار لهذا التيار حضور لافت في الغرب، فله منصّات متعددة، ومدعومة من جهات مشبوهة ومكشوفة. ويمثّله بصورة أولى ما يُعرف بتيّار «المسلمين التقدميين» «Progressive Muslims». وهو «تقدّم» إلى الخلف، طلبًا لموافقة جاهليات الغرب، دون التنصّل الظاهري من الإسلام.

وهناك مسلك آخر، وهو الذي يمثل المنهج القويم في التعامل مع هذه الشبهات، وهو بيان فساد هذه الشبهات من جهة خطأ نسبتها إلى الإسلام ما ليس فيه، وبيان الرؤية الإسلامية من منصوص الوحي، وفي الآن نفسه تفكيك أصول الرؤية الكونية الغربية، وبيان ما فيها من تناقضات، وما يلزم عنها من فساد؛ فإنّ الرؤية الكونيّة الغربيّة أصل استشناع كثير من شرائع الإسلام. ودون نقد المقدمات، يتعذّر الوصول إلى نقض الشبهة من جذورها. ولا شك أنّ هذا الأمر يحتاج جهدًا وصبرًا كبيرين، للوصول إلى عرض الرؤية الأصيلة والسديدة.

وقد قدّمت المكتبة الإسلاميّة مادة جيّدة في رفع الشبهات عن الإسلام، غير أنّها لم تبذل في الغرب إلى اليوم ما يتناول الرؤية الكونية الغربية بالتفكيك والنقض العقلي. وهو مشروع لا بدّ من العكوف عليه، والإفاضة في تناوله من الباحثين المسلمين، كتابةً، ثم تحويله إلى مادة معرفيّة قريبة من رجل الشارع والمثقف في المحاضرات والمناظرات.



تطور الاستشراق في الغرب تطوراً كبيراً، ولم يعد المستشرق يردد خرافات القرون الوسطى.. والكتب التي تصدرها الجامعات ومراكز الأبحاث الغربية عن الإسلام وتاريخه تزداد قوة ودقة.. ومع هذا، فإنه لا يبدو أن ثمة تخففاً من موجة العداء للنبي والمسلمين في الغرب.. السؤال هنا: لماذا لم ينعكس هذا التطور العلمي والبحثي على تحسين فهم الآخر الذي هو نحن؟

د. سامي عامري: هناك أكثر من منهج استشراقي في دراسة الإسلام؛ فهناك المنهج الجدلي المرتبط بأصحاب المشاريع الإلحادية والتنصيريّة وتثبيت المركزية الغربية. وهو منهج قريب جنسًا من مناهج كُتّاب القرون الوسطى، وإن كان لا يلزم من ذلك التطابق في التفاصيل، فالشبهات متقاربة، وهي القول إنّ الإسلام هرطقة نصرانية أو يهودية، والشريعة دموية، والإسلام دين شهواني.. وهناك منهج استشراقي آخر ينطلق في دراسته للإسلام وغيره من الأديان من أنّ الدين ظاهرة بشريّة، وتجربة فرديّة، فلا تُدرس من جهة موافقتها للحق، بل تُدرس دراسة وصفيّة، لمعرفة دقيق مفردات الدين، وطقوسه، وأثره في الناس.

وهذا هو السائد في تخصص مقارنة الأديان في عامة جامعات العالم الغربي. وهنالك منهج تلفيقي من المنهجين السابقين، وإن كانت نظرته السلبية إلى الإسلام مهيمنة على مقدماته ونتائجه.

يدعم المنهج الأول الصورة السلبية عن الإسلام وعن الرسول ﷺ وعن القرآن. وأما المنهج الثاني فيرفع سلطان الذوق لا سلطان العقل؛ ليسقط -في الختام- الأديان جميعًا، برفض نقدها، لأنّ غاية الدين ليست إصابة الحقيقة، بل الإشباع النفسي للمؤمن بها. وللمنهج الأول أثر كبير على قطاع واسع في الغرب، خاصة التيار اليميني والتيار المتدين وصناع الأفلام والبرامج الوثائقية. ويخدم المنهج الثاني ثقافة نهاية الحقيقة، وعقيدة النسبوية.



أنصار النبي: يبدو لنا من بعيد، كمتابعين لا نعيش في الغرب، أن انتشار أفكار النسوية والشذوذ واشتهاء الأطفال... إلخ! تزيد من فجوة الخطاب بين الإسلام وبين هذه الشعوب الغربية.. فالابتعاد عن الفطرة يزيد من البعد عن قبول الرسالة. بينما يقول آخرون: بأن هذا الابتعاد نفسه، يولد محناً نفسية وردود فعل فطرية قوية يجعل هذه الشعوب أكثر تهيؤاً لسماع الرسالة وفهمها، ويستدلون على هذا ببعض مشاهير أسلموا مثل أندرو تيت وغيره.. كيف ترى الأمر؟

د. سامي عامري: يسير الغرب حاليًا بسرعة نحو الانهيار الحضاري والقيمي، وتنتشر فيه الأمراض النفسية العميقة التي تحطّم إنسانية المرء وتفكّكه إلى أجزاء متناحرة، بما يفقده طبيعته الأولى البكر، وهذا بالطبع لا بد أن يبعد هؤلاء عن الإسلام. ومع ذلك، فقد صنع هذا التطرف الفكري والأخلاقي والسلوكي تيارًا مضادًا، يتجلى في ظاهرة التعاطف مع شخصيات بارزة تنادي بمعارضة الشذوذ والنسوية. وهو تيّار يتطور الآن فقط في الظلّ؛ بسبب الإرهاب الذي يمارس عليه قانونيًا وإعلاميًا من قبل اللوبيات الليبرالية المتطرفة.



ظهور التيّار المضاد سيفتح مساحات لقبول الإسلام أو الاستماع إلى مقولاته باحترام، خاصة مع انهيار الهوية النصرانية لعامة الكائس لقبولها صفقات تصالح مذلّة مع الثقافة السائدة، حتى إنّ كثيرًا من «نجوم» التديّن من القساوسة لا تربطهم اليوم بالنصرانية التقليدية صلة حقيقية؛ فقد دخلوا في دين الليبرالية كلّه، وسلّموا بعامة مقولات النسبية الفلسفية، أو قبلوا لوازمها -وإن لم يصرّحوا بتبنّي أصولها-.

سيفتح التطرّف القيمي والسلوكي في الغرب للإسلام أبوابًا، لكنّ ظاهرة الانهيار التي ستستمر في العقود القريبة أوسع من كلّ إصلاح. وربّما سيكون الانفتاح أكبر على الإسلام بعد أن ينتهي الفساد من دورته الكاملة، ويبلغ جنون ما بعد الحداثة آخره، وعندها سيكون العقلاء والأسوياء من الناس أكثر تهيؤاً لقبول الحق، خاصة إذا ظهرت طبقة واسعة من المثقفين المسلمين من أبناء البيئة الغربية.

السؤال الأشهر الذي يثار لأي مسلم مقيم في الغرب: هل يمكن أن ينتشر الإسلام هناك حتى يسود بالدعوة واستثمار جو الحريات الممنوحة للجميع؟ أم أن الأمر يبدو أعقد من ذلك؟ ولماذا؟

د. سامي عامري: في رأيي، الأمر أعقد من ذلك بكثير؛ فالقضية لا تُختصر في صورة مخاطبة غافل عن الحقيقة، إذا سمع حجة الحق انصرف عن دينه إلى دين الإسلام. إنّ الإنسان الغربي يعيش في أكثر من قفص -وأنا هنا أستعير عبارة ماكس فيبر-: قفص المادية، وقفص الفردانية، وقفص الشهوانية، وقفص العدمية، وقفص الخرافات المتأصلة عن الإسلام من موروث العصور الوسطى وأفلام هوليوود وأدبيات اليمين المتطرّف.. هي أقفاص كثيرة، صلبة، تحول بين المرء والنظر في الآفاق.. ثمّ إنّ تغيير العقائد ليس بهذه السهولة؛ فإن الأمم التي سلف أن أسلمت، كان جلها يعيش تحت سلطان الإسلام؛ فكان إقبالها على دين الأمة الغالبة في جو إسلامي صرف.. في حين أنّنا اليوم نعيش في عصر الأمم غير المسلمة المتقدمة ماديًا، ذات اللغة الاستعلائية المغرورة، والأمّة الإسلاميّة أسيرة القهر تحت سلطان الحكم العالماني المحليّ الفاجر.



ولذلك فالغاية الكبرى للمسلمين في الغرب يجب أن تكون الحفاظ على هوية الأبناء من شر العالمانية في جميع صورها (الليبرالية، والاشتراكية، والنسوية...) في ظلّ توحش سلطان الدولة الغربيّة على الأسرة، وهيمنة متطرفي العالمانيين والإباحيين على التعليم.. وأمّا دعوة غير المسلمين فهدف تالٍ لذلك.. والحفاظ على رأس المال أولى من كلّ هدف.. ورأس المال هو الجالية المسلمة نفسها.. العقود القريبة القادمة، عصر طوفان كلّ العقائد الشاطحة المجنونة. ونجاة النفس أهم المطالب.

أنصار النبي يؤلف د. سامي عامري في مجالات كثيرة.. التاريخ ومقارنة الأديان والنسوية والإلحاد والعلموية.. وهذه فرصة لنسأل: هل التوسع في المجالات يخصم من قوة الأبحاث؟ أم أنه يزيدها؟.. أو بصيغة أخرى: لماذا لا يبقى د. عامري في تخصص واحد حتى يعطي له سائر جهده وخلاصة عقله؟

د. سامي عامري: هذه الأبحاث في مجموعها تقع داخل تخصص أكاديمي عام هو «العقيدة والمذاهب المعاصرة». فكتاباتي تقع ضمن هذه الدائرة الكبرى، وهي تتعلّق بأنساق عقدية وفكرية مرتبطة بالتصورات الكونية الكبرى على مدار التاريخ البشري. فهذا الخيط الناظم لمجموع هذه الأبحاث مرشد إلى أنّ الاهتمام بمجموعها مصدر قوّة للبحث؛ إذ يفيد في إضاءة جوانب قد تبدو متباعدة في الموضوع الواحد.



ومن دلائل هذا الترابط، العلاقة الوثيقة بين الدراسات التوراتية والإنجيلية ودراسة الاستشراق؛ فإنّ الباحث المهتم بالبحث الاستشراقي الديني، المتّصل بدراسة القرآن والسيرة، يجب أن يأخذ بحظ وافر جدًا من الدراسات التوراتية والإنجيلية؛ لأنّ المستشرق يستبطن دائمًا مرجعية التراث اليهودي والنصراني للنص القرآني؛ فالقرآن عنده -بلا شك- نص بشري، مستوحى من تراث أهل الكتاب؛ ولذلك فغايته ليست النظر النقدي في حقيقة ثبوت هذا التأثير أو التناص، بل غايته الكشف عن هذه العلاقة؛ فهي عنده مسلَّمة، وتحتاج شيئًا من الضوء للكشف عن تفاصيلها لا حقيقتها المعلومة -بزعمه-.

وخذ مثالًا آخر، وهو البحث في إعجاز القرآن؛ فالسائد في عامة كتب المتأخرين الاكتفاء بالحديث عن الإعجاز البلاغي أو البياني في هذا الشأن.. والناظر في كتاب الله، سيدرك بوضوح أنّ إخبار القرآن عن القصص المذكورة في التوراة، وتصحيح ما في أسفار أهل الكتاب من خطأ، من أوسع أبواب بيان ربّانية القرآن. وهذا ما يستدعي الإفادة من الدراسات التوراتية والإنجيلية في الباب. وهذا ما اجتهدت فيه، في كتاب براهين النبوة.



والأمر نفسه في باب ردّ الشبهات عن القرآن؛ فإنّ عامة الشبهات التاريخية التي تكرّرت في أدبيات المستشرقين والمنصّرين، والتي تلقّفها الملاحدة في قرننا هذا والسالف، لا يمكن الردّ على معظمها بجواب تفصيلي (وإن كان الجواب الإجمالي ممكنًا دون عنت بحثي)، إلّا بعد الاستفادة من دراسات الأركيولوجيا البيبلية Bibical Archeology، والنقد الأعلى Higher Criticism والنقد النصي Textual Criticism للكتاب المقدس، ودراسات النصرانيات المبكرة early Christianities ، وعلم الهرطقات Heresiology.. فلو قرأنا مثلاً قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]، ونظرنا في دعوى خصوم الإسلام أنّ النصارى لا يقولون إنّ المسيح عليه السلام هو الله، بل يقولون إنه ابن الله، فالجواب هنا طريقه الوحيد معرفة مقدمة إنجيل يوحنا في ترجمتها المتأخرة الشائعة، ونص ١ تيموثاوس ٣/ ١٦ في قراءة النوع النص البيزنطي، ومذهب Modalism.

وكتاب «شبهات تاريخية حول القرآن الكريم» قائم على دفع الشبهات من خلال الإفادة من هذه العلوم في محضنها الأكاديمي الغربي. ولذلك أنا أحمل قناعة تامة أنّ الدراسات التوراتية والإنجيلية لا بد أن تحظى بحظ وافر من الاهتمام في كليات الدعوة في العالم الإسلامي، وفي أقسام الدراسات القرآنية لطلبة الدراسات العليا.



وبعيدًا عن الدراسات القرآنية، بإمكاننا أن نتحدث عن أهمية ربط العقائد ببعضها، وأثر النصرانية في الإلحاد، وعلاقة النسوية بالتراث الآبائي للكنيسة. والدارس للنسوية لا يستطيع أن يغفل أهمية التعمّق في دراسة ثقافة ما بعد الحداثة، والداروينية الاجتماعية.

وأنا هنا لا أدعو إلى الموسوعيّة التي يستوعب فيها الباحث كلّ معارف عصره، فتلك غاية ولّى زمانها، بل أدعو إلى أنّ يأخذ الباحث بنصيب جيّد من التخصّصات التي تتّصل ببعضها بصورة قويّة في تشكيل الرؤى الكونية المخاصمة للإسلام، مع التأكيد أنّ الاهتمام بالردّ على الملاحدة لا يقتصر على مناقشة دلالة الوجود على واجب الوجود، بل يتجاوز ذلك بصورة كبيرة؛ إذ إنّ عامة مباحثه في العالم العربي تتعلّق بالنبوّة، والقرآن، والسيرة، والحديث، والشريعة، والفقه.. فخصومة الإلحاد العربي مع النبوة أعظم من خصومته مع الإيمان بالله!

أنصار النبي ﷺ في ظل هذا الإنتاج المتنوع -نسأل الله أن يكون علماً نافعاً خالصاً لوجهه الكريم- سيكون السؤال تلقائياً: علام يعمل الآن د. عامري؟ وماذا قد ينتظر منه القراء في القريب العاجل؟



د. سامي عامري: أسأل الله السداد والإخلاص.. في سلسلة «نقد النصرانية» أقوم الآن بتبييض كتاب عن «قانون العهد الجديد» The canon of the New Testament»، وموضوعه متعلّق بأخطر أبواب نقد الأسفار (الكتب) المقدسة للكنيسة، وهو أمر انتقاء أسفارٍ غير ربانيّة، ونسبتها إلى الوحي، وإلزام النصارى بتصديق خبرها، والتزام أمرها، والانتهاء عند نهيها. وفي حدود علمي، هذا أوّل كتاب في المكتبة العربية الإسلامية أُفرد لهذا الموضوع. وهو يناقش إشكالية القانون في ضوء آخر ما انتهت إليه الأبحاث النقدية الغربية.

كما أعمل أيضًا على كتاب-غير موسّع- حول Universalism أي فتنة «الخلاص الكوني» التي غزت المجتمعات الغربية واخترقت الساحة العربية، والتي تزعم أنّ النجاة يوم القيامة مبذولة لجميع أهل العقائد، وأنّ التوحيد والإيمان بالرسالة الخاتمة ليسا شرط النجاة. وهي فتنة كبرى، تقع داخلها فتنة ما يُعرف بالإبراهيمية. كما أعكف على ترجمة مناظرةٍ لبابا الفاتيكان السابق -أيّام كان كاردينالًا- مع أشهر ملاحدة إيطاليا، مع تعليق نقدي على المناظرة.



وآخر المشاريع العاجلة هذه السنة، إتمام كتاب «التيارات النسوية الغربية، حقيقتها، وآثارها» الذي بدأت فيه السنة الماضية. وسأستمر بعده بإذن الله -في السنوات القريبة القادمة- في السلسلة نفسها: «مذاهب فكرية معاصرة»، لدراسة أهم المذاهب المصادمة للإسلام اليوم: النسبية، والإنسانوية، والليبرالية.. في كتب مفردة لكل منها على حدة، إن نسأ الله جلّ وعلا في الأجل، ورزقني بركة في الوقت -بفضله-.

أنصار النبي ﷺ نصيحة من د. سامي عامري لنا في مجلة أنصار النبي ﷺ.

د. سامي عامري: لا بدّ أن أشكر الأفاضل الذين يقومون على هذه المجلّة اهتمامهم بالانتصار لنبيّ ﷺ، مستذكرًا قول رسول الله ﷺ لقتادة رضي الله عنه: «حَفِظَكَ اللَّهُ بما حَفِظْتَ به نَبِيَّهُ»، فإنّ حفظ النبيّ ﷺ وعرضه من الأذى، مقام شريف، ينبل المرء به.

وإن كانت لي نصيحة، فهي أن تهتم المجلّة و«الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام» بتوجيه طلبة العلم وشباب الإسلام إلى تكثيف النشاط العلمي الدعوي في بيان مقام الرسول ﷺ، والذبّ عنه، وأن يكون هذا الباب تخصصًا علميًا، تُنشأ له المؤسسات التعليمية، والدعوية.. حتّى لا تكون فتنة.

مُوجزُ ما يَجِب
للصادقِ المصدوقِ من الحُبّ



د. يونس الأسطل

عضو رابطة علماء فلسطين



الحمد لله الذي جعل محبة عبده له منوطةً باتباع رسوله، وأغرى بطاعته حين جعل المكافأة عليها محبة الله لعبده، ومغفرته ذنوبه، بل حكم بأن مَنْ يُطِع الرسول فقد أطاع الله، لأنه ما أرسل من رسول إلا ليطاع بإذن الله، فكيف بمن أرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً؟!!

وبعد:

فإن الله عز وجل قد أمرنا أن نؤمن به وبرسوله وبالنور الذي أنزله، فأحيانا به، وجعله نوراً لنا نمشي به في الناس، ونعَتَ الذين آمنوا برسوله، وعَزَّروه، ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، بأن أولئك هم المفلحون.



وقد جاءت نصوص القرآن والسنة مُوجبةً تقديم محبة الله ورسوله على الوالد والولد، وعلى الناس أجمعين، وحتى على أنفسنا التي بين جَنَبَاتِنا؛ لِيكتملَ بذلك إيماننا، ولِنجدَ بها حلاوة الإيمان، ولِنَسْلَمَ كذلك من الوعيد الإلهي للفاسقين الذي يؤثرون وشائج القربى، أو المصالح الدنيوية على حُبِّ الله ورسوله، والجهاد في سبيله، وهاؤم اقرؤوا بعض تلك النصوص.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]

ذلك أنك لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوادُّونَ مَنْ حادَّ الله ورسوله، ولو كانوا آباءَهم، أو أبناءَهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم؛ لأنهم بهذا الإيمان يكونون هم حزبَ الله، وإن حزب الله هم المفلحون في الآخرة، وهم الغالبون في الدنيا، لأن الله كتب في قلوبهم الإيمان، وأيَّدهم بروحٍ منه، وقد رضي عنهم ورضوا عنه.

وفي المقابل؛ فإن الذين يؤثرون الحياة الدنيا، ويثّاقلون إلى الأرض، ويقدِّمون أيّاً من المعوِّقات الثمانية المذكورة في الآية السالفة على حُبِّ الله ورسوله، وعلى الجهاد في سبيله، فما عليهم إلا أن يتربصوا عقاباً إلهياً؛ بأن يعذبهم عذاباً أليماً، وقد يكون بتسليط عدوِّهم عليهم، وهم لا يرقبون في مؤمنٍ إلّاً ولا ذمة، وإنْ يَثْقَفُوكم يكونوا لكم أعداءً، ويبسطوا إليكم أيديَهم وألسنتهم بالسُّوء، وحَسْبُكم أنهم نكثوا أيمانهم، وهمُّوا بإخراج الرسول، وهم بدؤوكم أول مرة بالقتال والإخراج، وشاهد ذلك في قوله عزَّ وجلَّ في نفس سورة التوبة:



﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٩].

وقد توعَّدتْ هذه الآية القاعدين عن الجهاد بِسُنَّةِ الاستبدال، وهي أن الله قد تكفَّلَ أن تظلَّ راية الجهاد في سبيله مرفوعةً في الأرض، ولن يَضُرَّ المنقلبون على أعقابهم دين الله شيئاً، وإنما ضَرَرُهم على أنفسهم، وقد خابَ مَنْ دَسَّاها، وإن أهم صفات المرشحين لحمل راية هذا الدين أنهم قوم يحبهم الله ويحبونه، كما في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾. [المائدة: ٥٤].

وأما من السُّنة فقد أخرج البخاريّ في الباب الثامن من كتاب الإيمان من حديث أنس رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده، وولده، والناس أجمعين». وقد جاء أيضاً في رواية بصيغة القسم: « فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم...»[1].

كما أخرج البخاري أن النبيَّ ﷺ كان آخِذاً بيد عمرَ بنِ الخطاب، فقال له عمر: «لأنت أحبُّ إلى من كل شيءٍ إلا من نفسي»، فقال النبيُّ ﷺ: «لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك». فقال له عمر: «فإنه الآن، والله لأنت أحبُّ إلى من نفسي». فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر»[2].

إن النفي هنا لنفي كمال الإيمان، لا لنسفه من أصله، والمراد حتى تؤثر رضا رسول الله على هواك وإن كان فيه الهلاك، كالثبات على الدين مهما كان بطش المشركين، والصمود في الميدان مهما كان بأس العدوان، فالحُبُّ الصادق هو التضحية بالمال والنفس وإنْ خالف هوى النفس؛ فإن المحبَّ لمن يحبُّ مطيع.

كما أخرج البخاري حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكرهَ أن يعودَ في الكفر كما يكرهُ أن يقذفَ في النار»[3].



١. صحيح البخاري، انظر الحديثين (١٤، ١٥).
٢. الباب الثالث من كتاب الأيمان والنذور، الحديث (٦٦٣٢).
٣. الباب التاسع من كتاب الإيمان، الحديث (١٦).

وكأنَّ مراد البخاري بذلك أنه لما بيَّن توقف الإيمان على محبة الرسول ﷺ نبَّه بهذا الحديث أن الحلاوة هي ثمرة ذلك الإيمان، وأن تلك الحلاوة لها ثلاثة أسباب، وفي مقدمتها أن يكون حبُّ الله ورسوله مُقَدَّماً على كل شيءٍ من الوالد، والولد، والناس أجمعين، وحتى على نفوسنا التي نؤثرها فطرةً وطبعاً على غيرها؛ إذْ لا بد لكمال الإيمان، والفوز بمحبة الرحمن، أن نقدم ما فيه من الله الرضوان على ما تعشقه نفس الإنسان.

الفضائل السبعة



هذا، ولو ذهبتُ أسترسلُ في فضائل الرسول ﷺ التي توجب إيثاره على النفس، فضلاً عن الوالد، والولد لطال المقال، غير أني أرصد طائفة من الأسباب الموجبة لذلك في سبعة بنود:

- إنه ﷺ قد أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور، وهو يتلو علينا آياتِ الله مبيِّنات، كما في الآية (١١) من سورة الطلاق.
- إنه مِنَّةُ الله عليكم أيها المؤمنون، إذْ بعثه رسولاً من أنفسكم يتلو عليكم آياتِهِ، ويزَكِّيكم، ويعلمكمُ الكتاب والحكمة، بل ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون.
- إن القرآن الذي جاءنا به هو الذي فيه ذِكْرُنا وشَرَفُنا وعِزُّنا في الأمم، إذْ به كنا خيرَ أمةٍ أُخرجتْ للناس، وبه جعلنا الله أمةً وَسَطاً؛ لتكونوا شهداء على الناس، فكانت لنا الريادة والقيادة والسيادة في الأرض.



- إنه المبعوث لِيُتَمِّمَ مكارم الأخلاق، ولقد كان على خُلُقٍ عظيم، وكان خلقه القرآن، وقد تجلَّتْ أخلاقه فيما لا يُحصى من المواقف، وحسبكم أنه برحمةٍ من الله لَانَ لأصحابه، وأمره القرآن أن يعفوَ عنهم، وأن يستغفرَ لهم رغم ما صدر منهم يوم أُحُدٍ من الفشل، والتنازع في الأمر، والعصيان بعد رؤية النصر، كما أنه عفا عن أهل مكة بعد فتحها، وقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، أيْ لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين، وهو عزيزٌ عليه ما عَنِتُّم، حريصٌ عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم.

- إنه صاحب الشفاعات الستّ؛ بدءاً بالشفاعة الكبرى من أهوال الحشر إلى الحساب، ثم بالشفاعة للمؤمنين؛ ليجتازوا الصراط، ويدخلوا الفردوس، والشفاعة لمن خَفَّتْ موازينهم أن يَقِيَهم الله عذاب النار، فلا يدخلوها، ويشفع كذلك لمن دخلوها أن يخرجوا منها، من بعد أن يشفع لأهل الأعراف الموقوفين على ربوةٍ بين أهل النعيم وأهل الجحيم الذين لم يدخلوا الجنة، وهم يطعمون أن يدخلوها، وأخيراً يشفع في عمِّه أبي طالب، فيكون في عذابٍ لا يبلغ كَعْبَيْهِ، تغلي منه دِماغُه.

- إنه صاحب الهداية التي أكرمنا الله بها بالمتاع الحسن، والحياة الطيبة، وصلاح البال في الدنيا، مع الكرامة السرمدية، والنعيم المقيم في جنات ونَهَر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وقد كان من خصائصه الموجبة لمحبته ﷺ في الدنيا أن الله عزَّ وجلَّ أعطاه ستَّ خصال لم يُعطِها لنبيٍّ من قبله، وكان منها نَصْرنُا بالرُّعْبِ مسيرةَ شهر، وحِلُّ الغنائم، كما ناداه ربُّه بأعزِّ أوصافه، وهي النبوة

والرسالة، ونهانا عن مناداته باسمه الشخصي كدعاء بعضكم بعضاً، بل أقسم سبحانه بحياته؛ إنهم لفي سكرتهم يعمهون، وقدَّمه للإمامة ليلة الإسراء بجميع المرسلين والأنبياء، وقد بُعث رحمةً للعالمين، ولذلك فقد سَلَّمَ الحَجَرُ عليه، وحَنَّ الجِذْعُ إليه، وغير ذلك كثير.

وأما في الآخرة فهو سَيِّدُ ولد آدمَ، وأول مَنْ تنشقُّ عنه الأرض يوم النشور، وأنه أكثر الناس تابعاً، ويدخل من أمته الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، وهو أول من يجوز الصراط، وأول من يدخل الجنة، وقد أعطاه ربُّه الكوثر، وهو الخير الكثير، ويدخل فيه دخولاً أولياً نهرُ الكوثر، وقد وصف بذلك لكثره مائه، وخيره، وآنِيَتِه، وقد رآه ليلة المعراج، فما كذب الفؤاد ما رأى، وما زاغ البصر وما طغى.

أصدق الناس حباً

هذا، وإن أصدق الناس حباً لرسول الله ﷺ هم المبالغون في اتباعه، المتمسكون بدينه، وسنته، الساعون لإظهار هذا الدين على الدين كلِّه بالدعوة والإقناع، وبالشوكة والكُراع، حتى تبلغ رحمةُ الله للعالمين، فيهلكُ مَنْ هلك عن بينةٍ، ويحيى مَنْ حَيَّ عن بينةٍ؛ لِيُحقَّ الحقَّ، ويُبْطلَ الباطل، ولو كره المجرمون.

ولعل مجلة أنصار النبي ﷺ، وقد مضى على ميلادها عام كامل من أهم علائم محبة القائمين عليها، والمتلقِّين لها لرسول الله ﷺ، خاصة وأنها تستنطق ثلة من العلماء المعاصرين، وتَنْبِشُ في التراث عمن عَبَّرَ عن تلك المحبة بمقال سديد، أو مؤلف جديد، فضلاً عمَّا فيها من الزوايا والأبواب، ومَنْ يقوم عليها من الأحباب والكُتَّاب.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾



د. بسام محمد صهيوني

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ



﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]

من أهم صور تعظيم النبي ﷺ ومحبته واتباعه امتثال الأمر الرباني والتوجيه الإلهي بالصلاة والسلام عليه (صلوات الله وسلامه عليه)؛ وهذا الأمر على إطلاقه غير مقيد بوقت وزمن، ولكن هناك مواضع مخصوصة يتأكد فيها الصلاة على النبي ﷺ مقيدة بأوقات وأزمنة أو أفعال معينة، وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى مواطن يتأكد فيها الصلاة على النبي ﷺ، فقال:

«ومن المواطن التي اختُلف في وجوب الصلاة عليه فيها: التشهد الأول، وخطبة الجمعة وغيرها من الخطب، وصلاة الجنازة، ومما يتأكد ووردت فيه أخبار خاصة أكثرها بأسانيد جيدة:



عقب إجابة المؤذن، وأول الدعاء وأوسطه وآخره، وفي أوله آكد، وفي آخر القنوت، وفي أثناء تكبيرات العيد، وعند دخول المسجد والخروج منه، وعند الاجتماع والتفرق، وعند السفر والقدوم، وعند القيام لصلاة الليل، وعند ختم القرآن، وعند الهم والكرب، وعند التوبة من الذنب، وعند قراءة الحديث وتبليغ العلم والذكر، وعند نسيان الشيء، وورد ذلك أيضاً في أحاديث ضعيفة، وعند استلام الحجر، وعند طنين الأذن، وعند التلبية، وعقب الوضوء، وعند الذبح والعطاس، وورد المنع منها عندهما أيضاً، وورد الأمر بالإكثار منها يوم الجمعة في حديث صحيح»[١].

سوف نستعرض أشهر الأحاديث الواردة والآثار المروية في معظم المواضع التي ذكرها الحافظ ابن حجر من كتب السنة المشهورة، وهي حسب تسلسل ذِكرها في كلام ابن حجر كما يأتي:

١. عقب إجابة المؤذن

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول

١. فتح الباري لابن حجر (١١/١٦٩).



ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليّ صلاةً صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة»[٢].

٢. أول الدعاء وأوسطه وآخره، وفي أوله آكد

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: كنت أصلي والنبي ﷺ، وأبو بكر، وعمر معه، فلما جلست بدأت بالثناء على الله، ثم الصلاة على النبي ﷺ، ثم دعوت لنفسي، فقال النبي ﷺ: «سل تعطه، سل تعطه»[٣].

٣. في آخر القنوت

جاء من رواية عبد الرحمن بن عبد القاري: «ثم عزم عمر على ذلك، وأمر أبيّ بن كعب أن يقوم لهم في رمضان، فخرج عمر عليهم، والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال عمر: نعم البدعة هي، والتي تنامون عنها أفضل من التي تقومون. يريد آخر الليل، فكان الناس يقومون أوله، وكانوا يلعنون الكفرة في النصف: اللهم قاتل الكفرة الذين يصدون عن سبيلك ويكذبون رسلك، ولا يؤمنون بوعدك، وخالِف بين كلمتهم، وألقِ في

---

٢. صحيح مسلم (٢٨٨/١) رقم ٣٨٤.

٣. سنن الترمذي (٤٨٨/٢) رقم ٥٩٣ وقال: «حديث عبد الله بن مسعود حديث حسن صحيح».



قلوبهم الرعب، وألقِ عليهم رجزك وعذابك، إله الحق. ثم يصلي على النبي ﷺ، ويدعو للمسلمين بما استطاع من خير، ثم يستغفر للمؤمنين»[٤].

وعن عبد الله بن الحارث «أن أبا حليمة معاذاً كان يصلي على النبي ﷺ في القنوت»[٥].

٤. في أثناء تكبيرات صلاة العيد

عن علقمة، أن ابن مسعود، وأبا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة قبل العيد يوماً فقال لهم: إن هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه؟ قال عبد الله: «تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بالصلاة، وتحمد ربك، وتصلي على النبي محمد ﷺ ثم تدعو أو تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تقرأ ثم تكبر وتركع، ثم تقوم فتقرأ وتحمد ربك وتصلي على النبي محمد ﷺ، ثم تدعو وتكبر الله وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تركع» . فقال حذيفة وأبو موسى: صدق أبو عبد الرحمن[٦].

٥. عند دخول المسجد والخروج منه

فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلَّى على محمد وسلم، وقال: «اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك». وإذا خرج صلَّى على محمد وسلم، ثم قال: «اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك»[٧].

٤. صحيح ابن خزيمة (١٥٥/٢) رقم ١١٠٠.
٥. فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص٨٩) رقم ١٠٧.
٦. فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص٧٧) رقم ٨٨.
٧. مسند أحمد (١٣/٤٤) رقم ٢٦٤١٦.

٦. عند الاجتماع والتفرق

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم، إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»[٨].

٧. عند السفر والقدوم

أخبرنا مالك، أخبرنا عبد الله بن دينار، أن ابن عمر «كان إذا أراد سفراً، أو قدم من سفر جاء قبر النبي ﷺ، فصلى عليه، ودعا ثم انصرف»[٩].

٨. عند القيام لصلاة الليل

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: يضحك الله إلى رجلين: رجل لقي العدو وهو على فرس من أمثل خيل أصحابه فانهزموا وثبت، فإن قتل استشهد، وإن بقي فذلك الذي يضحك الله إليه، ورجل قام في جوف الليل لا يعلم به أحد، فتوضأ فأسبغ الوضوء، ثم حمد الله ومجده، وصلى على النبي ﷺ، واستفتح القرآن، فذلك الذي يضحك الله إليه، يقول: انظروا إلى عبدي قائماً لا يراه أحد غيري»[١٠].

٩. عند ختم القرآن

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وحمد الرب، وصلى على النبي ﷺ، واستغفر ربه، فقد طلب الخير مكانه»[١١].

---

٨. سنن الترمذي (٥/٤٦١) رقم ٣٣٨٠ وقال: "هذا حديث حسن".
٩. موطأ مالك رواية محمد بن الحسن الشيباني (ص٣٣٤) رقم ٩٤٨.
١٠. بالسنن الكبرى للنسائي (١٢/٤٥٤) رقم ١٠٨١٣.
١١. الجامع لشعب الإيمان للبيهقي، ط. الرشد (٣/٤٣٢) رقم ١٩١٧ وقال البيهقي أحد رواة السند: «أبان هذا هو ابن أبي عياش. وهو ضعيف».

١٠. عند الهمِّ والكرب



عن أبيّ بن كعب، عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه»، قال أبيّ: قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: «ما شئت». قلت: الربع؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو خير لك»، قلت: النصف؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»، قلت: فالثلثين، قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»، قلت: أجعل لك صلاتي كلها قال: «إذاً تُكفى همك، ويُغفر لك ذنبك»[١٢].

١١. عند التوبة من الذنب

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «صلوا عليّ فإن الصلاة عليّ كفارة لكم، فمن صلى عليّ صلاة صلى الله عليه عشراً»[١٣].

---

١٢. سنن الترمذي (٤/٦٣٦) رقم ٢٤٥٧ وقال: «هذا حديث حسن».

١٣. الصلاة على النبي لابن أبي عاصم (ص٣٦) رقم٤٠.

١٢. عند قراءة الحديث وتبليغ العلم والذكر

كتب عمر بن عبد العزيز: أما بعد فإن أناساً من الناس قد التمسوا الدنيا بعمل الآخرة، وإن الناس من القصاص قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل صلاتهم على النبي ﷺ، فإذا جاءك كتابي هذا فمُرْهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين عامة ويدَعوا ما سوى ذلك»[١٤].

١٣. يوم الجمعة



عن أوس بن أبي أوس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ»[١٥].

هذا عرض لأشهر وأقوى أحاديث وآثار مواضع الصلاة على النبي ﷺ فيما عدا التشهد في الصلاة، من التزم بها حصّل خيراً عظيماً وأجراً كريماً، وهناك مواضع أخرى لم نذكرها لضعفها، ومن أراد التوسع فعليه الرجوع إلى كتاب (جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام) لابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى- فقد عد إحدى وأربعين موضعاً من المواضع التي تشرع فيها الصلاة على النبي ﷺ.

---

١٤. فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص٦٨) رقم ٦٧.

١٥. مسند أحمد (٨٤/٢٦) رقم ١٦١٦٢.

مُثوِّرات حب النبي ﷺ



الشيخ محمد بن محمد الأسطل

باحث في العلوم الشرعية



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين أما بعد:

فإنَّ حُبَّ النبيِّ ﷺ أمرٌ يجده الإنسان مبثوثًا في كل ناحيةٍ من نواحي نفسه، وقد لا يحسن أن يُعبَّر عنه؛ لأنَّ شأن المشاعر لا كشأن الأفكار والخواطر.

وأذكر أني حضرت مقطعًا يسأل فيه رجلٌ عيِّنةً عشوائيةً من الناس ما مفاده: لو طُرِق باب بيتك ففتحت الباب فوجدت النبيَّ ﷺ أمامك قد أتاك زائرًا ماذا تقول له؟! فكانت الدموع تنبعث فورًا من عددٍ منهم، وكانت أسبق من كلماتهم.



هذه الدموع هي ترجمة المحبة ودلالتها وعنوانها، وما تخطه أبلغ مما تنطق به الأفواه الفصيحة.

ولا تخطئ العين من اتصف بما جاء عند الإمام مسلم من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ»[1].

وحين أرسل إلي فضيلة الأستاذ الحبيب محمد إلهامي وفقه الله أن أكتب في هذا الموضوع لصالح مجلة أنصار النبي ﷺ في عددها الثاني عشر الذي جَعَلَتْهُ للحديث حول «حب النبي ﷺ» أعترف أني بقيت حائرًا لا أهتدي لسطرٍ أكتبه، رغم تلك المشاعر التي تغمرك بأن هذا الموضوع يكاد يسد الأفق من كثرة شواهده وما يدل عليه.

واستنطقت أحد ذوي الفضل لأستخرج منه فكرةً أكتبها قلت له: اذكر لي شيئًا يُهيّج فيك حب النبي ﷺ فقال فورًا: الأشياء كثيرة جدًّا ولا أستطيع أن أحصيها.

فقلت: هيا نبدأ، قل.

١. صحيح مسلم، رقم الحديث: (٧٣٢٣).



فحين أراد أن يتكلم ما استطاع أن يُسجِّل أمرًا واحدًا، وبدأ يحيل على المشاعر، وهذا الذي وجده في نفسه هو الذي وجدته في نفسي!

وبقيت على ذلك حتى يسَّر الله لي مفتاحًا لفتح المقال في هذه القضية، ثم بدا لي أن أكتب في ناحيةٍ دقيقةٍ من هذا الموضوع المتشعب؛ وذلك في المُثِّرات التي تُهيِّج حب النبي ﷺ في القلوب والأذهان غير ما نزل عليه من خصوص الوحي.

وذلك أنَّ كثيرًا من المعاني المتعلقة بالنبي ﷺ وعبقريته وعمله لا تُستحضر على وجهها؛ إذ يُرجع البسطاء كل قولٍ قاله وكل عملٍ عمله إلى وحي خاصٍّ نزل بذلك، فأحببت أن أختار ما يُثوِّر مشاعر الحب له ﷺ من خصائص ومعالم فضله من غير أن يكون من خصوص الوحي الإلهي المنزل عليه.

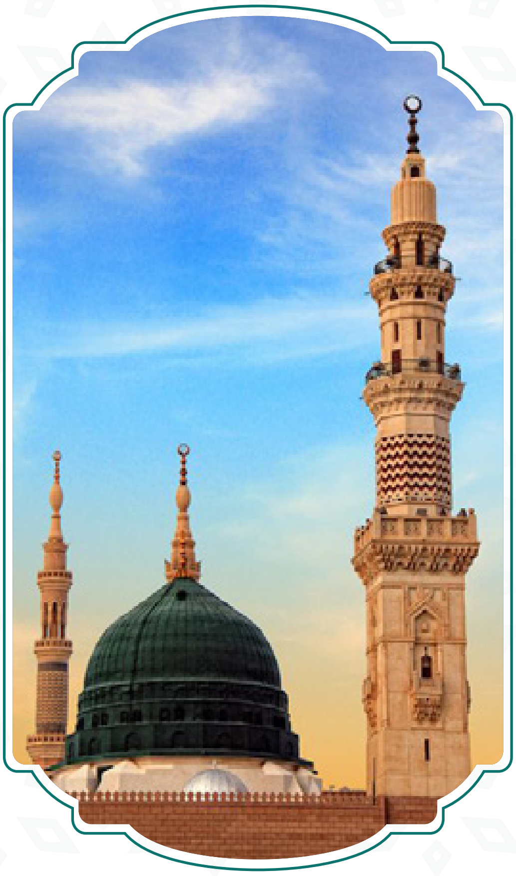
وأهمية الموضوع تزداد اليوم أن شخص النبي ﷺ بات مستهدفًا من الغرب وأذياله كما نرى بين الفينة والأخرى، واستحضار هذه القضية مهمٌّ في مقام نصرته والدعوة إلى سنته وتحريض المسلمين على الذب عنه وعن شريعته ومنهجه.

وقبل سرد ما يسَّر الله الاهتداء إليه أحب أن أُذَكِّرَ بأنَّ حبَّ النبيِّ ﷺ عقيدةٌ ودين، ويجب ألا يتقدم حب شيءٍ على حب الله ورسوله ﷺ، وجاء الوعيد حين يتخلف ذلك كما في قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وهذه الآية جمعت محبوبات الدنيا وأبرز متعلقات النفوس في كفة وحب الله ورسوله ﷺ في كفة وقرَّعت من كانت تلك المحبوبات أحب إليه من الله ورسوله وتوعدته وحكمت عليه بأنه ممن ضل ولم يهده الله.

وعند البخاري عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ قَالَ: كُنَّا مع النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي.



فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ».

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي.

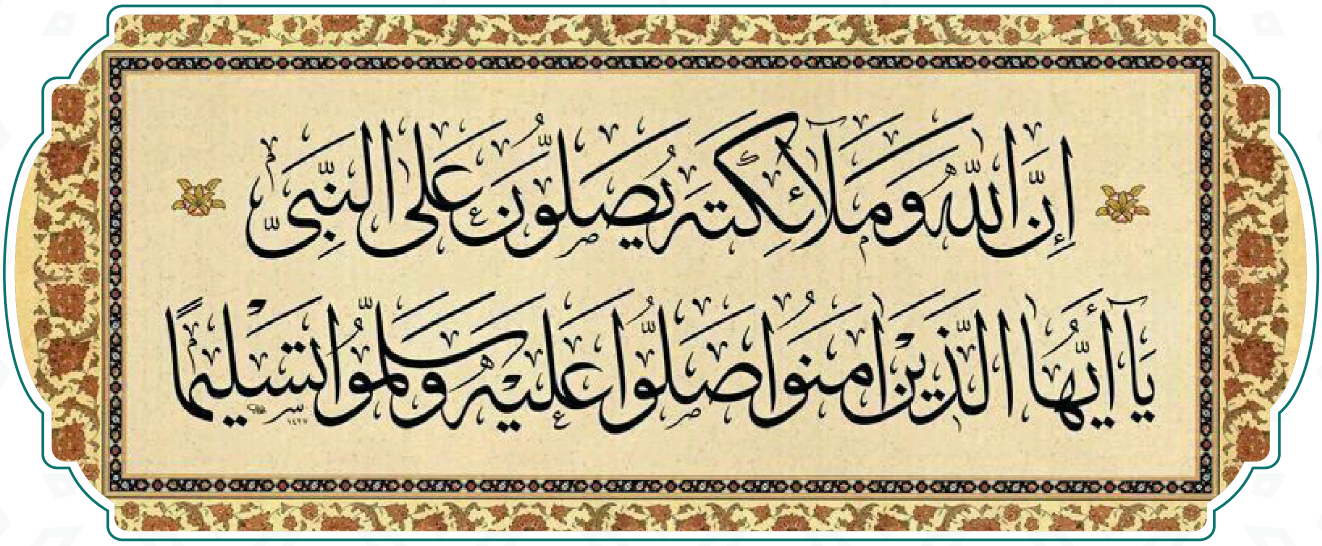
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْآنَ يَا عُمَرُ»[٢].

إذا استحضرت ذلك فلنلو القلم إلى طرفٍ مما يُثوِّر في النفوس حب النبي ﷺ، وقد اخترت الأمور الخمسة الآتية:

٢. صحيح البخاري، رقم الحديث: (٦٦٣٢).

أولًا: فضيلة الاصطفاء العظيم

فإن مجرد اختيار هذا الرجل ليكون أفضل رجل خلقه الله في الأولين والآخرين، وأن اسمه مكتوبٌ على باب الجنة، وأنه لا يصح إيمان إنسان إلا بالإيمان به، وأن ما من نبي إلا وأخبر قومه بوجوب الإيمان به ﷺ حين يبعث، وأنه الذي يشفع في الخلائق يوم القيامة وأنه صاحب درجة الوسيلة التي لا تنبغي لأحدٍ من العالمين سواه، وأنه الذي ائتمنه الله على وحيه ودينه.. كل ذلك يحمل على السؤال مباشرة: ما الذي بلغه هذا الرجل العظيم من العظمة والصدق والإخلاص والتقوى والخير ليبلغ هذه المنزلة عند الله تعالى!

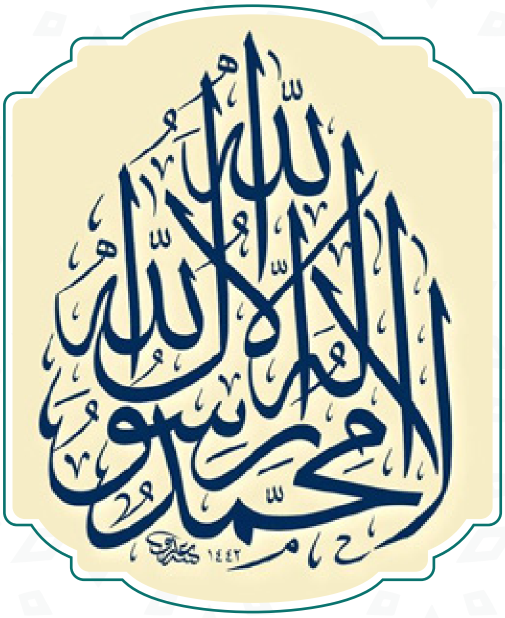


إنَّ هذا الرجل هو النبي الرسول الذي اختاره الله ليكون أفضل الأنبياء والمرسلين، وهو الذي شرَّفه الله بإمامة الأنبياء في المسجد الأقصى ليلة الإسراء؛ كما في حديث النسائي: «ثُمَّ دَخَلْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَجُمِعَ لِي الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِم السَّلَام فَقَدَّمَنِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَمَّمْتُهُمْ»[٣].

---

٣. سنن النسائي، رقم الحديث: (٤٤٩).

إنَّ هذا الرجل الذي يطعم طعامنا ويشرب شرابنا ويتكلم كلامنا كلمه الله تعالى ورفعه إليه حتى بلغ سدرة المنتهى ودخل الجنة؛ روى الإمام أحمد في مسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَسَمِعَ مِنْ جَانِبِهَا وَجْسًا -أي: صوتًا خفيًّا- قَالَ: «يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا»؟ قَالَ: «هَذَا بِلَالٌ»[٤].



صلى الله وسلم عليك يا حبيبي يا رسول الله.

ثانيًا: عنايته بأمر الأمة وتركه لأمجاده الشخصية

إذا عدنا إلى اللحظة التي جاءته فيها النبوة والرسالة وسمع قول الله: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ٢] ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ٢] وجدناه قد قام لله أكثر من عشرين سنة ولم يقعد حتى جاءه رسول الرفيق الأعلى يخيره بين الموت والحياة فاختار ما عند الله.

لقد كان ذهنه مسكونًا بهاجس الدعوة وهمِّ إنقاذ الناس من النار وتأسيس دولة لهذا الدين الجديد، وغابت نفسه -التي نشأت في بيئة كان الفخر من أهم معالم الحالة الاجتماعية فيها- في ذلك الهم العظيم.

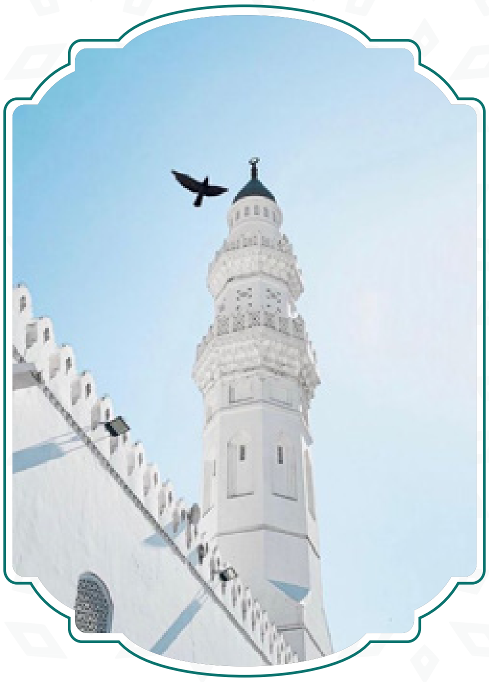
والأمثلة والمواقف في ذلك أكثر من أن تُحصى، ومما وَجَدْتُّ له تأثيرًا بالغًا في نفسي ذلك الخطاب السياسي الأول الذي صَرَّح به لحظة وصوله لمشارف المدينة في قباء عقب رحلة المطاردة ومحاولة الاغتيال.

إنَّ الواحد منا لو تعرض لخطر الاغتيال ويسَّر الله له الفرار والنجاة لبقي أيامًا وأسابيع وربما أشهر وهو يتحدث عن ذلك عند كل مناسبةٍ تلوح.

---

٤. مسند أحمد، رقم الحديث: (٢٣٢٤).

أما النبي ﷺ الذي مرَّ بمحاولة الاغتيال، ثم التخفي في الغار واتخاذ كل التدابير الأمنية لتجاوز ذلك، خاصة بعد أن صار القبض عليه المطلبَ الأول لزعماء قريش، ورصدوا الجوائز الضخمة في ذلك.. وجدناه حين وصل المدينة وذاق طعم الأمان لا يحدث الناس عما جرى له ولو بحرفٍ واحد، بل كان أول ما تكلم به أن أشار لسياسته في التعامل مع مشكلات المجتمع الجديد، مما يعني أنه بدأ بأحوالهم والاعتناء بحل مشاكلهم من أول ساعةٍ وأهمل حاله هو.



أخرج الترمذي وابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»[٥].

لقد بدأ بالأمر الأول «أفشوا السلام» بمعالجة المعاركِ الضارية بين الأوس والخزرج وتفتت المكون الاجتماعي بالمدينة، وبالأمر الثاني «وأطعموا الطعام» حاجة المهاجرين الذين وصلوا المدينة وسائر ذوي الحاجة في المدينة، وبالأمر الثالث «وصلوا بالليل والناس نيام» الحظَّ التربوي الذي عليهم أن يتلقوه؛ فإن قيام الليل هو أصل العملية التربوية، وأهم جرعة في بناء جيل التأسيس، وهو الأمر الذي ربَّى عليه المهاجرين في مكة، والآن يربي عليه أنصاره في المدينة.

٥. سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٨٥)، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (١٣٣٤).

فهذا الخطاب السياسي الموجز استعرض فيه الخطوط العامة التي تتشقق عنها خطته في المرحلة الأولى من مقامه في المدينة.

ومن العجيب الذي لا يكاد يدرك قيمته إلا من جرَّب الغربة أنه حين وصل قباء بنى فيها مسجدًا، وحين دخل المدينة بنى فيها مسجدًا، ثم بنى لنفسه بيتًا، مما يعني أنه بنى لله بيتين قبل أن يبني بيتًا لنفسه، والمغترب يعلم أنَّ المرتحل أول ما يحرص عليه تحصيل الاستقرار النفسي والاجتماعي والذي يعد بناء البيت فيه أول فصوله.



لكن النبي ﷺ بدأ بالعمل من اللحظة الأولى عقب المطاردة وقبل ترتيب أمر نفسه، صلى الله وسلم عليك يا حبيبي يا رسول الله.

ثالثًا: رأفته بالأمة ورحمته لها

وشواهد ذلك تمرد على الحصر، ومن ذلك:

- أنه كان يترك الشيء أو الأمر به لئلا يشق على أمته.

روى الترمذي عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، وَلَأَخَّرْتُ صَلَاةَ الْعِشَاءِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ»[٦].

٦. سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣).

ولما أعتم ذات ليلة حتى نام أهل المسجد خرج فصلَّى العشاء وقال: «إِنَّهُ لَوَقْتُهَا لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي»[٧].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهِ لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكِنْ لاَ أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً فَيَتَّبِعُونِي وَلاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَقْعُدُوا بَعْدِي»[٨].

- وكان إذا سمع بكاء الصبي يخفف من صلاته رأفةً بأمه.

- وكان يتجاوز عن حقه، وقد بلغ في ذلك شأوًا عجيبًا مدهشًا يأخذ بالألباب كل مأخذ، ورأينا رحمته بالكفار أنفسهم، وحرصه ألا يعذبوا، وكان من عمق نظره أنه لئن فات الجيل القائم فإن المطمع لديه في هداية الجيل القادم.

وانظر إلى دعائه الذي ناجى فيه ربه حين تعرض للرمي بالحجارة من سفهاء الطائف قبل حوار ملك الجبال بقليل:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك».

---

٧. صحيح مسلم، رقم الحديث: (١٤٧٧).

٨. صحيح البخاري، رقم الحديث: (٢٩٧٢)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٤٩٧١) واللفظ لمسلم.

ولم يكن هذا الحدث فذًّا لا نظائر له؛ بل كان الأذى هو العنوان الأبرز للمرحلة المكية، تعرض النبي ﷺ للأذى البدني في نفسه وفي أصحابه، وتعرض للأذى النفسي، وطُلِّقت ابنتاه من ابني أبي لهب، وعُيِّر بموت أولاده وغير ذلك.

هذا كله سوى ما قُدِّر عليه من البلاء؛ فقد مات أبوه وأمه وجده وعمه وزوجته خديجة وأولاده وبناته إلا واحدة، وكان كثير المرض حتى قالت عائشة رضي الله عنها: تعلمت الطب من كثرة أمراض النبي ﷺ وما ينعت له؛ أي: من الدواء.



فيا لله ما الذي تحمله هذه النفسية المطمئنة من الإيمان!

إن حب النبي ﷺ ليتغلغل في النفوس بعيدًا بعيدًا، حتى ليستحي الإنسان من نفسه أن يطرح موضوع الحب نفسه مع هذا الرجل العظيم.

صلى الله وسلم عليك يا حبيبي يا رسول الله.

رابعًا: تعليم الأمة دقائق العبادة

أشرت في صدر المقال إلى أنَّ فضل النبي ﷺ لم يحصر في كونه مبلغًا للوحي فقط؛ بحيث لا يصدر عنه إلا ما أمره الله بتبليغه؛ بل كان حاله ترجمةَ الفهم عن الله تعالى، ويشمل هذا ساحة العبادات نفسها.

خذ هذا المثال على ذلك:

أخرج ابنُ حبان في صحيحه من حديث عبيد بن عمير رضي الله عنه أنه قال لعائشة رضي الله عنها: أخبرينا بأعجب شيءٍ رأيتِهِ من رسول الله ﷺ قال: فسكتتْ، ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: «يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي»!



قلت: والله إني لأحبُّ قربك، وأحبُّ ما سرَّك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي.

قالت: فلم يزل يبكي حتى بلَّ حِجْرَهُ، قالت: ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بلَّ لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض، فجاء بلالٌ يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله لم تبكي، وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟!

قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا، لقد نزلت علي الليلة آية، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..﴾ الآية كلُّها [آل عمران: ١٩٠][٩].

٩. صحيح ابن حبان، رقم الحديث: (٦٢٠)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم: (١٤٦٨).

فبلال رضي الله عنه يسأله عن سبب تحمله للمشقة في العبادة ظنًّا أن ذلك يفعل لطلب المغفرة من الذنوب وتحصيل الرحمة ليس إلا، وحيث إن النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلا يحتاج إلى ذلك، فأرشده ﷺ إلى طريق قد لا يخطر ببال كثيرين من الناس وهو طريق الشكر، وأن الإنسان المتعبد قد يتعنى في العبادة والثبات عليها وإمضاء الساعات فيها شكرًا لله[١٠].

خامسًا: عبقرية الإدارة والقيادة



ومن المحطات التي يمكن الوقوف عندها في هذا الباب الثلاث الآتية:

أولًا: أن النبي ﷺ حين قدم المدينة اشتغل من أول يوم على استقلال الأمة سياسيًّا واقتصاديًّا، فدخلها حاكمًا، وبنى المسجد ليكون مجمعًا للمسلمين وبديلًا عن دار الندوة، وقصم ما يُنكر من قانون الجوار بنظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وألغى النظام السياسي المتبع في العرب القائم على سلطة القبيلة بالوثيقة عبر بنودٍ تفصيليةٍ تعرف من كتب السيرة ليجمع بذلك جميع أهل المدينة تحت لوائه، واتخذ سوقًا خاصًّا بالمسلمين، وأذانًا خاصًّا بهم يميزهم عن غيرهم، ورغَّب في شراء بئر رومة لئلا يستأثر بالماء يهودي أو غيره وهو ما هو من الحاجة لدى الناس.

---

١٠. فتح الباري (١٥/٣).

روى الترمذي والنسائي أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ يُسْتَعْذَبُ غَيْرَ بِئْرِ رُومَةَ فَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلُ فِيهَا دَلْوَهُ مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ»[١١]، فاشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه من صلب ماله.



ولعلك لاحظت أنه ﷺ اشترط أن يكون دلو المشتري واحدًا مع دلاء المسلمين؛ لئلا يتحكم بأساسيات حياتنا أحدٌ من الناس، سواء كان كافرًا أو مسلمًا.

ثانيًا: لما قصد النبي ﷺ المدينة لم يدخلها مباشرة، بل مكث في قباء بضعة أيام، وقيل أكثر من ذلك، ورواية الزهري في الصحيح أنه مكث بضع عشرة ليلة، وأكثر ما قيل إنه مكث اثنين وعشرين يومًا.

ولو اعتمدنا أنه وصل قباء يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الجمعة فهذا يعني أنه مكث في قباء أربعة أيام أو خمسة، مع أن الهدف هو المدينة، ومرد ذلك أن المدينة اجتمعت على ابن سلول، ولا بد في تولي مقاليد الحكم في المدينة من استلام، فرُفِعَ اتفاقُهم على ابن سلول، وبدأت مراسم تسلم النبي ﷺ وإظهار الانقياد لأمره.

ولهذا بدأ في قباء بالالتقاء بقادة القبائل، والتعرف على مكونات المجتمع، ولما تم ذلك دخل المدينة حاكمًا لا داعيةً فحسب، ونسف النظام القائم، وقرر نظامًا جديدًا يضيق عن بيانه المقام، ولا يُعرف جيدًا إلا بمعرفة أنظمة الناس في الجاهلية.

---

١١. سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٧٠٣)، سنن النسائي، رقم الحديث: (٣٦٠١). وقد صححه الألباني.

ولهذا من المغالطات أن أول عمل قام به هو بناء المسجد، والصواب هو تقرير معالم النظام السياسي الجديد ونسف النظام القديم وتسلم الحكم، وبعد ذلك أول عمل قام به هو بناء المسجد.

وهذا الدرس مهم للجماعات الإسلامية التي تصل إلى الحكم وتتعايش مع النظام القائم، والفقه السياسي ينص على أنه لن تستقل دولةٌ من كل وجه إلا بتحقيق ثلاثة إنجازات فارقة: القضاء على الدولة العميقة، ونسف النظام القائم، والتحرر من التبعية الدولية، وهذا الأخير هو الميدان الأكبر للمعركة والذي قد يستغرق عقودًا ويحتاج لجهود الأمة مجتمعة.

ثالثًا: مما يدلك على عبقرية البناء النبوي أن لحظة موته ﷺ لم تشهد فجوةً منهجية أو دستوريةً أو حضارية كما قد يحصل عند موت المؤسس.

بل ظهر من الصحابة رضي الله عنهم الكفاءة التامة التي برهنت أن النبي ﷺ ربى عمالقةً قاموا بالأمر بعده على خير وجه وأتمه، وما زالت أمانة الدين يتسلمها جيلٌ بعد جيل حتى وصلنا الإسلام غضًّا طريًّا بعد هذه القرون المتطاولة من عمر الإسلام، وعدد المسلمين اليوم يتجاوز 2 مليار مسلم بفضل الله رب العالمين.

وعامة النوازل التي حصلت من مثل حكم تغسيله ﷺ وكيفية تنصيب الخليفة واختياره وجمع الناس عليه، والتعامل مع المرتدين ثم البغاة، ومسألة جمع القرآن وغير ذلك كثير.. رأينا إبداعًا منقطع النظير من الصحابة رضي الله عنهم في تقرير فقهها والقيام بإزائها.

وأخيرًا: إن الكلام في مثل هذا كثير، والتقصير في حقه ﷺ كبير، وأستغفر الله من ذلك، وأختم بتحريض نفسي وإياكم على العناية باتباع السنة، وحسن قراءة السيرة، والحمد لله رب العالمين.



النَّبِيُّ الْمُفَدَّى

عبد الله الطبلوهي

باحث شرعي

حب النبي ﷺ عقيدة ودين، وعمل وسلوك، له دلائل ودرجات، ومن أسمى مراتب الحب مرتبة الفداء، حيث يفدي المرء النبي ﷺ بنفسه وأهله وماله وبالدنيا وما فيها، قال ﷺ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"[1].

والفداء نوع خاص من النصرة، فالنصرة قد تكون فيها مخاطرة وقد تكون بلا مخاطرة؛ أما الفداء فهو نصرة فيها مخاطرة وتضحية، ولذا ففضائل نصرة النبي ﷺ هي بعض فضائل فدائه،

---

١. متفق عليه.

قال تعالى: ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، وقال جل وعلا: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩]، قال الطبري: "معنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنُّصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال"[٢].

وقد امتدح الله جل وعلا المؤمنين بأنهم ينصرون النبي ﷺ نصراً يؤيد به، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]، وهذا النصر هو التطبيق العملي لتقديم المؤمنين النبي ﷺ على أنفسهم وفدائهم له، كما أخبر الله جل وعلا عن المؤمنين بقوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقال جل وعلا: ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [التوبة: ١٢٠].



فداء النبي ﷺ أمنية سامية للصحابة الكرام

كان من أسمى أماني الصحابة خاصة كبارهم رضي الله عنهم أن يفدوا النبي ﷺ بأنفسهم وأموالهم وأهاليهم، ويقولون في ذلك: فداك أبي وأمي، وفديتك، وجعلني الله فداك، بأبي أنت وأمي، ومن ذلك:

٢. تفسير الطبري.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه تكرر منه إعلان الفداء في كل المراحل؛ فعند الهجرة: "تجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهاجِرًا، فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ: عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي، فَقالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوَتَرْجُوهُ بِأَبِي أَنْتَ؟ قالَ: نَعَمْ"[٣].

وفي المدينة، قال أبو بكر رضي الله عنه: "بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِن تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِن تِلْكَ الأبوابِ كُلِّهَا، قالَ: نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ"[٤].

وفي آخر الحياة النبوية عندما جَلَسَ النبي ﷺ على المنبر فقال: "عَبْدٌ خَيَّرَهُ اللَّهُ بيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وبيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ". فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وبَكَى، فَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا[٥].

وبعد وفاة النبي الكريم ﷺ أقبل أبو بكر رضي الله عنه، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ وبَكَى، ثُمَّ قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، وَاللَّهِ لا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ أَمَّا المَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا[٦].

وهكذا كان بقية الصحابة رضي الله عنهم؛ فعائشة رضي الله عنها تقول: "يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ"[٧].



- وعمر رضي الله عنه يقول: "فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي"[٨].
- وأبو هريرة رضي الله عنه يقول: "يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي"[٩].
- وقال أبو طلحة رضي الله عنه: "يَا نَبِيَّ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ"[١٠].
- وقال أبو ذر رضي الله عنه: "جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ"[١١].

---

٣. رواه البخاري.
٤. رواه البخاري.
٥. متفق عليه.
٦. رواه البخاري.
٧. رواه البخاري.
٨. رواه مسلم.
٩. متفق عليه.
١٠. رواه البخاري.
١١. متفق عليه.



- وقال أبو موسى الأشعري: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، فدَاكَ أَبِي وَأُمِّي"[١٢].
- وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: "بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي"[١٣].
- وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:
- ومثل هذا كثير في السنة النبوية.

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي •• لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ[١٤]

صور من فداء الصحابة الكرام للنبي ﷺ

صور فداء الصحابة للنبي ﷺ كثيرة جداً، تشمل بيعتهم له وجهادهم معه وتحملهم البأساء والضراء والزلزلة في سبيل الله جل وعلا نصرة لله ولرسوله، ولكن هناك صور من الفداء جلية تتعلق بوضوح بشخص النبي الكريم ﷺ، ومن تلك الصور:

وقوفهم دونه يمنعون عنه المشركين

فهذا أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه يوم أحد "بيْنَ يَدَي النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَه -محصنه ومحيطه بترس-، وكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ، كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، وكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ بِجَعْبَةٍ مِنَ النَّبْلِ، فيَقُولُ: انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ، ويُشْرِفُ النَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ إلَى القَوْمِ، فيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لاَ تُشْرِفْ، يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ القَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ"[١٥].

---

١٢. رواه البخاري.
١٣. رواه البخاري.
١٤. متفق عليه.
١٥. متفق عليه.

وأُفرد رسول الله ﷺ يوم أحد في سبعة من الأنصار واثنين من المهاجرين، "فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ"[١٦].

وأوضح تعبير لما كانوا عليه رضي الله عنهم، قول سعد بن الربيع رضي الله عنه في سكرات الموت: "قُلْ لِقَوْمِي الْأَنْصَارِ: لَا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يُخْلَصَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِيكُمْ شُفْرٌ يَطْرِفُ"[١٧]، وفي رواية: "وَأَخْبِرْ قَوْمَكَ أَنَّهُ لَا عُذْرَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَوَاحِدٌ مِنْهُمْ حَيٌّ"[١٨].

تعريض أنفسهم للخطر في سبيل الانتقام من المتطاول عليه

فمحمد بن مسلمة رضي الله عنه يخاطر بنفسه ويأتي كعب بن الأشرف في حصنه فيقتله لأنه آذى الله ورسوله ﷺ[١٩].

وكذلك عبد الله بن عتيك رضي الله عنه يأتي حصن أبي رافع سلام بن أبي الحقيق الذي آذى رسول الله ﷺ فيقتله في قلب حصنه[٢٠].



وهذان فتيان من الأنصار يخاطران بأنفسهما يوم بدر ليقتلا أبا جهل المتطاول على النبي ﷺ، قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: "بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي

---

١٦. رواه مسلم.
١٧. رواه الحاكم.
١٨. رواه مالك.
١٩. القصة متفق عليها.
٢٠. القصة في صحيح البخاري.

أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمِّ، هَل تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، قَالَ: فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ مِثْلَهَا، قَالَ: فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَلَا تَرَيَانِ؟ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ، قَالَ: فَابْتَدَرَاهُ فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلَاهُ"[٢١].

فداء النبي ﷺ بعد انتقاله للرفيق الأعلى

قال عليه الصلاة والسلام: "لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ"[٢٢]، فالصالحون يتمنون رؤيته عليه الصلاة والسلام ولو قدموا في سبيل ذلك أهلهم ومالهم، فكيف بفدائه عليه الصلاة والسلام؟!

قال ابن حجر: "كل أحد من الصحابة بعد موته ﷺ كان يود لو كان رآه وفقد مثل أهله وماله، وإنما قلت ذلك؛ لأن كل أحد ممن بعدهم إلى زماننا هذا يتمنى مثل ذلك فكيف بهم مع عظيم منزلته عندهم ومحبتهم فيه"[٢٣].

وفداؤه عليه الصلاة والسلام بعد موته يكون بفداء دينه وعرضه وشريعته وسنته وأتباعه ومقدسات المسلمين وديارهم، فداء يحمي الحمى ويعظِّم الشعائر ويشف صدور قوم مؤمنين، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

أسأل الله أن يجعلنا فدى النبي ﷺ بأبائنا هو وأمهاتنا ﷺ، والحمد لله رب العالمين.

---

٢١. متفق عليه.
٢٢. متفق عليه.
٢٣. فتح الباري.



كيف أحبوه وكيف نحبه؟



الشيخ حسين عبد العال

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

لم يوجد في التاريخ القديم ولا الحديث، أن أحدًا أحب ملكًا ولا نبيًا، بل ولا أبًا أو أمًا، كحب أصحاب محمد محمدًا ﷺ.

وهذا ما صرح به أعدى أعدائه آنذاك عروة بن مسعود الثقفي، بعد عودته من جولته للتفاوض مع النبي ﷺ يوم الحديبية، فلما رجع لقريش قال لهم: أي قوم، والله لقد وفدت على

---

١. الرحيق المختوم، ص٣١١.

الملوك، على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كَف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له، وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها[1].



فهذا الذي يسميه عروة تعظيمًا هو منتهى الحب لرسول الله ﷺ. وإليك نماذج من حب الصحابة للنبي ﷺ:

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والذي كان في الجاهلية حريصًا على قتل النبي ﷺ، فلما هداه الله للإسلام ولازم النبي ﷺ، ما كان منه إلا أن أحبه أشد الحب، عن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي! فقال النبي ﷺ: «لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك». فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إليّ من نفسي، فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر»[2].

فلما صار أميرًا للمؤمنين حدث معه موقف جميل مع العباس رضي الله عنه يظهر حبه العظيم وحرصه على عدم مخالفة النبي ﷺ، فعن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب، أخي عبد الله، قال: كان للعباس

---

٢. البخاري، رقم ٦٦٣٢.

ميزاب على طريق عمر بن الخطاب، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة، وقد كان ذبح للعباس فرخان، فلما وافى الميزاب، صب ماء بدم الفرخين، فأصاب عمر وفيه دم الفرخين، فأمر عمر بقلعه، ثم رجع عمر، فطرح ثيابه، ولبس ثيابًا غير ثيابه، ثم جاء فصلى بالناس، فأتاه العباس، فقال: «والله إنه للموضع الذي وضعه النبي ﷺ»، فقال عمر للعباس: وأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، ففعل ذلك العباس رضي الله عنه[٣].



فتخيل أمير المؤمنين يقف حاملًا العباس فوق كتفيه ليضع الميزاب في المكان الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ، حتى لا يكون قد أزال شيئًا وضعه النبي ﷺ، وإن كان رأيه أن يزال، وذلك لا يكون إلا من شدة حبه واتباعه للنبي ﷺ.

وهذا سيدنا أبو فراس ربيعة بن كعب الأسلمي، وأحد أهل الصفة، كان يخدم النبي ﷺ، وهو شديد الشغف به، حتى إنه كان لا يطيق فراق النبي ﷺ، فيبيت على بابه، تحرياً لحاجته، وكي يكون أول من يراه عند خروجه، لشدة حرصه على خدمة النبي ﷺ، وقيل إن النبي ﷺ غاب عنه يومًا كاملًا فحزن لذلك حزنًا شديدًا لشدة شوقه له، فعن ربيعة بن كعب قال:

٣. مسند أحمد، رقم ١٧٩٠.



كنت أخدم رسول الله ﷺ وأقوم له في حوائجه نهاري أجمع، حتى يصلي رسول الله ﷺ العشاء الآخرة فأجلس ببابه، إذا دخل بيته أقول: لعلها أن تحدث لرسول الله ﷺ حاجة فما أزال أسمعه يقول ﷺ: «سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله وبحمده»، حتى أملّ فأرجع، أو تغلبني عيني فأرقد، قال: فقال لي يومًا لما يرى من خفتي له، وخدمتي إياه: «سَلني يا ربيعة أعطِك»، قال: فقلت: أنظر في أمري يا رسول الله ثم أعلمك ذلك.

قال: ففكرت في نفسي فعرفت أن الدنيا منقطعة زائلة، وأن لي فيها رزقًا سيكفيني ويأتيني، قال: فقلت: أسأل رسول الله ﷺ لآخرتي فإنه من الله عز وجل بالمنزل الذي هو به، قال: فجئت فقال: «ما فعلت يا ربيعة؟»، قال: فقلت: نعم يا رسول الله، أسألك أن تشفع لي إلى ربك فيعتقني من النار، قال: فقال: «مَن أمرك بهذا يا ربيعة؟»، قال: فقلت: لا والله الذي بعثك بالحق ما أمرني به أحد، ولكنك لما قلت سَلْني أعطك وكنتَ من الله بالمنزل الذي أنت به نظرت في أمري، وعرفتُ أن الدنيا منقطعة وزائلة وأن لي فيها رزقًا سيأتيني فقلت: أسألُ رسول الله ﷺ لآخرتي. قال: فصمت رسول الله ﷺ طويلًا ثم قال لي: «إني فاعل، فأعنّي على نفسك بكثرة السجود»[٤].

وهذا أبو بكر وما بالك بأبي بكر رضي الله عنه، الذي فدا رسول الله ﷺ بكل ما يملك من المال والوقت والأهل، ومواقفه في حب وفداء النبي ﷺ تكاد لا تُحصى، فهو يبين لنا معنى الحب عمليًا، قال أبو بكر:

---

٤. مسند أحمد رقم ١٦٥٧٩

«مررنا براع وقد عطش رسول الله ﷺ»، قال أبو بكر رضي الله عنه: «فحلبت كثبةً من لبن في قدح، فشربَ حتى رضيتُ، وأتانا سراقة بن جعشم على فرس فدعا عليه، فطلب إليه سراقة أن لا يدعو عليه وأن يرجع، ففعل النبي ﷺ»[٥].

فانظر لقوله فشرب حتى رضيت، فكأن الشارب هو رضي الله عنه، فلما رضي رسول الله ﷺ وشعر بذلك أبوبكر رضي الله عنه عبّر بقوله «حتى رضيتُ».

وسُئل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه «كيف كان حبكم؟»، أي معشر الصحابة أو جماعة أهل البيت لرسول الله ﷺ؟ قال -أي علي رضي الله تعالى عنه-: «كان -أي النبي ﷺ- والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ»[٦].

وهذا عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: «وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ، ولا أجلّ في عيني منه، وما كنتُ أطيق أن أملأ عيني منه إجلالًا له، ولو سُئلت أن أصِفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه»[٧].



٥. البخاري، رقم ٥٦٠٧.
٦. كتاب شرح الشفا، ج٢ ص٤٢.
٧. مسلم، رقم ١٢١، جزء من حديث طويل.

ويحدثنا عن هذا المعنى سيدنا أنس رضي الله عنه فيقول: «لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا»[٨].



فانظر كيف يعبر رضي الله عنه عن مدى حب الصحابة له ﷺ.

بل وموقف الأنصار منه ﷺ يوم توزيع غنائم حُنين، خير شاهد على مدى حبهم لشخصه ﷺ، فقد جاء في (الرحيق المختوم) للمباركفوري:

فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعتَ في هذا الفيء الذي أصبتَ، قسمتَ في قومك، وأعطيتَ عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يكُ في هذا الحي من الأنصار منها شيء. قال: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟» قال: يا رسول الله ما أنا إلا من قومي: قال: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة».

فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة، فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فردّهم، فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال: لقد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

---

٨. الترمذي، رقم ٣٦١٨.



«يا معشر الأنصار مقالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها علي في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟» قالوا: بلى، الله ورسوله أمنّ وأفضل، ثم قال: «ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟» قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المن والفضل. قال: «أما والله لو شئتم لقلتم، فلصَدقتم ولصُدقتم: آتيتنا مكذَّباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك». «أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاعة من الدنيا تألفتُ بها قومًا ليُسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شِعباً، وسلكتِ الأنصار شعباً، لسلكتُ شِعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار».

فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قَسْماً وحظاً. ثم انصرف رسول الله ﷺ، وتفرقوا.[٩]

فانظر كيف علم النبي ﷺ بمكانته في قلوبهم، فقال كلمته العظيمة: «ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟» عندها بكوا وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قَسْماً وحظًا.

---

٩. الرحيق المختوم ٣٨٧، ٣٨٨.

فلقد أصبح النبي ﷺ أحب شيء إليهم، نسوا من حبهم له كل لُعاعة من الدنيا، فلما مات رسول الله ﷺ كان ذاك اليوم أصعب وأشد يوم عليهم، يصفه أنس رضي الله عنه بقوله: «أظلم منها كل شيء».

فإذا كان النبي ﷺ قد ملك شغاف قلوب أصحابه رضي الله عنهم بهذه الصورة المشرقة، فحري بنا نحن أيضًا أن نحب رسول الله ﷺ حبًا لا يساويه حب أحد من البشر، ولا حب متاع زائل من متاع الدنيا، لا سيما إن كانوا هم أصحابه، فنحن أيضًا إخوانه، وهي منزلة عالية للمخلصين العاملين منا، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه أتى إلى المقبرة، فسلم على أهل المقبرة، فقال:

«سلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون». ثم قال: «وددت أنا قد رأينا إخواننا».



قال: **فقالوا:** يا رسول الله، ألسنا بإخوانك؟

قال: «بل أنتم أصحابي، وإخواني الذين لم يأتوا بعد، وأنا فَرَطُهم على الحوض».

فقالوا: يا رسول الله، كيف تعرف من لم يأتِ من أمتك بعد؟

قال: «أرأيت لو أن رجلًا كان له خيل غرٌّ محجَّلةٌ بينَ ظَهْراني خيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، ألم يكن يعرفها؟»

قالوا: بلى.

قال: «فإنهم يأتون يوم القيامة غرًا محجلين من أثر الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض».

ثم قال: «ألا ليذُادنّ رجال منكم عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم، فيقال: إنهم بدلوا بعدك، فأقول: سحقًا، سحقًا»[١٠].

فليكن حبنا له ﷺ كحبهم، أو قريبًا منه، وليكن اتباعنا له ولسنته كاتباعهم، وإيانا والتبديل من بعده، فإن ذلك سبب للطرد من على حوضه ﷺ.



اللهم اجعلنا متبعين ومحبين ولا تجعلنا من المبتدعين المبدلين، اللهم ارزقنا نصرته والدفاع عن جنابه، وحمل سنته والقيام بحقها، ووفق اللهم هذه المجلة المباركة، وهيئ لها سبل النجاح والتوفيق، فكما أتمت عامها الأول بخير وبركة، وفقها للقيام بدورها، حتى تتم نصرة الإسلام، وقيام الخلافة وتحكيم الشريعة اللهم آمين يا رب العالمين.

---

١٠. مسند أحمد رقم ٧٩٩٣.



من محبة النبي ﷺ

«إجلال الحق الذي جاءنا به»



هدى عبد الرحمن النمر

كاتبة وباحثة

لو كان البحر مِدادًا لكلمات البيان عن محبة النبي ﷺ وإجلال مناقبه، لنَفِد البحر قبل أن ينقضي البيان وما تنفد المناقب. وعلى ذلك قد أجاد من هم خير مني في آيات المحبة والإجلال نثرًا وشعرًا، فرأيت أن أفرد السطور التالية في بيان وجه من وجوه محبة النبي ﷺ، كثر التقصير فيه واشتدت الغفلة عنه؛ ألا وهو إجلال الحق الذي بَعثَ الله تعالى به المصطفى ﷺ، وتكبّد ﷺ وأصحابه وسلف المسلمين ما تكبّدوا في سبيل خدمته وحفظه وإيصاله للعالمين، وشرّفنا الله تعالى بأن نكون من أهله، وأنعم علينا بالانتساب له ابتداء بغير عناء منا.

كيف يكون إجلال الحق؟ هذا ما تبسطه السطور التالية..

العلم بالحق

أول سبيل لإجلال ذلك الحق، هو الإقبال على تعلمه بحق، أي بجدية ومن موارده الصحيحة. فالجهل في تصوّر الإسلام ليس مجرّد قلة العلم أو انعدامه، بل يشمل كذلك الانشغال عن أولوية ما يجب العلم به وما تحصل به النجاة، ولو كان ذلك الانشغال بسبب تحصيل علوم أخرى تالية في الأولوية، مصداق قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].



جاء في تفسير ابن كثير للآية، عن الحسن البصري أنه قال: «والله لَبَلَغَ مِنْ أَحَدِهِمْ بِدُنْيَاهُ أَنَّهُ يَقْلِبُ الدِّرْهَمَ عَلَى ظُفْرِهِ، فَيُخْبِرُكَ بِوَزْنِهِ، وَمَا يُحْسِنُ أَنْ يُصَلِّيَ!»».

فكم من عالم ومهندس وطبيب وغيرهم من البارعين في علم من علوم الدنيا، ولعله لا يميز أركان الوضوء أو الصلاة وسننهما وواجباتهما، أو يرتكب فيهم أخطاء وهو يحسب أنه يؤدي ما عليه! والأدهى أن كثيرًا من المسلمين حين يشتغلون بأي تخصص، لا يقدّمون كلام التخصص على كلام الدين فحسب، بل يتعاملون مع التخصص بوصفه منفصمًا عن الدين! فتجد الطبيب -مثلًا- لعله جاهل بما لا يسعه جهله بوصفه مسلمًا، ثم يضيف له الجهل بفقه ما يختص به كطبيب!



وهكذا صار الدين للجامع والتخصص للجامعة، وما لله لله وما لقيصر لقيصر! مع أن لفظة الدين لغة تعني ما يَدين له صاحبه، أي يخضع وينقاد، فيصبغ رؤيته للحياة في مختلف نواحي الوجود، التي تشمل ضمن ما تشمل حدود العلاقات ونهج المعاملات ومعالجة مختلف العلوم. هكذا يكون تطبيق الدين الذي يعتقده صاحبه، أن يجعل حركته في الحياة طوعًا له، لا أن يجعل الدين هو طوع حركته، فيعيد تأويله وصياغته وقصقصته وفاقًا!

ويحتج المتحججون بقول المصطفى ﷺ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»[١]. للفصم بين علوم الدين وعلوم الدنيا خاصة، إن لم يكن بين الدين والدنيا عامة! والحق أن السياق الكامل للحديث كما في صحيح مسلم: «أَنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ بقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ، فَقالَ: لو لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ قالَ: فَخَرَجَ شِيصًا، فَمَرَّ بِهِمْ فَقالَ: ما لِنَخْلِكُمْ؟ قالوا: قُلْتَ كَذَا وكَذَا، قالَ: أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ». والمُستفاد من الموقف والمقولة ذكره أهل العلم في المُصنّفات المعتبرة، منها عنونةُ الإمام النووي للحديث في شرحه على مسلم: «وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ ﷺ شَرْعًا دُونَ مَا ذَكَرَهُ مِنْ مَعَايِشِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ الرَّأْيِ»، ومنها قول القرطبي في شرحه «المُفهِم»: «إثبات عصمته ﷺ من الخطأ في التبليغ عن ربه». ولم يرد في أي شرح وجيه ذلك الاستنتاج المُخترع بغير علم ولا بيّنة!

---

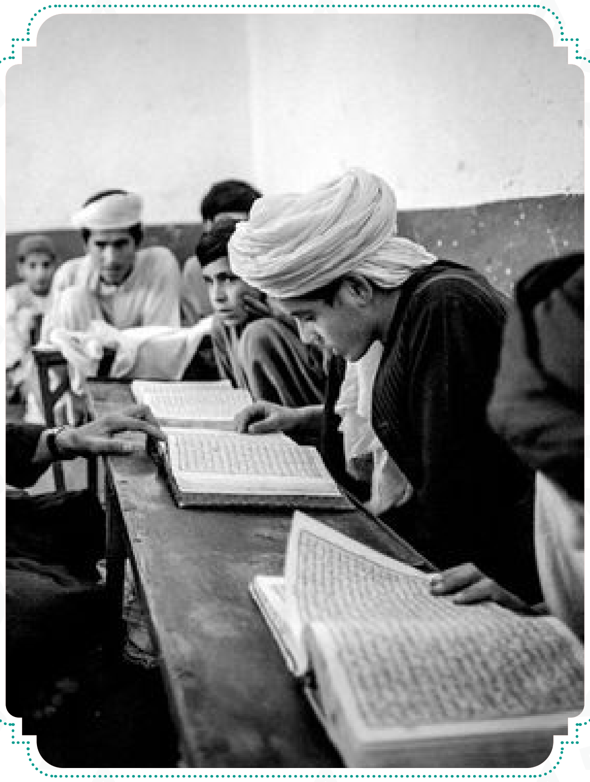
١. أخرجه الإمام مسلم.

والتطبيق العملي الصحيح هو أنه يلزم المسلم المشتغل بأي مشغلة في الحياة -كالفلاحة أو الزراعة في سياق الحديث- أن يعلم حدود الله تعالى فيها أولًا، من حلال وحرام ومندوب ومكروه ومباح؛ ثم حيث أباح الشارع له مساحة رأي شخصي أن يرتأي ما يرى. وفي مساحة الرأي المباحة هذه يتفاوت الناس في علمهم بأمور دنياهم بحسب اختصاصهم فيها: فالفلاح أقدر من الطبيب على تحديد نوع الثمر الأصلح للزراعة في كل تربة بحسبها، لكن إذا كان الطبيب هو صاحب الأرض وشاء أن يخالف رأي الفلاح المختص فله ذلك. كذلك الطبيب الذي يعالج مشكلة نفسية ذات صلة بالشهوة الجنسية -مثلًا- لا بد له من الإلمام الراسخ بقدر من العلم الطبي البدني أو الحيوي كما النفسي، وذلك من حيث كونه طبيبًا. ثم من حيث كونه طبيبًا مسلمًا يعالج مريضًا مسلمًا، لا بد له من المعرفة الراسخة بما يتعلق إجمالًا بالتصور الشرعي للجنس والشهوة وأحكامهما، خاصة في قضايا ومستجدات العصر كالميول الشاذة أو إدمان الإباحيات، بما سيتطلب منه تَعَلُّم قَدْرٍ يتجاوز ما يتعلمه المسلم عادة لتطبيقه الشخصي. بهذا ينضبط في فهمه ميزان تقدير مراحل العلاج ومادّته، وغربلة ما يرجع إليه من موارد أجنبية، وما ينتقي من عِلمِها أو يَذَرْ.

إذن يتضح أن الجهل المقصود في هذا المقام ليس مجرد جهل «بجزئية ما» أو «ببضعة مواضيع» يُرفع بقراءة بعض الكتب ومشاهدة بعض المرئيات التعليمية! بل الكلام على الجهل بالتصور الشرعي للوجود ككل، جهلًا مُقنّعًا بما ورثه صاحبه من تراكمات معرفية مشوهة على مدى سنوات التنشئة وتَفَتّح مداركه على الوجود.



ولا سبيل لرفع ذلك الجهل إلا بالتعلم الجاد لـ «علوم الاضطرار» قبل أي نوع آخر من العلوم. وهذا التعبير مستوحى مما جاء في «مجموع الفتاوي» لابن تيمية، الذي ذكر في فصل «ضرورة الشرع بالنسبة لحياة الإنسان»:



«الْإِنْسَانَ مُضْطَرٌّ إلَى الشَّرْعِ؛ فَإِنَّهُ بَيْنَ حَرَكَتَيْنِ: حَرَكَةٌ يَجْلِبُ بِهَا مَا يَنْفَعُهُ، وَحَرَكَةٌ يَدْفَعُ بِهَا مَا يَضُرُّهُ. وَالشَّرْعُ هُوَ النُّورُ الَّذِي يُبَيِّنُ مَا يَنْفَعُهُ وَمَا يَضُرُّهُ ... وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالشَّرْعِ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الضَّارِّ وَالنَّافِعِ بِالْحِسِّ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَحْصُلُ لِلْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ، فَإِنَّ الْحِمَارَ وَالْجَمَلَ يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الشَّعِيرِ وَالتُّرَابِ بَلْ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَضُرُّ فَاعِلَهَا فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ كَنَفْعِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ [...] وَلَوْلَا الرِّسَالَةُ لَمْ يَهْتَدِ الْعَقْلُ إلَى تَفَاصِيلِ النَّافِعِ وَالضَّارِّ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ...» اهـ.

تأمل في عبارة «الإنسان مُضطر للشّرع»، أي إلى معرفته. وتجد في مادة «ضرر» في (لسان العرب): «الِاضْطِرَارُ: الِاحْتِيَاجُ إِلَى الشَّيْءِ، واضْطُرَّ إِلَى الشَّيْءِ أَيْ أُلْجِئَ إِلَيْهِ».

فانظر إلى دقة تخيّر لفظة الاضطرار في ذلك الموضع، وكم إنها تبرز انتشار التيه والحيرة بين أجيال المسلمين اليوم في إسلام حياتهم وحياة إسلامهم، لافتقارهم لتلبية ذلك الاحتياج الاضطراري كما تُلبّى الاحتياجات الأخرى على مدى سنوات النشأة. فإذا بالأجساد تكبر والأعمار تتقدم، فيستقيم للصغير شأنه

حين يكبر في حاجات الدنيا والمعاش الحسي، وتظل حركته متخبطة طفولية في جوانب إقامة الوجود ونهج حياته ككل على أمر الله تعالى، لأنه لم يُحكِم فهمه بعد، ولا استقام تصوره الناضج له.



وأما مسألة الأخذ عن الآخرين والانتفاع بعلومهم، فالوسط فيها أن نرسخ أوّلًا فيما جاءَنا من الحقّ الناصع، قبل النظر فيما لدى الغير مما سيكون قطعًا مَشوبًا بالباطل وتخليطات عارية عن نور الله تعالى وهَدْي شرعه.

بهذا نكون قادرين على غربلتها بحقّها، والانتفاع بما يستحق الانتفاع به على وجهه. فشتّان بين أن تكون الحكمة ضالّة المؤمن وأن تكون ضَلالَه! كُن مؤمنًا أولًا ثم انشُد الحكمة. لكن أنّى تنشد حكمة بغير إيمان يُبيّن لك أية حكمة تنشُد، وأين تنشدها، وكيف تنشدها؟!

اليقين في الحق

وثاني مرحلة لإجلال الحق بعد تعلمه هو اليقين فيه يقينًا لا يخالطه ريب.

إذا طالعتَ معنى «الشريعة» في معجم «لسان العرب» وجدت أن «الشِّرْعَةُ وَالشَّرِيعَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: مَشْرَعَةُ الْمَاءِ، وَهِيَ مَوْرِدُ الشَّارِبَةِ الَّتِي يَشْرَعُهَا النَّاسُ، فَيَشْرَبُونَ مِنْهَا وَيَسْتَقُونَ. وَالْعَرَبُ لَا تُسَمِّيهَا شَرِيعَةً حَتَّى يَكُونَ الْمَاءُ عِدًّا لَا انْقِطَاعَ لَهُ، وَيَكُونُ ظَاهِرًا مَعِينًا لَا يُسْقَى بِالرِّشَاءِ» ا. هـ.

إذن لتكون الشريعة شريعة لا بد أن تكون مَنبعًا لا ينضَب، ولا بد أن يكون ذلك المنبع ظاهراً بيّنًا للناس ليستقوا منه، لا لَبس فيه أو استعصاء على بلوغه. إذا وَعَى المسلم تلك الدلالة، وَقَر في نفسه أن شرع الله تعالى هو سراجه الأكيد والدائم والتام في مختلف سبل الحياة، ومهما استعصى عليه أمر أو حار في إشكـال لم يتزعزع يقينه في ذلك، بل اتّهم فهمه وعلمه هو.

وتأمل فيما روته السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ. فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانُوا آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ. وَسَعَوْا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ فِي صَاحِبِكَ؟ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ فِي اللَّيْلِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ! قَالَ: أَوَ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ! قَالُوا: وَتُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لأُصَدِّقُهُ بِمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ: أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غُدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ. فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ: (الصِّدِّيقَ)»[٢].

فعجبًا لذلك اليقين الراسخ في الحق ولو أشكلت ظواهر الأمور، وعجبًا في المقابل لحالنا اليوم إذ ساد بيننا التذبذب في تصديق حقائق الدين في مواجهة أي نوع آخر من «الحقائق»، وصار من السهل التشكك في الدين ذاته لأدنى شبهة بدل اتهام جهلنا وقصور علمنا به وعنه. وسواء جَهَرت بذلك ألسِنة أو أضمرت، يظلّ ذلك التشكك أو قدر منه كامنًا في قلب كثير من المسلمين إلا من رحم ربي، يخالط إسلامهم ويكدّرهم عليه.

---

٢. أخرجه البيهقي والحاكم.

بيان الحق

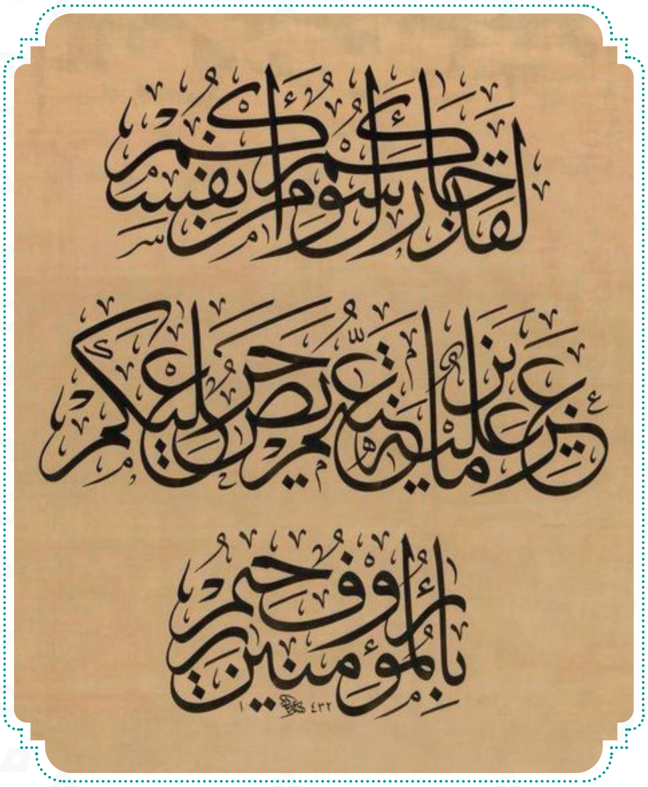
وثالث سبل إجلال الحق هو بيانه بحق، على وجهه الصحيح والمتقرر، دون تلبيس ولا تمييع ولا تطوع بإعادة تأويل وتهذيب حواشٍ!

فالمطلوب الشرعي من المسلم أن يُبلّغ ما بلَّغَه على علم وعن يقين بأنه الحق بالألف واللام، لا أن يُقنع من أمامه بالضرورة، ولا أن يتبنى موقف أن الإسلام مجرد رؤية شخصية من بين رؤى أخرى كلها على حق عند نفسها! فإنّ الاقتناع مرهون بعوامل كثيرة منها عقلية الآخر واستعداده النفسي، ولا يتوقف فحسب على مهارات المُقنع. ولذلك على المبلّغ أن يكون على بيّنة حقيقية من أمره هو، لا أن يثبت ذلك للآخرين، وألا يَغُضّ من قوة الحق في نفسي ضعف أثره عند غيره: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].



ومن أشهر نماذج سوء بيان الحق وأسوئها عاقبة أن يتأول كثيرون قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ [طه: ٤٤] على أنّ المقصود منهما التصرّف في متن الحق نفسه بحسب المخاطَب، لا أسلوب بيانه ومدخل عرضه! وكذلك يفهم منهما خطأ أن على المربي أو الناصح التربيت على أخطاء الناس وانحرافاتهم، والحذر من مصارحتهم بحدود الحرام

والحلال أو تسمية المعصية باسمها، خشية أن يَنفِروا من الدعوة ولا يستجيبوا لها! وهذه كلها أفهام عوجاء وتصورات مغلوطة. ذلك أن القصد من الموعظة الحسنة: «التذكرة بما في الكتاب والسنّة من الزواجر والوقائع، ليحذروا بأس الله»[٣]. فالمطلوب التلطف والحكمة في «بيان» الحق لا «إخفائه»!



وتأمل مثل الحبيب المصطفى ﷺ، ألين الخلق بالخلق وأرحمهم وأرأفهم لا مِراء، ومع ذلك ورد في شكوى قريش لعمّه أبي طالب: «يَا أَبَا طَالِبٍ، إنَّ ابْنَ أَخِيكَ قَدْ سَبَّ آلِهَتَنَا، وَعَابَ دِينَنَا وَسَفَّهُ أَحْلَامَنَا، وَضَلَّلَ آبَاءَنَا...»[٤].

فكيف يجتمع كونه عليه السلام مُنزّهًا عن الفظاظة وغِلظة القلب وسوء البيان، ومع ذلك صدع بالحق صدعًا آذى بني قومه؟!

والجواب أن رِفق إيصال الحق شيء، وثِقَل وطأة الحق على نفْسٍ من غَرِق في الباطل شيء آخر. فإنك مهما توخَّيت اللطف في إبلاغ أحد بخبر وفاة - مثلًا - مُربِّتًا على كَتِفه، تصله وطأة الخبر كاللطمة على وجهه! ومهما وازنتَ بين ألفاظ «تُوفِّي»، «انتقل لرحمة الله تعالى»، «لَقِيَ رَبَّه» عِوضًا عن «مات»، تظل العبارة في النهاية إفادة بالموت! وقد جعل الله تعالى القرآن مُيسَّرًا للذِّكر، لكن ذلك لا ينفي أنه قول ثقيل. فلا تعارض بين الكِفّتين، وإنما هي أقدار الأمور وطبائعها.

---

٣. تفسير الطبري.

٤. ابن هشام، السيرة النبوية.

الموعظة الحسنة المقصود في الدعوة هي: التلطّف في منهج بيان الحق، لا التفنّن في إخفائه، والحكمة في كشف الباطل بجلاء، لا التستّر عليه بدهاء



وسبب انحدار الطرح الدعوي المعاصر لمزلق تمييع الحق وتسطيحه من البداية تأثّره بالمستوردات الأجنبية التنموية، القائمة على الاشتغال بكسب الشعبيّة الجماهيرية، لا المعنيّة ببيان الحق. ولو استقام الجمع بين الحقّ والشعبيّة لكان الأنبياء أولى الناس بذلك، لاكتمالهم خَلقًا وخُلقًا، وامتيازهم القطعيّ من كل وجه على كل الخلق لا فقط الدعاة والمتحدثين والمُدرّبين... إلخ. وقد أخبرنا المصطفى ﷺ عن النبي يأتي يوم القيامة ومعه الرجل والرجلان ممن آمنوا به، ومن الأنبياء من يأتي وحده ليس معه أحد[٥].

أولئك الأنبياء أكرم الخلق على الله وأرفعهم درجة بلا مِراء، مع ذلك لم يمنحوا امتيازًا بضمان الأتباع ناهيك عن كثرتهم، ولا كرامتهم عند الله تعالى وقيامهم بمسؤوليتهم يُقاس بذاك!

وثقافة الذوق الاجتماعي، وتأليه مبدأ مسـايرة المجموع ولو على باطل، وخشية الانفراد ولو على حق، هُم أكبر دوافع تبنّي سياسة التجمّل والتجميل بإطلاقٍ وَصَل للتدليس والتلبيس. فصرنا نتحرّج من قول الحق -وأحيانًا من اعتقاده- أكثر من مداهنتنا للباطل؛ ونتأذى ممن يجاهرون بالحقائق مباشرة، لأنّ في

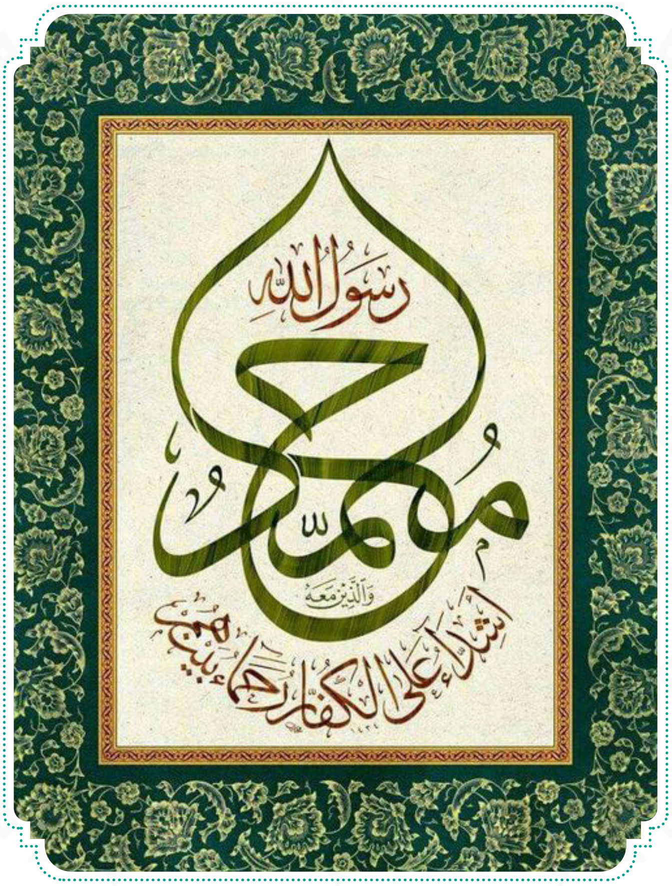
---

٥. خرَج علينا النبيُّ ﷺ يومًا فقال: "عُرِضَتْ عليَّ الأممُ، فجعَل يمرُّ النبيُّ معَه الرجلُ، والنبيُّ معَه الرجلانِ، والنبيُّ معَه الرَّهطُ، والنبيُّ ليس معَه أحدٌ». أخرجه البخاري.

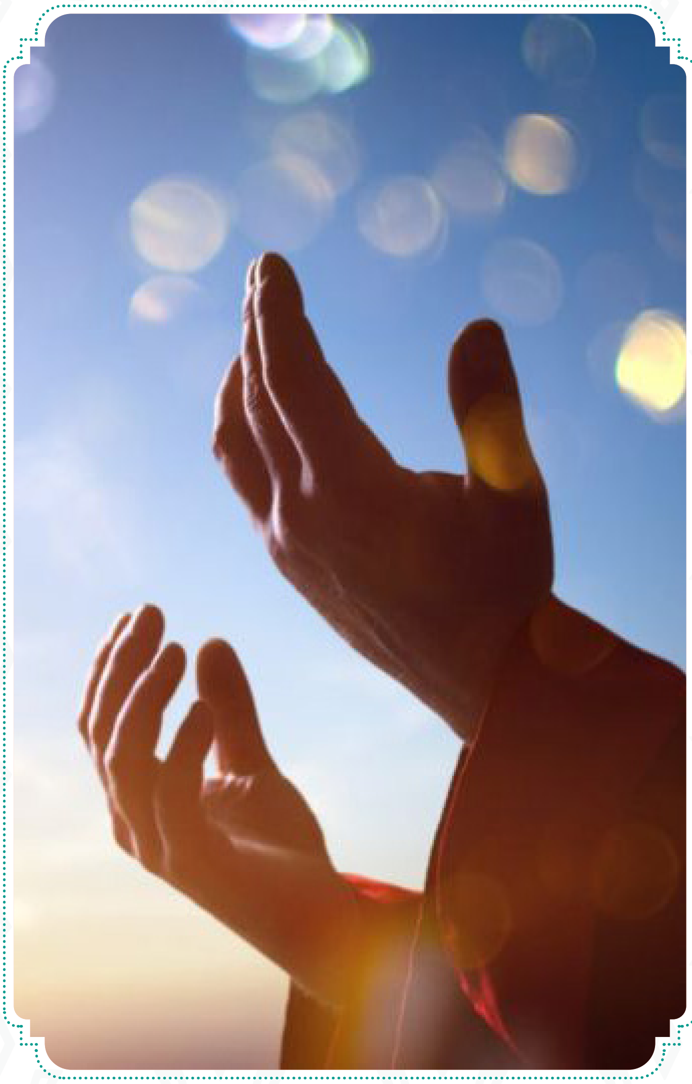
ذلك «قسوة» لا تتناسب وآذاننا الرهيفة التي تعودّت تغليف الحقيقة تغليفًا يطمسها عن الوصول لأسماعنا. لذلك لا يمكن الاعتذار لتلك النبرة الخائرة الخائبة بأهدافها المُعلَنَة، مثل: «تحبيب الخالق لخلقه وتأليف القلوب البعيدة»».

إذ إنّ مراعاة المقامات وأحوال المُخاطَبين لا تتعارض مع الحفاظ على نزاهة الحق، ولا تعني أبدًا تحريفه وقصقصته على ذلك النحو. كما أنّ تبسيط علوم الدين للعامة لا يعني تسطحيها، ولا تعليمهم الدين على وجهه الحق مرادف بالضرورة لتعقيدهم منه. فالمرونة مباحة في المنهج والأسلوب والتدرج، لا في استباحة حِمَى الحق والتلاعب بمضمونه والتجرؤ على إعادة التأويل واختراع أفهام بغير علم.

وكل مواقف السيرة العطرة للمصطفى ﷺ ومن تلاه من أهل خير القرون، تقف حصناً منيعًا أمام تقنين محاولات التمسّح تحت شعار «وسطية الخطاب» و«السماحة الدينية» و«نصف العمى خير من العمى كله»، فهي لا تنطبق على سياق الحق والباطل، بل هي دعاوى فساد تحت مسمى الإصلاح. ولو كان أحد أولى بتطبيقها لمصلحة الدين لكان رسول الله ﷺ عندما قال له المشركون: نعبد إلهك يومًا وتعبد إلهنا يومًا، فنزلت سورة الكافرون!



جاء في «فتح القدير» للشوكاني، وتفسير الطبري وابن كثير وغيره لسورة «الكافرون»: «أن قريشًا وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالًا فيكون أغنى رجل بمكة, ويزّوجوه ما أراد من النساء، ويطئوا عقبه، فقالوا له: هذا لك عندنا يا محمد، وكفّ عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء. فإن لم تفعل، فإنا نعرض عليك خصلة واحدة لك ولنا فيها صلاح. قال: «ما هي؟» قالوا: تعبد آلهتنا سنة: اللات والعزى، ونعبد إلهك سنة!» قال: «حتى أَنْظُرَ ما يأْتي مِنْ عِنْدِ رَبِّي، فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، وأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ* بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٤:٦٦] ا. هـ .



لا أنصاف حلول ولا مساحات رمادية بين الحق والباطل؛ ووسطية الطرح لا تعني تسطيح المضمون، ولا تدرّج العرض يعني بيان بعض الدين وترك بعض! والداعي إلى الإسلام مؤتمن عليه، ومسؤول يوم يبلّغه أن يبلّغه على وجهه الصحيح والمتكامل.

الخلاصة

من إجلال المسلم لهذا الدين العظيم، ودلائل ارتضائه له ومحبته لله تعالى ورسوله ﷺ أن يدرك ثم يوقن بأن:

الإسلام هو الحق الذي لا حق سواه ولا أنصاف حلول دونه، ولا هو سواء بأي اعتقاد آخر، ولا هو رؤية شخصية من بين رؤى أخرى كلها سِيّان!

وهو عقيدة وشريعة كاملة، كل عباد الله تعالى مخاطبون به ومؤاخذون على مخالفته، وليس مجرد مظهر ثقافي وسط مظاهر أخرى ولا مخصوصًا بقوم أو جهة دون غيرهم؛

ولم يَنزِل من السماء إلا دين واحد تعبّد الله تعالى به الخلائق من بدء الخلق، وهو دين التوحيد وإن اختلفت الشرائع. وكل الديانات السائدة اليوم بخلاف الإسلام باطلة بطلانًا صريحًا، وما كان أصله سماويًّا تم تحريفه، فليس هو ما أنزله الله تعالى ولا ارتضاه ولا يوضع مع الإسلام في نفس الكفة بأي حال.



وأي تطبيق من تطبيقات الإيمان بنوع إله وآخرة وعمل صالح لا ينفع صاحبه في ميزان الحق، لأن الله تعالى لا يَقبل إلا ما كان من مسلم وعلى الوجه الذي شرعه وارتضاه.

تبليغ ما يعلمه المسلم عن الله تعالى ورسوله ﷺ يكون على الوجه الذي يرضاه الله تعالى ورسوله ﷺ مضمونًا ومنهجًا؛ فالمُبلّغ مُؤتَمَن على الدين لا أنه مُبتدع لدين جديد!

اللهم ارزقنا صدق المحبة لك سبحانك ولرسولك عليه السلام، ووفقنا لإجلال الحق الذي أنعمت علينا به وجعلتنا من أهله، واستعملنا في خدمته ونصرته ودلالة خلقك عليه. اللهم آمين.



الغرب/الروم في الرؤية النبوية
دراسة نصية (٢/٢)



عبد السلام البسيوني

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

الرؤية الرومية الغربية للمسلمين كما جسدتها السنة المشرفة النبوية

ذكرت السُّنة المشرفة أنهم حريصون على التعرف على الإسلام بدقة، واستقصاء أحواله منذ البدايات؛ كما في الحديث الطويل الذي أخرجه البخاري[1]، والذي سأل فيه هرقل أبا سفيان عن الدين، وعن الرسول، وعن الأتباع، وعن الخصوم، وكيف استوثق من صحة الكلام، وكيف كان رد فعله.

١. صحيح البخاري (٢٩٧٨).

وذكرت أيضاً السُّنة المشرفة أنهم على خوف من الإسلام منذ البدايات؛ ففي نفس الحديث السابق عن سيدي أبي سفيان بن حرب رضي الله تعالى عنه أن هِرَقلَ لما دعا بكتابِ رسولِ اللهِ ﷺ وفرغَ من قراءته كَثُرَ عنده الصَّخَبُ «فارتفعت الأصواتُ وأُخرجنا، فقلتُ لأصحابي حين أُخرجنا: لقد أَمِرَ أَمرُ ابنِ أبي كبشةَ، إنه يخافُه مَلِكُ بني الأصفرِ»[٢].



وقد ورد في الأثر أن بينهم وبين الإسلام ومحمد النبي الكريم عداوةً حتى قبل بعثته ﷺ؛ فعن سيدي أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه، قال:

خرج أبو طالبٍ إلى الشَّامِ، فخرج معه رسولُ اللهِ ﷺ في أشياخِ قريشٍ، فلمَّا أشرفوا على الراهبِ هبطوا، فحلُّوا رِحالَهم، فخرج إليهم الراهبُ وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرجُ إليهم، ولا يلتفتُ لهم فجعل يتخلَّلهم حتَّى جاء فأخذ بيدِ رسولِ اللهِ ﷺ وقال: هذا سيدُ العالمين، هذا رسولُ ربِّ العالمين، هذا يبعثُه اللهُ رحمةً للعالمين.

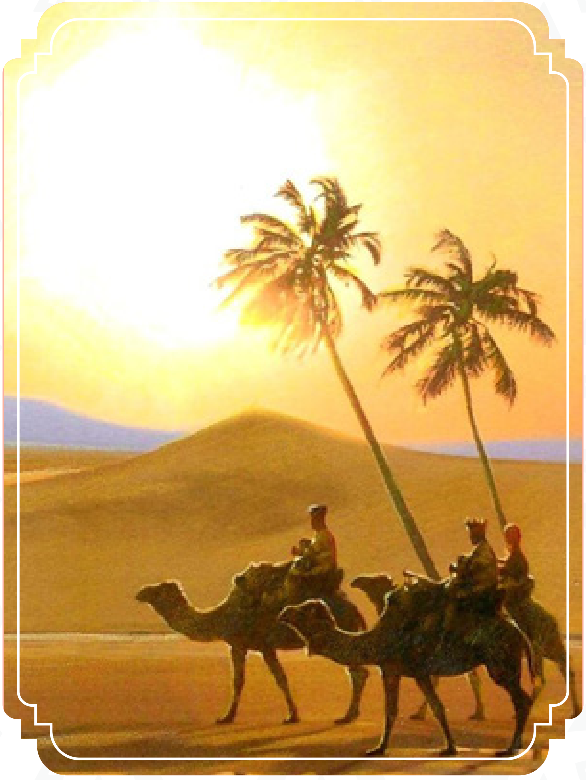
فقال له أشياخُ قريشٍ: ما عِلمكَ؟

فقال: إنكم حين أشرفتُمْ من العقَبة لم يمرَّ بشجرةٍ ولا حجرٍ إلا خرَّ ساجدًا ولا يسجدانِ إلَّا لنبيٍّ، وإني أعرفُه بخاتمِ النبوةِ في أسفلَ من غضروفِ كتفِهِ مثل التفاحةِ.

٢. المصدر السابق.

ثمَّ رجع فصنع لهم طعامًا فلمَّا أتاهم به، وكان هو في رِعيَةِ الإبلِ قال: أرسلوا إليه.

فأقبلَ، وعليه غَمامةٌ تظلُّه فقال: انظروا إليه عليه غمامةٌ تظلُّه.



فلمَّا دنا من القومِ وجدَهم قد سبقوهُ إلى فيءِ الشجرةِ، فلمَّا جلس مال فيءِ الشجرةِ عليه، فقال: انظروا إلى فيءِ الشجرةِ مال عليه.

فبينما هو قائمٌ عليهم وهو يناشدُهم ألا يذهبوا به إلى الرومِ، فإنَّ الرومَ إذا رأوْهُ عرفوهُ بالصفةِ فقتلوهُ، فالتفتَ فإذا هو بتسعةِ نَفَرٍ قد أقبلوا من الرُّومِ فاستقبلَهم فقال: ما جاء بكُمْ؟ قالوا: جئنا إلى هذا النبيِّ الذي هو خارِجٌ في هذا الشهرِ، فلم يبقَ طريقٌ إلا بعثَ إليه ناسٌ، وإنَّا أُخبِرْنا خبرَه فبعثنا إلى طريقِكَ هذا.

قال: أفرأيتم أمرًا أراد اللهُ أنْ يقضيَه هل يستطيعُ أحدٌ من الناسِ ردُّه؟ قالوا: لا، قال: فبايِعوهُ. وأقاموا معه فأتاهُم فقال: أيكُم وليُّهُ؟ قالوا: أبو طالبٍ، فلم يزلْ يناشدُه حتَّى ردَّهُ وبعث معه أبو طالب رجالا، وزودَهُ الراهبُ من الكعكِ والزيتِ[٣].

٣. الخصائص الكبرى للسيوطي (٨٣/١) بسند له شواهد تقضي بصحته.

ذكرت السنة المشرفة أنهم سيأتي عليهم زمان يملكون فيه البأس والشجاعة للفتك بالمسلمين، بعد الانتصار عليهم؛ كما ورد بسند صحيح عن سيدي سمرة ابن جندب رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: «يوشكُ أنْ يملأَ اللهُ أيديَكم من العَجمِ، ثمَّ يجعلهُم أُسْدًا لا يفِرُّونَ، فيقتلونَ مقاتلتِكم، ويأكلونَ فيأَكم»[٤].

ذكرت السنة المشرفة أنهم سيمنعون المسلمين من الصلاة في الأقصى وبيت المقدس؛ كما جاء بسند حسن عن أم المؤمنين ميمونة رضي الله تعالى عنه، قالت: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ: أفتِنا في بيتِ القُدُسِ قال: «ائتوهُ فصلُّوا فيهِ». قالَتْ: كيفَ والرُّومُ إذ ذاكَ فيه؟ قال ﷺ: «فإن لَم تَستَطيعوا، فابعَثوا بزيتٍ يُسرَجُ في قناديلِهِ»[٥].



ذكرت السنة المشرفة أنهم سيجمعون لإبادة المسلمين، وأنهم يغدرون، ولا يحترمون الكلمة؛ فقد أُثر عن سيدي عوف بن مالك الأشجعي رضي الله تعالى عنه أنه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ في غزوةِ تبوكَ، وهو في قبَّةٍ من أُدْمٍ، فقال: «اعدُدْ ستًّا بين يديْ الساعةِ: مَوْتِي، ثم فَتْحُ بيتِ المقدسِ، ثم موتانِ يأخذ فيكم كقُعَاصِ الغنمِ، ثم استفاضةُ المالِ حتى يُعْطَى الرجلُ مائةُ دينارٍ فيظَلُّ ساخطًا، ثم فتنةٌ لا يَبْقَى بيتٌ من العربِ إلا دخلتْه، ثم هُدْنَةٌ تكونُ بينكم وبين بني الأصفرِ، فيَغدرونَ، فيأتونكم تحتَ ثمانينَ غايةٍ، تحت كلِّ غايةٍ اثنا عشرَ ألفًا»[٦].

٤. الخصائص الكبرى للسيوطي (١٥٣/٢).
٥. البلدانيات، للحافظ السخاوي (٦٤).
٦. البخاري (١٣٧٦).

وأخرج القرطبي عن سيدي ذي مِخمر رضي الله عنه مرفوعًا: «ستصالحُكم الرومُ صلحًا آمنًا، ثمَّ تغزونَ أنتم وهم عدوًّا، فتُنصَرونَ وتغنمونَ وتقتسِمونَ وتَسلمونَ، ثمَّ تنصرِفونَ حتَّى تنزلوا بمرجٍ ذي تلولٍ، فيرفعُ رجلٌ من أهلِ الصليبِ صليبَه، فيقولُ غلبَ الصليبُ فيغضبُ رجلٌ من المسلمينَ فيقومُ إليه فيدفعهُ، فعند ذلك تغدِرُ الرومُ، ويجمعونَ الملحمةَ، فيأتونَ تحت ثمانينَ رايةً اثنا عشرَ ألفًا، ويثورُ المسلمونَ إلى أسلحتِهم فيقتتِلون، فيكرِمُ اللهُ تلك العصابةَ بالشهادةِ»[٧].



وفي (الجامع الصغير) بسند صحيح عن سيدي معاذ رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: «سِتٌّ مِن أَشراطِ السَّاعةِ: مَوتي، وفَتحُ بيتِ المقدسِ، وأن يُعطى الرَّجلُ ألفَ دينارٍ فيتسخَّطَها، وفتنةٌ يدخلُ حرُّها بيتَ كلِّ مُسلمٍ، وموتٌ يأخذُ في النَّاسِ كقُعاصِ الغنَمِ، وأن يغدِرَ الرُّومُ فيسيرونَ بثمانين بنْدًا، تحتَ كلِّ بندٍ اثْنا عَشَرَ ألفًا»[٨].

ذكرت السنة المشرفة أنهم سيشنون حربًا اقتصادية على المسلمين؛ ففي (صحيح مسلم) عن سيدي جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: «يوشِكُ أهلُ العراقِ ألا يُجبى إليهم قَفيزٌ ولا درهمٌ». قلنا: من أين ذاك؟ قال: «من قِبَلِ العجَمِ يمنعون ذاك». ثم قال: «يوشِكُ أهلُ الشامِ ألا يُجبَى إليهم دينارٌ ولا مُدي». قلنا: من أين ذاك؟ قال: «من قِبَلِ الرومِ»[٩].

---

٧. التذكرة، للقرطبي (٥٨٥) بإسناد صحيح.

٨. الجامع الصغير (٤٦٥٧).

٩. صحيح مسلم (٢٩١٣).

ذكرت السنة المشرفة أنهم سيشنون الحروب على الإسلام حتى قيام الساعة؛ ففي (صحيح مسلم) عن سيدي يسير بن جابر رضي الله تعالى عنه مرفوعًا:

«هاجت ريحٌ حمراءُ بالكوفةِ. فجاء رجلٌ ليس له هجيري إلا: يا عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ جاءت الساعةُ. قال فقعد وكان مُتَّكِئًا. فقال: إنَّ الساعةَ لا تقومُ، حتى لا يُقسَمَ ميراثٌ، ولا يُفرح بغنيمةٍ ثم قال بيده هكذا (ونحاها نحو الشامِ) فقال: عدوٌّ يجمعون لأهل الإسلامِ، ويجمع لهم أهلُ الإسلامِ، قلتُ: الرومَ تعني؟ قال: نعم وتكون عند ذاكم القتالِ رِدَّةٌ شديدةٌ. فيشترطُ المسلمون شُرطةً للموتِ؛ لا ترجعُ إلا غالبةً فيقتتِلون حتى يحجزَ بينهم الليلُ فيفيءُ هؤلاءِ وهؤلاءِ؛ كلٌّ غيرُ غالبٍ وتَفنى الشرطةُ ثم يشترطُ المسلمون شرطةً للموتِ؛ لا ترجع إلا غالبةً فيقتتِلون؛ حتى يحجزَ بينهم الليلِ، فيفيءُ هؤلاءِ وهؤلاءِ؛ كلٌّ



غيرُ غالبٍ وتفنى الشُّرطةُ ثم يشترطُ المسلمون شُرطةً للموتِ لا ترجعُ إلا غالبةً فيقتتَلون حتى يُمسوا فيفيءُ هؤلاءِ وهؤلاءِ. كلٌّ غيرُ غالبٍ وتَفنى الشُّرطةُ فإذا كان يومُ الرابعِ، نَهَدَ إليهم بقِيَّةُ أهلِ الإسلامِ فيجعل اللهُ الدَّبرةَ عليهم. فيقتتلون مَقتلةً لم يُرَ مثلُها، حتى إنَّ الطائرَ ليمرُّ بجنباتِهم، فما يُخلِّفُهم حتى يخرَّ ميتًا فيتعادَّ بنو الأبِ، كانوا مائةً، فلا يجِدونه بقي منهم إلا الرجلُ الواحدُ فبأي غنيمةٍ يفرح؟ أو أيِّ ميراثٍ يقاسمُ؟»[١٠]

١٠. صحيح مسلم (٢٨٩٩).

وفي (الجامع الصغير) عن سيدي المستورد بن شداد الفهري رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: «أشدُّ الناسِ عليكْم الرومُ، وإنَّما هَلَكَتُهُمْ معَ الساعةِ»[١١].

ذكرت السنة المشرفة أنهم سيحرشون بين المسلمين حتى يقع بعضهم في بعض: ففي (سنن ابن ماجه) عن سيدي عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا:

«إذا فُتِحَت عليَكُم خزائنُ فارسَ والرُّومِ، أيُّ قومٍ أنتمُ؟» قالَ عبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ: نقولُ كما أمرَنا اللَّهُ. قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «أو غيرَ ذلِكَ؟ تتَنافسونَ، ثمَّ تتَحاسدونَ، ثمَّ تتَدابرونَ، ثمَّ تَتباغضونَ»، أو نحوَ ذلِكَ، «ثمَّ تَنطلقونَ في مساكينِ المُهاجرينَ، فتجعَلونَ بعضَهُم على رقابِ بعضٍ»[١٢].

والحمد لله رب العالمين.

---

١١. الجامع الصغير (١٠٥٩) بسند حسن.
١٢. صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٤٥) بسند حسن.



الأسرة الكتانية

وخدمتها للسُّنة ٦



د. الحسن بن علي الكتّاني

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

١١. إدريس بن محمد بن جعفر الكتّاني[١]

ومنهم شيخنا العالم المفكّر الاجتماعيّ السّياسيّ إدريس بن محمّد بن جعفر بن إدريس الكتّانيّ الإدريسيّ الحسنيّ الدّمشقيّ مولدًا، ثمّ الفاسيّ، ثمّ الرّباطيّ دارًا وقرارًا.

أمه هي السيدة الفاضلة السعدية بنت المكي ابن عبد الله الفاسية الأندلسية.

---

١. جمع في ترجمته تلميذه الأستاذ المفضل بن شقرون كتاباً باسم: مولاي إدريس الكتّاني سيرة ومسار.

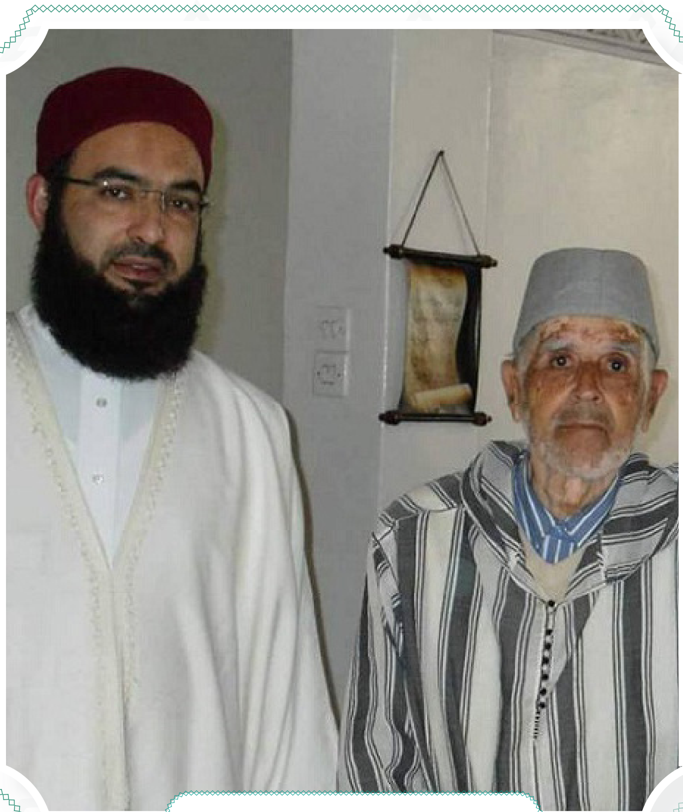
وُلد بدمشق تقريبًا نحو عام ١٣٣٦، ثم انتقل مع والده للمغرب، لمدينة فاس سنة ١٣٤٥ فتربى يتيماً بعد وفاة أبيه، تحت رعايته أخيه الأكبر الشيخ محمد الزمزمي، رحمه الله، فأخذ العالمية من جامعة القرويين القسم الشرعي، الأول في فوجه، ثم انتقل إلى كندا ومصر ليتحصل على الدكتوراه في علم الاجتماع، وهو من مؤسسي حزب الشورى والاستقلال، أيام الاحتلال، ومن الرعيل الأول للحركة الوطنية المغربية.

ثم انسحب من الحزب وألف كتاب: (المغرب المسلم ضد اللادينية)، وله مواقف مشهورة في نصرة الإسلام والمسلمين في المغرب وخارجه، وله نادي الفكر الإسلامي الذي تخرج فيه وتكون جل نشطاء الحركة الإسلامية بالمغرب.. وكان أوحد المدافعين عن الإسلام بالمغرب، بلا منازع .

وكان شيخنا شعلة من الحركة لا يخاف في الله لومة لائم، يصدع بالحق وينصر قضايا المسلمين ويغار على أمته.

وكان مفزعنا عندما تدلهم الأمور. إلى أن أدركته الشيخوخة. فكان مقصد طلبة الحديث للرواية عنه لسنده العالي.

وعمنا هو والد خبير الاقتصاد الإسلامي الشهير الدكتور عمر الكتاني حفظه الله.



الكاتب مع د. إدريس الكتاني

شيوخه ومجيزوه

أجازه عدد من العلماء والمسندين؛ كان من بينهم:

- أحمد الشّريف السّنوسيّ؛ زاره في دمشق، وأجازه عامّة على كتاب (السّنوسيّة) ووصفه فيها بالعالم. عبد الحيّ بن عبد الكبير الكتّانيّ؛ أجازه عامّة. عبد الرّحمن بن محمّد النّتيفيّ الجعفريّ؛ أجازه عامّة. محمّد بن العربي آشَرْقي؛ أجازه عامّة. محمّد بن جعفر الكتّانيّ الإدريسيّ الحسنيّ؛ والده؛ حضر عنده أوائل إسماعيل العجلونيّ وهو صغير، وأجازه عامّة. وعنه سمعناها. محمّد بن محمّد بن عبد القادر ابن سُودة المرّيّ؛ أجازه عامّة.



إدريس بن محمد بن جعفر الكتاني

وظيفته وأعماله

- درّس في ثاني مدرسة عربيّة حرّة عصريّة بالدّار البيضاء، وهي مدرسة الأمير مولاي الحسن. ثمّ لم يلبث أن شرع في بناء ثالث مدرسة حرّة عصريّة بالدّار البيضاء باسم معهد المولى إدريس الأزهر بجوار القصر الملكيّ. عيّن أستاذاً بمعهد العلوم الاجتماعيّة بجامعة محمّد الخامس بالرّباط. ثمّ أستاذاً بكلّيّة الآداب بالجامعة نفسها.

- شارك بفعالية في تأسيس رابطة علماء المغرب بالرّباط عام ١٣٨١، وكان له دور فعال في مؤتمراتها، وتوجيه سياستها ومواقفها من القضايا العربيّ والإسلاميّة داخل المغرب وخارجه؛ خاصّة بالنّسبة لمعركة التّعليم والتّعريب ومعارضة سياسة التّغريب، وازدواجية لغة التّعليم، ومسخ الشّخصيّة

المغربيّة، وإشاعة الفساد، والانحلال والانحراف؛ لكنّه تخلّى عن الرّابطة عندما احتُويتْ من طرف السّلطة، وتوقّف نشاطها الإسلاميّ.

- أسّس نادي الفكر الإسلاميّ سنة ١٤٠٠هـ بالرّباط الذي قام بنشاط ثقافي إسلامي متواصل حتّى اليوم، وأصدر الكثير من الكتب والمحاضرات والنّدوات.

- شارك بفعالية في تأسيس الجمعيّة المغربيّة لمساندة الكفاح الفلسطينيّ عام ١٣٨٩ بجانب ممثّلي حزب الاستقلال والاتّحاد الاشتراكيّ ممثّلاً للعلماء وللحركة الوطنيّة المستقلّة.

- أسهم بجهد علمي وثقافي واجتماعي وسياسي في عشرات المؤتمرات والنّدوات العلميّة المختلفة، وشارك في أغلبها بدراسات وأبحاث تدخل في مجالات اختصاصه.

- وكان من علماء القرويين، وأخذ الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة القاهرة.

- وكان شيخنا شعلة من الحركة والنشاط، لا يخاف في الله لومة لائم، يصدع بالحق وينصر قضايا المسلمين ويغار على أمته. وقد سجل الراحل مواقف عملية مشرفة في وجه المخططات الهدامة التي واجهها بشجاعة نادرة. ذلك أنه كُلف عام ١٣٨٣ مع مجموعة من المسؤولين في وزارة التعليم، بوضع مشروع لتطوير التعليم في المغرب، وبعد أن قضى أعضاء اللجنة أربعة أشهر كاملة منكبين على إعداد المشروع، فوجئوا بالحسن الثاني يطالبهم بإدخال تعديلين على المشروع، الأول يقضي بالإبقاء على الازدواجية في التعليم خلال المرحلتين الابتدائية والثانوية، والثاني يقضي بأن تكون اللغة الفرنسية هي لغة العلوم خلال هاتين المرحلتين، مما يعني حصر اللغة العربية على المواد الدينية والأدبية، وهو ما دفعه لتقديم استقالته بعد ذلك اللقاء مباشرة.

وغيرته على الدين والأمة ومقدساتها أشهر من أن تذكر، ومواقفه شاهدة على ذلك.

- كان رحمه الله تعالى متبنياً لقضايا الأمة على تنائي أصقاعها، يحاضر في قضاياها، وكان على كبر سنه كثير التنقل بين المدن والأقاليم لنشر التوعية بتلك القضايا بين أبناء الشعب المغربي.



الملك الحسن الثاني

تبنى قضية أفغانستان وناصرها.

تبنى قضية الشيشان ودافع عنها.

تبنى قضية البوسنة والهرسك واستمات في التعريف بها وبمظلوميتها.

أما قضية فلسطين، فتلك قضيته الأساس، وغصته التي لم تفارقه محاضرةً وتأليفاً وكتابةً. ولن أبالغ إذا قلت: هو مغربي الهوية، فلسطيني الهوى.

انخرط في الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني، رفقة أبي بكر القادري رحمه الله وغيره، وربط علاقات وطيدة مع رموز العمل الفلسطيني، من منظمة التحرير وخارجها، بمن فيهم الراحل ياسر عرفات رحمه الله، وكانت له انتقادات لاذعة لبعض توجهاتهم أيضاً.

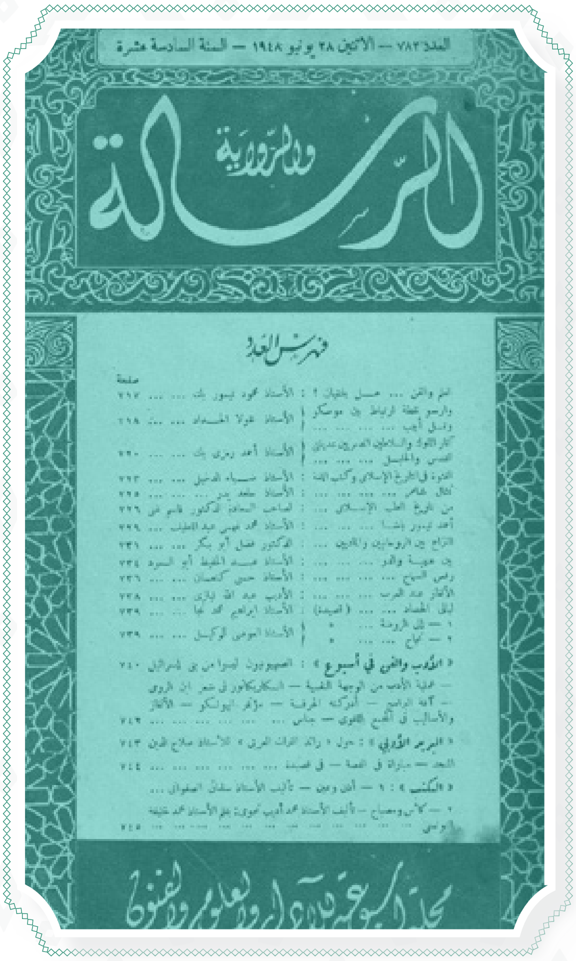
لم يستسغ كعادته اتفاق أوسلو، فلم ينقبع في حجرات بيته، بل ركب سيارته، وتنقل في ربوع المغرب من أقصاه إلى أقصاه، محاضراً في الجامعات المغربية، في أحضان الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، ومحاضراً في الفضاءات العامة، منتقداً الاتفاق، ومحذراً من مآله، وما تنبأ به تحققَ وزيادة. فرحمه الله تعالى.

من القضايا التي أرقته رحمه الله تعالى، قضية التعليم في المغرب، وما يعرفه من اختلالات، وله في ذلك محاضرات ولقاءات. خصص بعضها لانتقاد الميثاق الوطني للتربية والتكوين، ونشر استجوابات صحفية خاصة به، ولم يستسغ تغييب العلماء عن لجنته، واستنكر عضوية اثنين فقط، وهما كما كان يصفهما: أحدهما متخصص في الأدب الأندلسي، وثانيهما صديق إدريس البصري. وفي هذه الإشارة كفاية.

من المؤسسين لرابطة علماء المغرب باعتبارها جمعية مستقلة، وما أن أممتها الدولة بطريقتها الخاصة، حتى انسحب منها، وفي قلبه غصة، على مآل العلماء والعلم. ومن آخر مواقفه الكبيرة: تزعمه لفتوى علماء المغرب في تحريم موالاة الكفار ضد المسلمين إبّان غزو أمريكا لأفغانستان سنة ١٤٢٢، ولما دخل حزب العدالة والتنمية للحكومة عاتبهم ورفض توجههم وحذرهم من سوء مغبته، فلم يلتفتوا إليه، ولا رفعوا رأساً بنقده.وله موقف في كل قضية من قضايا الأمة.

مؤلّفاته

برز نشاط المترجَم الثّقافيّ في مرحلة تعليمه الثّانويّ في الحفلات والمهرجانات الأدبيّة والدّينيّة بخطبه القوية، واندهش زملاؤه في الخامسة من الثّانويّ عندما نشرت له مجلّة الرّسالة المصريّة التي كان يصدرها الأستاذ أحمد حسن الزّيّات سنة ١٣٥٩ سلسلة مقالات، وصدرت مقالاته بجانب أشهر كتّاب مصر يومئذ أمثال عبّاس محمود العقّاد، وزكيّ مبارك، ومصطفى صادق الرّافعيّ، وتوفيق الحكيم، وغيرهم.



العدد ٧٨٣ — الاثنين ٢٨ يونيو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

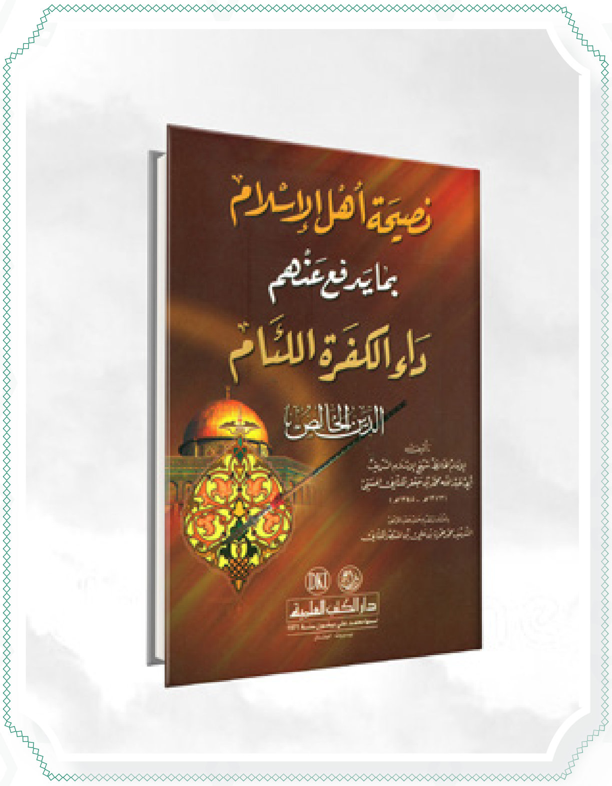
الرسالة والرواية

فهرس العدد

ومن ذلك اليوم وهو يؤلّف وينشر كتبه ومقالاته بدور النّشر والمجلاّت العالميّة، والجرائد العربيّة؛ فمن مؤلّفاته:

١. أربعة قوانين قرآنيّة تقرّر مصير المجتمعات الإنسانيّة. ٢. استراتيجيّة الدّفاع عن الأمن الإسلاميّ. ٣. التّطبيق المثالي لقانون الزّكاة الإسلاميّ. ٤. التّفسير الإسلاميّ لسقوط العالم العربيّ المعاصر. ٥. ثمانون عامًا من الحرب الفرنكفونيّة ضدّ الإسلام واللّغة العربيّة. ٦. الخريطة القرآنيّة للمجتمعات البشريّة. ٧. دراسة وتحقيق كتاب: نصيحة الإسلام لوالده محمّد بن جعفر الكتّانيّ. ٨. دور اللّغة في تنمية الطّاقات البشريّة. ٩. صمود الإسلام وسقوط الطّغاة. ١٠. مدخل إلى البحوث الإسلاميّة. ١١. معهد المولى إدريس الأزهر بالدّار البيضاء تاريخ وكفاح. ١٢. المغرب المسلم ضدّ اللاّدينيّة. ١٣. مقدّمات لعلم الاجتماع الإسلاميّ. وغيرها كثير.

كتب عنه الأستاذ عبد السلام ياسين رحمه الله: «من العلماء الفقهاء الذين فطِنوا مبكراً إلى انحرافٍ في الحركة الوطنية الأستاذ إدريس الكتاني بن الإمام محمد بن جعفر الكتاني. كان العالم الكبير سيدي جعفر الكتاني رحمه الله صَدّاعاً بالحق، ترك من جملة ما ترك من المؤلفات القيمة (نصيحة أهل الإسلام) قدمها للسلطان عبد العزيز. فلما دخل الفرنسيون المغرب هاجر إلى الديار المقدسة لكيلا يساكن كفاراً احتلوا بلده.



واعتزل ابنه إدريس الحركة الوطنية مع أنه كان عضواً في المكتب السياسي لحزب الشورى والاستقلال لما حصلت في يده الحجج الصريحة على أن الحزب يجره إلى اللادينية جيلٌ مَغَرَّبٌ مخرِّب. فينشر سنة١٩٥٨م [١٣٧٨هـ] كتاباً، عبارَة عن صرخة مدَوِّيَةٍ، بعنوان: (المغرب المسلم ضد اللادينية). ولم يزل على هذه الثغرة الجهادية يكتب ويخطبُ ويغضب لدين الله على ما ينتهكه من حرمات الله أعداء دين الله داخل المغرب وخارجه.

كتاب العلامة الفقيه إدريس الكتاني (سِجِلٌّ تاريخي لبداية ظهور أثر الغزو الفكري اللاديني والديمقراطية العلمانية في الأحزاب الوطنية...).



كان الكتاني ولا يزال شديد الأسف على ضياع فلسطين، يحمل، لا يزال، هم القضايا الإسلامية شرقاً وغرباً، لا سيما قضية فلسطين، وما فعله ويفعله اليهود في فلسطين. وله في ذلك مؤلفات ومقالات وتفسير لإفساد بني إسرائيل في الأرض كما أخبرَ بالإفساد القرآن الكريم[٢]».

تُوفي نهار يوم السبت العاشر من رمضان ١٤٣٩هـ. فرحم الله أستاذنا وأسكنه فسيح جنانه.

٢. حوار الماضي والمستقبل من ٢٩٥.

١٢. إبراهيم بن أحمد بن جعفر الكتاني[٣]:



ومنهم شيخنا العلامة المجاهد أبو المزايا إبراهيم بن أحمد بن جعفر الكتاني.

هذا الرجل من أعلام هذا القرن الذين غمطهم الناس حقهم وتناسوا ذكرهم مع أنه كان له دور كبير في الدعوة للاجتهاد وتحكيم الشريعة الإسلامية وتطويرها وكتب آلاف الصفحات التي يحتاج الكثير منها لأن يرى النور ويخرج من ظلمة المكتبات المغلقة. وهو من تلاميذ أبي شعيب الدكالي وابن العربي العلوي النجباء المتحمسين للفكر السلفي والداعين إليه بقوة وصرامة. في المغرب الأقصى.

وُلد رحمه الله بفاس سنة ١٣٢٥ في بيت والده الإمام أبي العباس أحمد بن جعفر الكتاني الذي كان مثالاً للورع والخوف من الله تعالى مع العلم الغزير، وأمه هي خدوج بنت عبد الكبير بن المجذوب الفاسي الفهري، البيت الذي توارث العلم والمجد كابراً عن كابر.

وشهد احتلال الجيوش الفرنسية الكافرة لأرض المغرب ودخولها لفاس سنة ١٣٣٠هـ . وكان والده يريد اللحاق بأخيه الأكبر الإمام محمد بن جعفر الكتاني الذي هاجر فاراً بدينه لمدينة رسول الله ﷺ بعدما

---

٣. مصادر ترجمة الشيخ رحمه الله:
- العلامة المجاهد محمد إبراهيم بن أحمد الكتاني: حياة علم وجهاد"
- "موسوعة أعلام المغرب" (١: ١٩٤).
- "من أعلام من المغرب العربي"، للعلامة عبد الرحمن بن محمد الباقر الكتاني.
- "منطق الأواني من فيض تراجم آل الكتاني" تأليف د. حمزة بن علي الكتاني (ص١١٩٥).

ناصح ولاة الأمر بالجهاد فلم يجد لهم عزماً، فكرِه أن يعلوه الكفار فهاجر بدينه. غير أن أبا العباس لم يتمكن من الهجرة وتُوفي سنة ١٣٤٠ وهو يؤمل انتصار الثورة الخطابية على جيوش الكفر.

هذا وقد انخرط أبو المزايا في سلط طلبة جامعة القرويين فأخذ عن كبار علمائها آنذاك وعلى رأسهم والده ومن في طبقته من أعلام فاس، مثل محمد بن عبد الكبير بن الحاج السلمي، وعبد السلام بن عمر العلوي، وأبي الشتاء الصنهاجي، وأبي شعيب الدكالي، وابن القرشي الإمامي، وابن المأمون البلغيثي، وابن العربي العلوي، وحضر لعمه الإمام محمد بن جعفر الكتاني شرحه للمسند الحنبلي قبيل وفاته سنة ١٣٤٥. وغيرهم كثير.

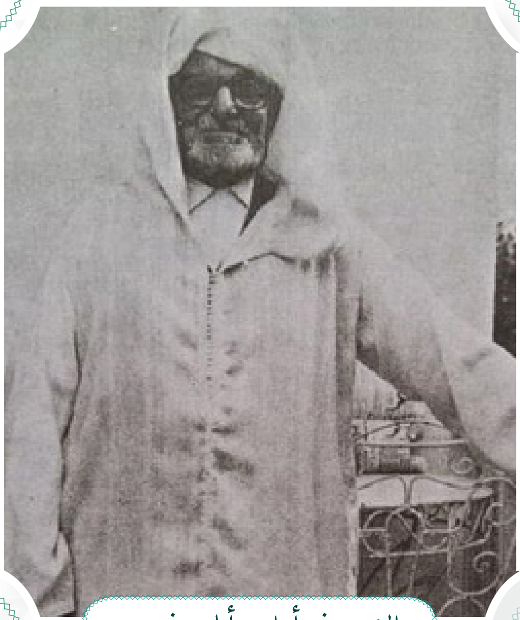
وتواصل مع علماء المشرق والمغرب واستجاز عدداً منهم؛ كعمر حمدان المحرسي، وبدر الدين البيباني، ويوسف النبهاني وغيرهم. غير أنه لم يستلم شهادة العالمية إلا بعد الاستقلال وخروج الجيوش الغازية من المغرب سنة ١٣٧٥ لمواقفه الجهادية الصلبة.

هذا وقد أسس الشيخ الحركة الوطنية في مكتب والده هو وعلال الفاسي ومحمد غازي؛ حيث تعاهدوا على المصحف على العمل الجاد لطرد العدو المحتل من بلاد المغرب، وتطور عملهم الفكري والحركي من خلال حزب الاستقلال الذي كان يحمل الفكر السلفي، الذي تأثر بالشيخين محمد عبده ورشيد رضا في المشرق، والدكالي والعلوي في المغرب.

وكان إبراهيم بن أحمد من أشد الناس تحمساً لذلك، ولذلك بقي إلى وفاته يمثل التيار الإسلامي الناصع في الحركة الوطنية التي تعلمنت من الداخل حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن، من بُعد عن الشريعة والدعوة إليها. وهي نفس النتيجة التي تنحدر إليها الحركة الإسلامية في المغرب، والله المستعان.

وفي سبيل هذا فقد نال الشيخ محن تلو محن من قبل المحتل الفرنسي والحكومات المغربية المتحالفة معه في صورة المخزن آنذاك؛ فسُجن وعُذب مراراً. وقد دوّن ذلك في كتابه الماتع (من ذكريات سجين مكافح) وقد طُبع قديماً وسلمني بيده نسخة منه في زيارتي الأولى له وأنا في بداية شبابي.

فصل في بقية أخبار الشيخ


الشيخ في أواخر أيامه في بيته

كان لأبي المزايا إبراهيم بن أحمد الكتاني عدة جوانب في حياته. فقد كان من علماء القرويين الذين درسوا العلوم المتداولة فيه؛ من فقه مالكي مؤصل وعربية قوية، وغير ذلك من العلوم.

كما أنه كان من رواد المخطوطات وعالمها المحقق فقد طوف الخزائن بحثاً عنها وتنقيباً وإخراجاً لكنوزها. علماء المسلمين بالجزائر، كابن باديس والإبراهيمي وغيرهما، كما ربط العلاقات مع المجاهد ابن عبد الكريم الخطابي، ولجهاده الحركي دخل السجن مراراً وعُذب وسُجن في سجون بعيدة سحيقة مع الأشغال الشاقة.

وكان من زعماء الحركة السلفية ودعاة العمل بالدليل والاجتهاد وترك التقليد والجمود. ولتأثره بزعمائها المعاصرين فقد سمى أبناءه على أسماء أولئك الزعماء فمن أبنائه: محمد عبده وعزام ومحمد البشير.

وألف كتابه (سلفية الإمام مالك) فذكر النقول العديدة عن عقيدة الإمام السلفية الصافية. وألف (الاجتهاد والمجتهدون) وفيه دعوة للعمل بالشريعة الاسلامية وأن الاستقلال المغربي لا يتم دون ذلك. وكتابه (تراجم علماء الاجتهاد وأعداء التقليد)، وكتاب (الدعوة إلى استقلال الفكر) في مجلد ضخم.


الشيخ د. حمزة الكتاني

وكان له اهتمام زائد بتراث ابن حزم وابن المناصف المراكشي وغيرهم من العلماء. وجزى الله شقيقي الشيخ د. حمزة الكتاني الذي سعى في إخراج العديد من تراث هذا العلم الذي غمط حقه.

وحدثنا مرة أنه في شبابه دخل بيت ابن عمه فوجد الحضرة الصوفية قائمة فرفع صوته بقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. يستنكر رفع الصوت بالذكر والهيئة التي يقوم بها الصوفية المتأخرون.

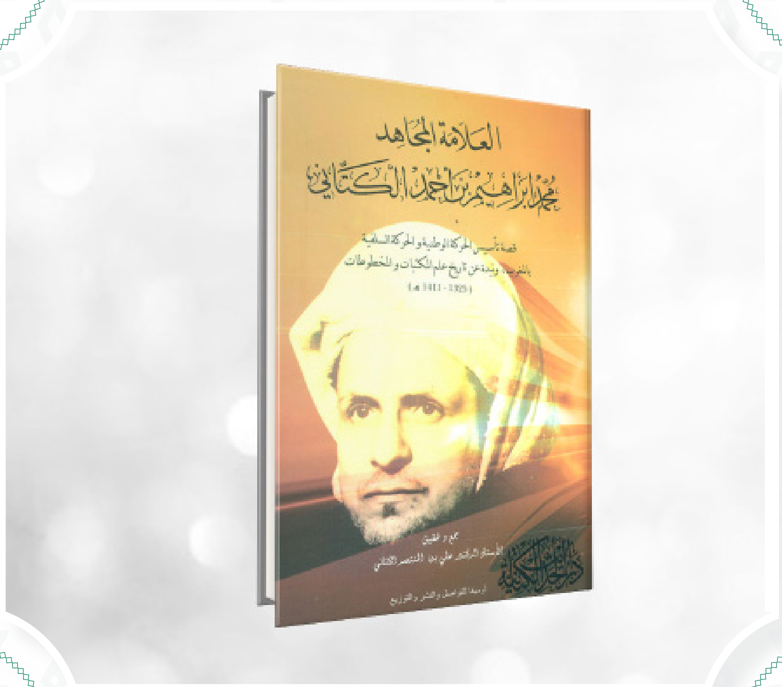
كما أنه كان من رواد المخطوطات وعالمها المحقق فقد طوف الخزائن بحثاً عنها وتنقيباً وإخراجاً لكنوزها.

وكان له دور كبير في نشر المدارس الوطنية التي تحافظ على الدين واللغة في وجه المحتل الغاصب، كما أنه ممن دعا لتعليم المرأة مع الحفاظ على سترها وحجابها.


في الصورة إبراهيم بن أحمد، رفقة شيخه ابن العربي العلوي، ومحمد مكوار

ومع هذا كله فلم يكن الشيخ معصوماً فقد تأثر بدعوة محمد عبده التي كان يعدها امتدادا للدعوة السلفية الصافية. وأذكر مرة أنني زرته مع سيدي الوالد رحمه الله فسأله ابنه خالد عن المهدي المنتظر وهل هو حقيقي؟ فقال له: أما عندنا نحن معشر السلفيين فلا نؤمن به وأما عند الصوفية فيؤمنون به وبالسفياني أيضاً. فأردت أن أرد عليه ولكنني استحييت لصغر سني فقد كنت في ١٨ من عمري تقريباً وهو شيخ كبير. فلما خرجنا قلت لأبي: ما ذكره الشيخ غير صحيح فقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية على أن أحاديث المهدي منها الصحيح والحسن والضعيف. فقال لي: لا تجادل الشيخ فهو كبير السن.

هذا وقد تُوفي شيخنا رحمه الله عن سن عالية سنة ١٤١١ هـ، وحضرت جنازته. وكنت قبل ذلك أزوره وأستفيد من مجالسته. وألف أبي رحمه الله كتاباً في ترجمته وفاء له، طبَعه بعنوان: (العلامة المجاهد محمد إبراهيم بن أحمد الكتاني).



أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY

أنصار



دورة بيوت النبي

دورة علمية يقدمها الدكتور/ **حاتم عبدالعظيم**، تتناول الحديث عن زوجات النبي ﷺ، ونسبهن وإسلامهن، وقصة زواج النبي بكل واحدة منهن، وكذلك الحديث عن التعاملات الأسرية في بيوت النبي ﷺ، والقواعد النبوية لبناء البيت المسلم، كما تستهدف رد الشبهات حول تعدد زوجات النبي ﷺ، وبيان الغاية والحكمة من ذلك.

أهداف الدورة

- التعريف بزوجات النبي ﷺ، ونسبهن.
- التعريف بقصة زواج النبي ﷺ بكل زوجة من زوجاته.
- بيان أهم المواقف في حياة كل زوجة من زوجات النبي ﷺ.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع زوجاته.
- بيان كيف تعاملت زوجات النبي ﷺ معه كزوج.
- بيان كيف تعاملت زوجات النبي ﷺ فيما بينهن.
- دفع الشبهات حول تعدد زوجات النبي ﷺ.

يمكنك الاشتراك في هذه الدورة من هنا

بيــوت النبــي

16 محاضرة

8 ساعات

كيف عاملهم

دورة علمية قدمها ثلة من العلماء المعتبرين تتناول الحديث عن أخلاق النبي ﷺ ومعاملاته مع كافة شرائح الناس، مثل تعامله مع أهل بيته، وأصحابه وأتباعه، وكذلك مع الشرائح الدعوية المختلفة، وكيف كانت أخلاقه مع مختلف أصناف البشر، وحتى مع غير البشر، من الجن والدواب وحتى الجمادات.

أهداف الدورة

- تكوين صورة متكاملة لأخلاق النبي ﷺ، ولكيفية تعامله مع الناس جميعًا.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع أهله وأقاربه.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع الشرائح الاجتماعية المختلفة.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع الشرائح الدعوية المختلفة.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع عموم النساء وكبار السن والصغار.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع غير البشر.
- بيان مركزية الأخلاق في الإسلام.
- تعميق محبة النبي ﷺ في قلوب المسلمين.
- تعظيم قيمة الاقتداء بالنبي ﷺ في قلوب المسلمين.
- بيان الأسس النبوية لبناء البيت المسلم.



يمكنك الاشتراك في هذه الدورة من هنا

كيف عاملهم

22 محاضرة

10 ساعات

الدورات العلمية القادمة



السيرة النبوية



غزوات النبي ﷺ



فقــه الزكــاة

لمتابعة كل جديد يرجى الاشتراك في صفحات التواصل الاجتماعي

@ansaracademy_

مناشط الأكاديمية في شهر رمضان



أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY

- ندوة هدي النبي في شعبان.
- برنامج هدي رسول الله في رمضان.
- دورة فقه الصيام.
- ندوة الاستثمار الأمثل لرمضان.
- ندوة هدي النبي في العشر الأواخر من رمضان.
- ندوة زكاة الفطر؛ الحِكَم والأحكام.

مساحة إعلانية



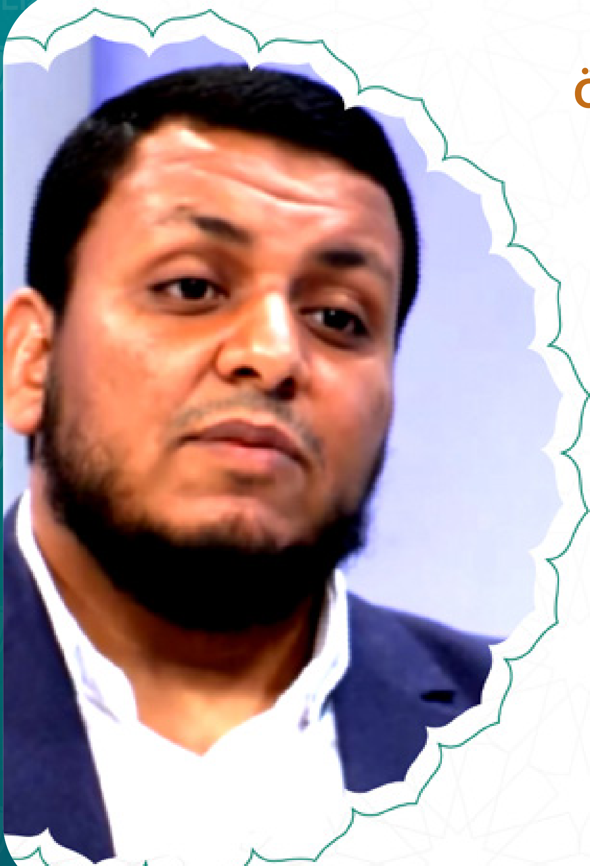
سلسلة السيرة النبوية

الشيخ د. محمد الصغير

الأمين العام للهيئة العالمية
لنصرة نبي الإسلام ﷺ

استعراض لوقائع السيرة النبوية
التي نحتاجها في واقعنا المعاصر

- من نبعته إلى بعثته ﷺ
- من بعثته إلى هجرته ﷺ
- من هجرته إلى وفاته ﷺ
- الغزوات النبوية



سلسلة السيرة النبوية الفرنسية

محمد إلهامي

عضو الأمانة العامة
للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

استعراض لسيرة النبي ﷺ من خلال دراسات
ومؤلفات المستشرقين والمؤرخين الفرنسيين،
تحقيقا لقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾

- السيرة النبوية الفرنسية

مساحة إعلانية



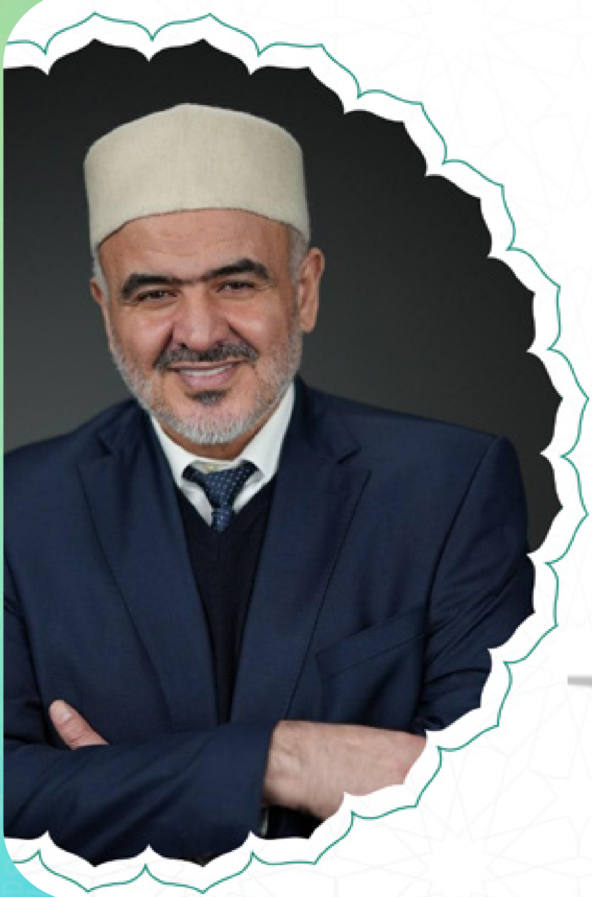
سلسلة شرح كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى

الشيخ د. عبد الحي يوسف

عضو مجلس أمناء
الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

وقفات مع الكتاب الأفخر الأشهر للقاضي عياض، للتعريف بحقوق النبي ﷺ والواجب على أمته نحوه.

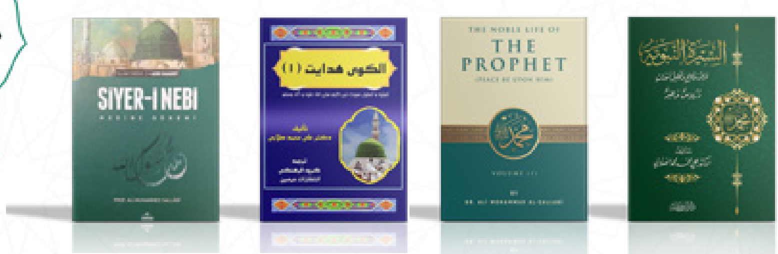
سلسلة شرح كتاب الشفا



كتاب السيرة النبوية بعدة لغات

الشيخ د. علي محمد الصلابي

المؤرخ الإسلامي



١ ٢ | ١ ٢ ٣ | ١ ٢ | ١ ٢

مساحة إعلانية



الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية

التعليق على الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية لابن أبي العز الحنفي

تعليق الشيخ: مختار بن العربي مؤمن الجزائري الشنقيطي

عضو مجلس الأمناء
للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية



كتاب رياض الصالحين
للإمام النووي (صوتيا)

زبدة أحاديث السنة النبوية كما جمعها الإمام الكبير محيي الدين شرف النووي

بصوت الدكتور: بسام صهيوني

عضو مجلس الأمناء
للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

رابط الكتاب المسموع

يمكنك تحميله كتطبيق على الهاتف من هنا

أئمة الهدى

﴿قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾

.. من تراث علمائنا الراحلين ..



عندما كفَر الخطيب على المنبر!



الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر

رحمه الله

يقول الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله[١]:

كان (الشيخ طه حسين[٢]) طالباً في الجامعة المصرية القديمة، حين كانت متشرفة برياسة (سمو الأمير فؤاد) (حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد رحمه الله) وتقرر إرساله في بعثة إلى أوربة، فأراد حضرة صاحب العظمة السلطان حسين رحمه الله أن يكرمه بعطفه ورعايته، فاستقبله في قصره استقبالاً كريماً، وحباه هدية قيمة المغزى والمعنى.

---

١. كتاب: كلمة الحق، أحمد محمد شاكر، ص١٤٩-١٥٣، ط: مكتبة السُنة، ١٤٠٨هـ.

٢. حضرة صاحب المعالي الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف.

وكان من خطباء المساجد التابعين لوزارة الأوقاف، خطيب فصيح متكلم مقتدر، هو الشيخ محمد المهدي خطيب مسجد عزبان، وكان السلطان حسين رحمه الله مواظباً على صلاة الجمعة، في حفل نخم جليل يحضره العلماء والوزراء والكبراء.



فصلى الجمعة يوماً ما بمسجد المبدولي القريب من قصر عابدين العامر، وندبت وزارة الأوقاف ذاك الخطيب لذلك اليوم، وأراد الخطيب أن يمدح عظمة السلطان، وأن ينوه بما أكرم (الشيخ طه حسين) وحُق له أن يفعل. ولكن خانته فصاحته وغلبه حب التغالي في المدح، فزل زلة لم تقُم له قائمة من بعدها.. إذ قال أثناء خطبته: «جاءه الأعمى فما عبس في وجهه وما تولى»!

وكان من شهود هذه الصلاة والدي الشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر سابقاً رحمه الله؛ فقام بعد الصلاة يعلن الناسَ في المسجد أن صلاتهم باطلة، وأمرهم أن يعيدوا صلاة الظهر فأعادوها.

ذلك بأن الخطيب كفر بما شتم رسول الله ﷺ تعريضاً لا تصريحاً. لأن الله سبحانه عتب على رسوله ﷺ حين جاءه ابن أم مكتوم الأعمى، وهو يحدّث بعض صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام. فأعرض عن الأعمى قليلاً حتى يفرغ من حديثه فأنزل الله عتاب رسوله في هذه السورة الكريمة.

ثم جاء هذا الخطيب الأحمق الجاهل، يريد أن يتملق عظمة السلطان رحمه الله وهو عن تملقه غنيّ والحمد لله، فمدحه بما يوهم السامع أنه يريد إظهار منقبة لعظمته، بالقياس إلى ما عاتب الله عليه رسوله -

وأستغفر الله من حكاية هذا - فكان صنع الخطيب المسكين تعريضاً برسول الله ﷺ لا يرضى به مسلم، وفي مقدمة مَن ينكره السلطان نفسه.


الشيخ محمد شاكر

ثم ذهب الوالد فوراً إلى قصر عابدين العامر، وقابل محمود شكري باشا رحمه الله وهو له صديق حميم، وكان رئيس الديوان إذ ذاك، وطلب منه أن يرفع الأمر إلى عظمة السلطان، وأن يبلغه حكم الشرع في هذا بوجوب إعادة الصلاة التي بطلت بكفر الخطيب.

ولم يتردد شكري باشا في قبول ما حُمل من الأمانة وأعتقد أن عظمة السلطان لم يتردد في قبول حكم الشرع بإعادة الصلاة.

وكاد الأمر أن يقف عند هذا الحد، لأن قوانينكم التي تدينون بها لا تحمي رسول الله ﷺ من سفه السفهاء ولا من حمق الحمقى والأدعياء.

ثم دخل دخلاء السوء ممن يحرصون أشد الحرص فيما زعموا على حقوق الأفراد ويغلون أشد الغلو في ذم العلماء وهدمهم، حتى يشغلوهم بأنفسهم عن نصر دينهم والذب عن حوضه. وكان ذلك الرجل الخطيب متصلاً ببعض المستشارين الكبار اتصال التابع بالمتبوع، يؤدي لهم كثيراً من الخدمات. فأشاروا عليه بأن يرفع دعوى جنحة مباشرة على أبي، لأنه سبه سباً علنياً في المسجد وفي ديوان السلطان.

وأشفق مَن لم يعلم أن ينال أبي من ذلك سوء. وثار البلد وكثر اللغط ووقف رجال كرام من رجال القضاء الأهلي في ذلك مواقف مشرفة، بين مسلم وقبطي، كانوا يداً واحدة في الذب عن رسول الله ﷺ، وإنكار أي مساس ولو من بعيد بمقامه الكريم.

ولم يعبأ والدي رحمه الله بقضية الخطيب ولا بمن وراءه من الكبار؛ بل وكّل عنه صديقه الأستاذ الكبير محمد بك أبو شادي، وكان موقف أبي في القضية أن لن يحتكم في حكم الشرع في جريمة هذا المجرم إلى علماء الأزهر، لأن حكم المساس برسول الله ﷺ ولو تعريضاً معروف للدهماء، لا ينكره جاهل أو متعنت أو غبي.



وإنما نقطة البحث الصحيحة فيها عربية لغوية صرفة: الذي صدر من الرجل الجاني المدعي أنه مجني عليه تعريض بالمقام الكريم مقام الرسول الأعظم، بدلالة اللغة والاستعمال أم ليس بتعريض؟

ولا يحتاج الفصل في هذا إلى علماء الأزهر، خشية أن يظن بهم ما هم برءاء منه من العصبية. بل هي نقطة عربية لغوية، يكفي فيها رأي بعض المستشرقين الإفرنج، ممن لا يظن بهم العصبية لرسول الله ﷺ، بل هم مظنة الضد من ذلك.



فكان تصميم الوالد رحمه الله وعزْمه على أنه إذا وصلت القضية إلى المحكمة وعُرضت، أن يطلب ندب خبراء مستشرقين، يحددوا بخبرتهم في لغة العرب دلالة كلام الخطيب من الوجهة العربية: أهو تعريض أم لا؟ ثم يكون الفصل القضائي طبقاً لما يقرره الخبراء.

ثم دخلت الحكومة في الأمر، خشية ما يكون من وراء هذه القضية من أحداث وأخطار وطوي بساطها قبل أن ينظرها القضاء.

ولكن الله لم يدَع لهذا المجرم جرمه في الدنيا قبل أن يجزيه جزاءه في الأخرى؛ فأقسِم بالله لقد رأيته بعيني رأسي بعد بضع سنين وبعد أن كان متعالياً متنفخاً، مستعزاً بمن لاذ بهم من العظماء والكبراء، رأيتُه مَهيناً ذليلاً خادماً على باب مسجد من مساجد القاهرة، يتلقى نعال المصلين يحفظها في ذلة وصَغار. حتى لقد خجلت أن يراني، وأنا أعرفه وهو يعرفني، لا شفقة عليه فما كان موضعاً للشفقة، ولا شماتة فيه فالرجل النبيل يسمو على الشماتة، ولكن لِما رأيت من عبرة وموعظة.



المعجزتان الكبريان



الشيخ علي الطنطاوي

رحمه الله*

المعجزتان الكبريان: القرآن، وهذه المزايا الفردة التي جعله الله بها أهلا لحمل رسالة الإسلام.

ترجمة حياته ﷺ كانت في ذاتها معجزة. كان بشراً وأمره الله أن يقرر هذه الحقيقة، ويعلنها للناس لئلا يتخذوه إلهاً، أو يمنحوه من صفات الألوهية، قال له ربه جلّ وعلا: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠].

---

* المقال منتقى من: علي الطنطاوي، كتاب: تعريف عام بدين الإسلام، ط: دار المنارة، جدة- الحجاز، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص١٦٨وما بعدها. باختصار.

بشر مثلكم في المقومات العامة للصفة البشرية، ولكن ليس في البشر (على التحقيق) من هو مثله في عظمته، ولم يخلق الله من هذا الطراز من أبناء آدم جميعاً إلا رجلاً واحداً اسمه محمد بن عبدالله، صلى الله عليه وعلى أبيه إبراهيم، وعلى موسى وعيسى وجميع الأنبياء.

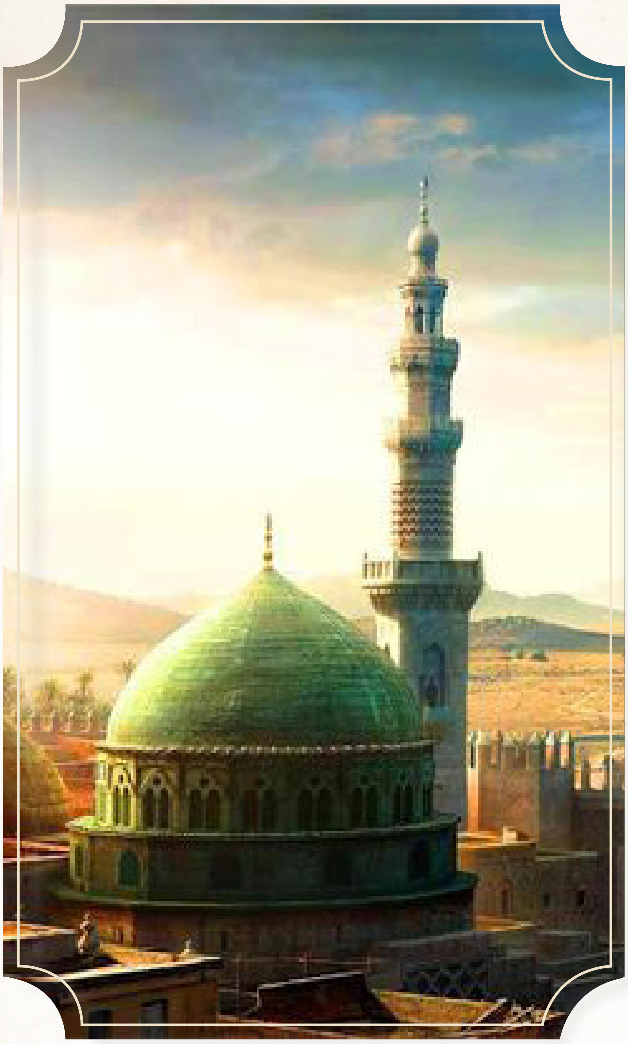


وإن من الظلم لمحمد، وإن من الظلم للحقيقة، أن نقيسه بواحد من هؤلاء الآلاف من العظماء الذين لمعت أسماؤهم في دياجي التاريخ، من يوم وجد التاريخ، فإن مِن العظماء مَن كان عظيم العقل ولكنه فقير في العاطفة، وفي البيان، ومن كان بليغ القول وثاب الخيال، ولكنه عادي الفكر، ومن برع في الإدارة، أو القيادة، ولكن سيرته وأخلاقه كانت أخلاق السوقة الفجار[1].

ومحمد ﷺ هو وحده الذي جمع العظمة من أطرافها، وما من أحد من هؤلاء إلا كانت له نواحٍ يحرص على سترها وكتمان أمرها، ويخشى أن يطلع الناس على خبرها. نواحٍ تتصل بشهوته، أو ترتبط بأسرته، أو تدل على ضعفه وشذوذه، ومحمد هو وحده الذي كشف حياته للناس جميعاً، فكانت كتاباً مفتوحاً، ليس فيه صفحة مطبقة، ولا سطر مطموس، يقرأ فيه مَن شاء ما شاء.

وهو وحده الذي أذن لأصحابه أن يذيعوا عنه كل ما يكون منه، ويبلغوه، فرووا كل ما رأوا من أحواله في ساعات الصفاء، وفي ساعات الضعف البشري، وهي ساعات الغضب، والرغبة، والانفعال.

١. ومن تصفح سير أدباء الافرنج رآها كلها كذلك، اسكندر دوماس وبودلير، وبيرون، وسير قوادهم كذلك، من نابليون بونابارت إلى أصغر قائد عندهم.



وروى نساؤه كل ما كان بينه وبينهن. هاكم السيدة عائشة تعلن في حياته وبإذنه أوضاعه في بيته، وأحواله مع أهله، لأن فعله كله دين وشريعة، ولولا أن في القراء الشبان والنساء، لسردت عليكم طرفاً منها، وكتب الحديث والسير والفقه ممتلئة بها.

لقد رووا عنه كل شيء حتى ما يكون في حالات الضرورة البشرية، فعرفنا كيف يأكل، وكيف يلبس، وكيف ينام، وكيف يقضي حاجته، وكيف يتنظف من آثارها.

عَظَمَة رسول الله ﷺ

فأروني عظيماً آخر، جرؤ أن يغامر فيقول للناس: هاكم سيرتي كلها، وأفعالي جميعاً، فاطلعوا عليها، وارووها للصديق والعدو، وليجد من شاء منهم مطعنا عليها.

أروني عظيماً آخر دونت سيرته بهذا التفصيل، وعرفت وقائعها وخفاياها، بعد ألف وثلاثمائة سنة، مثل معرفتنا بسيرة نبينا؟

والعظمة إما أن تكون بالطباع والأخلاق والمزايا والصفات الشخصية، وإما أن تكون بالأعمال الجليلة التي عملها العظيم. وإما أن تكون بالآثار التي أبقاها في تاريخ أمته وفي تاريخ العالم.

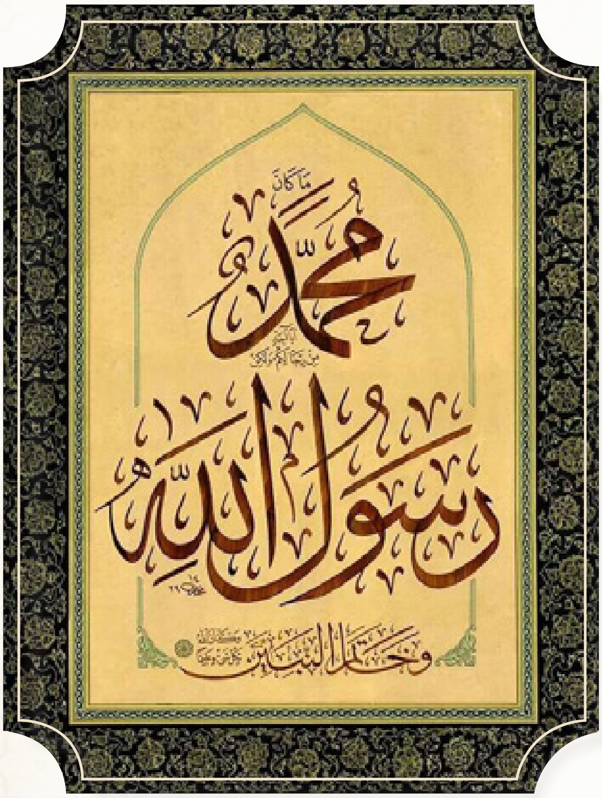
ولكل عظيم جانب من هذه المقاييس تقاس بها عظمته، أما عظمة محمد فتقاس بها جميعاً لأنه جمع أسباب العظمة، فكان عظيم المزايا، عظيم الأعمال، عظيم الآثار.

والعظماء إما أن يكونوا عظماء في أقوامهم فقط، نفعوها بقدر ما ضروا غيرها، كعظمة الأبطال المحاربين، والقواد الفاتحين. وإما أن تكون عظمة عالمية، ولكن في جانب محدود، في كشف قانون من القوانين التي وضعها الله في هذه الطبيعة وأخفاها حتى نُعمل العقل في الوصول إليها، أو معرفة دواء من أدوية الأمراض، أو وضع نظرية من نظريات الفلسفة، أو صوغ آية من آيات البيان، قصة عبقرية، أو ديوان شعر بليغ.

أما محمد فكانت عظمته عالمية، في مداها، وكانت شاملة في موضوعاتها. وكان مؤمناً بما يدعو إليه، وكثير ممن نعرف من الدعاة، قديماً وحديثاً، يقولون بألسنتهم ما تخالفه أفعالهم، ويعلنون في الملأ ما لا يأتونه في الخلوات، وتغلب عليهم طبائع نفوسهم، في ساعات الرغبة والرهبة والغضب والجوع والحاجة، فينسون كل ما يقولونه. ولست أتكلم عن أحد، ولكن أضرب نفسي مثلاً، أنا أحاول السمو النفسي حين ألقي المحاضرة وأكتب المقالة الداعية إلى الحق والخير والهدى، فلا أكاد أعلو قليلاً حتى يغلب عليّ ثقل طبيعتي وشهوات نفسي الأمارة بالسوء، فأعود إلى الأرض. ويرى الناس ذلك من الوعاظ والخطباء فلا يبالون بما يقولون، ولا يكون للوعظ فيهم أثر.



أما الرسول ﷺ فلم يدعُ يوماً إلى محاضرة جامعة في بيان أحكام الإسلام، ولم يُقِم مدرسة لها ساعات ودروس، ولم يجلس في حلقة وعظ، بل كان يبلغ ما يُوحى إليه في البيت والمسجد والطريق ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، حين تدعو الحاجة إليه، ولكنه يقول ذلك بلسانه وعمله، ويعبر عنه بقوله وفعله. فقد كان خُلقه القرآن، وأنتم تسمعون هذه الكلمة ولا تفكرون في معناها، ومعناها يا سادة: أن كل فعل من أفعاله، وكل خُلق من خلائقه، آيات تتلى، ومحاضرة تُلقى، وحلقة درس ومجلس وعظ، لأنها كلها تنطق بما يأمر به القرآن.



وكان يقوم الليل حتى تورمت قدماه، ويستغفر الله دائماً فقيل له: ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ وكان في أعماله كلها في صلاة لأن كل سعي للخير ودفع للشر وعمل لمصلحة الجماعة، إن أريد به وجه الله كان لصاحبه صلاة. وأنا أكتفي بمثال واحد على إيمانه بما يدعو إليه، وتمسكه بتطبيقه تمسكاً كاملاً يعلو على كل الاعتبارات وأمهد لهذا المثال بصورة واقعية:

لو اتُّهمت فتاة من أشرف الأُسر -من أسرة كبير أو وزير- بتهمة السرقة، أترونها تُسجن كما تسجن نورية[٢] لو كانت هي السارقة؟ وينفذ فيها حكم القانون كما ينفذ في تلك النورية؟ أم تمتد إلى قضيتها مئة إصبع، فتستر الجرم، أو تسهل المحاكمة، أو تهون العقاب؟

٢. النورية هي الغجرية. والنوَر منتشرون في آسية وأوروبة، وأظهر الأقوال أن أصلهم من الزط الذين أسكنهم الحجاج بن يوسف الثقفي أواسط العراق، وقاموا -من بعد- بثورتهم المشهورة.

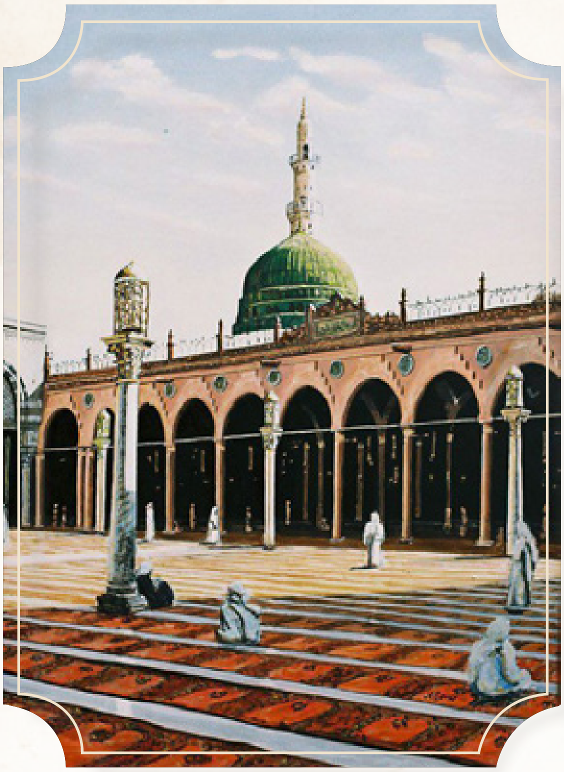
لقد وقعت قضية كهذه على عهد الرسول. فتاة من أشرف أسر قريش، من بني مخزوم، من أسرة الوليد الذي يقال له الوحيد، أسرة خالد سيد قواد المعارك، وهي ثالث أسرة شرفاً بعد هاشم وأمية، سرقت هذه الفتاة، وثبت الجرم، وتقرر الحكم، فسعى ناس في الوساطة لها، يظنون أن الرسول -لما يعرفون من حبه للصفح والعفو- سيعفو، فإذا هو يغضب ويفهمهم أنما أهلك من كان قبلهم، أنهم إذا اجترم الشريف تركوه، وإذا اجترم الضعيف عاقبوه. ويقول لهم قولته العجيبة التي وطدت في حياة الإسلام ركناً ثابتاً، وقررت أن الحدود لا تسمع فيها شفاعة، ولا يكون فيها عفو: «أما والله لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت، لقطعت يدها».

وكان ذلك عنده شيء طبيعي لأنه كان يعيش بالدعوة، ويعيش للدعوة، هواه تبع لما أنزل إليه، وكل ما يصله بالناس من أسباب القرابة والصداقة والمنفعة، ينقطع إذا اعترض طريق الدعوة.

زُهد الرسول وبساطته

وقد فرغ ﷺ مما يحيا له الناس عادة من أمر الطعام واللباس، وفرغ من مطالب النفس كلها، ولم يكن يحرص على التقشف أو يعتمد الجوع، كما يفعل بعض مَن يدعي الزهد، ولا يواظب على لباس الفقر، ولا على اتخاذ الصوف، بل كان يأكل ما قُدم إليه من الطيبات، وإن لم يعجبه (مما لم يكن محرماً) لم يأكله ولم يعِبه. وما عُرف عنه أنه ذم طعاماً قط، وإن لم يجد صبر على الجوع حتى يبرح به فيربط على بطنه الحجر، وكان يلبس ما وجد، ولا يلتزم زياً خاصاً ولا نوعاً خاصاً ولا لوناً خاصاً...

والرسول ﷺ لم يكن يحرم زينة الله التي أخرج لعباده، ولا الطيبات من الرزق، ولا يردّها، ولا يأباها إن وجدها، ولكنه لم يكن يحرص عليها، ويجعلها أكبر همه من دنياه.



لقد فرغ كذلك من شهوة الغِنى والجاه، وأنتم تعرفون أن قريشاً عرضوا عليه ما شاء من أموالهم إن شاء الغِنى، وعرضوا عليه السلطان والإمارة عليهم إن شاء الجاه، ولم يتركوا شيئاً مما يعلمون ميل النفوس إليه وتعلقها به إلا بذلوه له ليترك دعوته. فكان يأبى عليهم ما عرضوه، راثياً لهم مشفقاً عليهم.

وفرغ كذلك من أمر الشهوة الجنسية، ولقد غر أقواماً من المستشرقين الذين درسوا الرسول بهذه العقلية الأرضية المريضة، وقاسوه بالمقياس الذين يقيسون به العظماء من رجالهم. فرأوا أنه تزوج تسع نسوة، فقالوا إنه رجل شهواني، يحسبونه من نوع مَن عرفوا من رجال السيف أو القلم. فنابليون مثلاً الذي أكره أُمةً كاملة بحكومتها ووجوه شعبها على أن يكونوا (قوادين) له، يوصلونه إلى الفتاة البولونية[٣] التي أحب، وزاد على ذلك فاضطر أبا الفتاة على أن يلزمها الإثم الذي أراده منها، وجعل استقلال (بولونيا) رهناً بتحقيق هذه الرغبة النجسة الفاجرة.

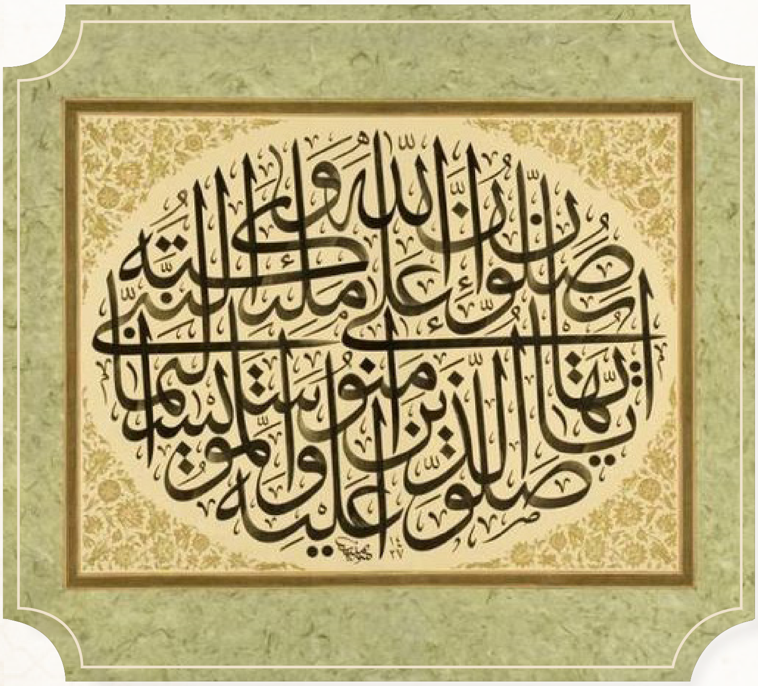
وليس ذلك وزر نابليون وحده، بل إن اسكندر دوماس، وبيرون وغوت، وبودلير، والعشرات من أمثالهم كانت كلها كذلك، وهذه تراجم عظمائهم، إذا بلغت في أي منها بحث أخباره الجنسية، زكمت أنفك روائح تلك الأرجاس، فجاؤوا بهذه العقلية يدرسون سيرة رسول الله ﷺ، فدلوا بقولهم عنه إنه شهواني على جهل بعلم النفس، وجهل بتاريخ محمد، وبعد عن الحياد والنزاهة في البحث.

٣. الفتاة البولونية: هي (ماري فاليفسكا) وقصتها مشهورة، حتى لقد أخرجت بها الأفلام للسينما.

إن أشد أيام الرغبة الجنسية يقظةً وثورةً هي السن التي بين البلوغ والخامسة والعشرين، هذه هي السن الخطرة التي ينبغي فيها على كل عاقل وعاقلة أن يحذر فيها كل ما يجر إلى المعصية من التكشف والاختلاط، ومتابعة النظر إلى المحرمات، وإدمان الفكر فيها، ولو كان الاختلاط باسم العلم أو الدرس. فأين كان محمد في هذه السن؟ وما هي حوادث صبوته؟ ولقد كان حراً في بلد حرّ، ولو أرادها لم يمنعه منها مانع من رقابة ولا من عرف، ولقد كان لِداته من الشباب غارقين في هذه الملذات، لا يحرمها عليهم دين ولا قانون.

سيرة مكشوفة للعدو والصديق

إن سيرة محمد مكشوفة للعدو والصديق، معرضة لأنظار كل ناقد، فهل ترون فيها أنه كان في هذه السن من أرباب الصبوات ومن ذوي الشهوة العارمة ومن المقبلين على المتع والملذات؟



فقد فكر مرة واحدة في أن يمارس بعض ما يمارس لِداته من اللهو، فألقى الله على عينيه النوم حتى فاته ما فكر فيه. ولو أنه واقع شيئاً من ذلك فهل كان يسكت عنه خصومه من المشركين وقد كانوا حريصين على حربه وإيذائه من كل سبيل؟ وتزوج وهو ابن خمس وعشرين، فهل تزوج الفتاة البكر الجميلة؟ أم تزوج امرأة في سن أمه أرملة في الأربعين؟ وسائر زوجاته أما كان جلهن أرامل تزوجهن زواج المصلحة؟

وأنا أعجب لماذا حاول المتأخرون من مؤلفي السيرة الاستكثار من المعجزات، والتوسع فيها، وإضافة معجزات لم تكن، وما حاجتهم إليها وكل موقف من سيرة الرسول وكل جانب من شخصيته هو معجزة من أكبر المعجزات؟

وما المعجزة؟ أليست الأمر الذي يعجز الناس عن مثله؟!



استأمنوه رغم عداوتهم له

إن صِدقه وأمانته معجزة، ولن أسردّ عليكم أمثلة كثيرة، فالمجال ضيق. ولكن أعرض مثالاً واحداً، حادثة مررت بها في مطالعاتي مئات المرات فكنت أقرؤها على أنها خبر عادي، ثم تنبهت إليها يوماً فجأة فإذا هي أعجوبة، وكم في السيرة من أمثال هذه الأخبار. كلكم تعرفون أنه لما هاجر الرسول إلى المدينة، ترك علياً مكانه ليردّ الودائع التي كانت عنده لقريش، فهل فكرتم يوماً ما قصة هذه الودائع؟

يردها لقريش لا للمسلمين، إذ لم يَبقَ أحد من المسلمين في مكة لما هاجر الرسول، لأنه كان آخر مَن هاجر، بقي كما بقى الرُّبان في السفينة الجانحة، لا يتركها حتى ينزل الركاب جميعاً، ويصلوا إلى قوارب النجاة وهذه مَنْقبة ذكرتها عرَضاً.

قصة الودائع هي أن قريشاً كانت (على كل ما كان بينها وبين الرسول) لا تجد من تأتمنه على ذخائرها إلا محمداً، فتصوروا حزبين مختلفين، الحرب قائمة بينهما، حرب اللسان واليد والمبدأ والعقيدة، ثم يأتمن أفراد الحزب على أموالهم وأوراقهم، رجلاً من الحزب الآخر!

هل سمعتم بمثل هذه الحادثة؟ وكيف يستودعونها هذا الخصم، إن لم يكن في أخلاقه وأمانته معجزة من المعجزات، والشك فيه أحد المستحيلات؟

هكذا كان محمد!

ويوم بدر يوم مر يعدل الصفوف قبل المعركة، وفي يده قدح (قطعة من الخشب)، فوجد سواد بن غزية بارزاً من الصف، فدفعه بالقدح في بطنه وقال: «اعتدل يا سواد». قال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل. تصوروا هذه المشهدة، قائد الجيش يجابهه جندي عادي بهذا الكلام، ماذا ترونه صانعاً به؟

يؤدبه؟ يعرض عنه؟ أو تبلغ به سماحة الصدر ونبالة الطبع فيسامحه ويعفو عنه؟ أو يزيد على الغاية فيقول: «عفواً أنا أعتذر إليك»؟

أما رسول الله فقد صنع شيئاً لا يصنعه أحد، ولا يخطر على بال أحد، كشف له عن بطنه وأعطاه القدح، وقال له: «استقد!»، أي: أوجعني كما أوجعتك.

أقاد من نفسه وهو سيد البشر.

هكذا كان محمد!

كل ذلك فيه الإعجاز، وفيه الدليل على أن الله ما اختاره لأسمى الرسالات، وما جعله خاتم الأنبياء، حتى أعده لذلك إعداداً جعله واحداً في بني آدم، ليس له في شمائله نظير ﷺ.

والله أعلم حيث يجعل رسالته.



الدعوة المباركة

والنهضة الميمونة



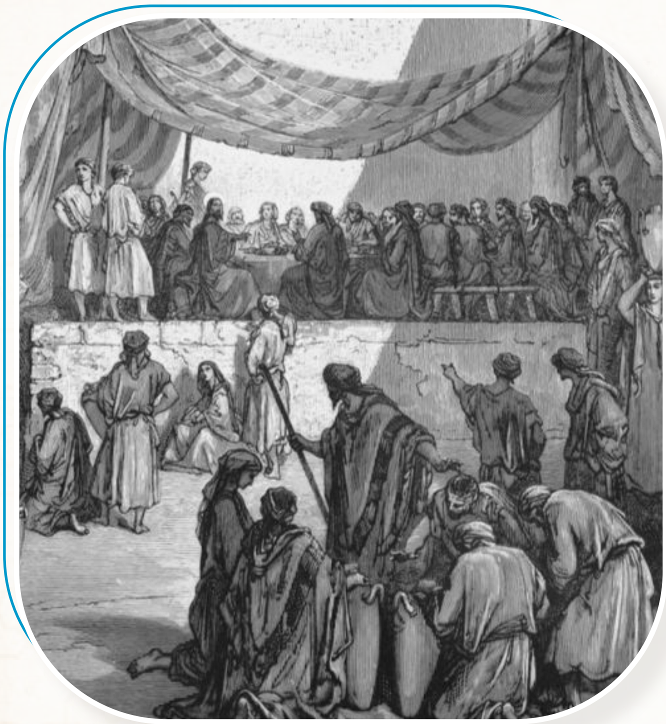
العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري

رحمه الله*

مَن علم ما كانت طوائف البشر وصلت إليه من التدهور في أبواب الاعتقاد والعمل والخُلُق قبل مولد المصطفى ﷺ، ثم لمح إلى ما تمَّ بيده الكريمة من الإصلاح الشامل في تلك الأبواب في مدة يسيرة بعد قيامه بالدعوة إلى الله سبحانه، ازداد تيقناً بأن الله عز وجل ما أرسله إلا ليكون رحمة للعالمين حقاً.

* المقال منتقى باختصار من: مقالات الكوثري، ط: المكتبة التوفيقية-القاهرة، ص٣٦٥ وما بعدها.

فها هي بيئته كانت متوغلة كل التوغل في جاهلية جهلاء ووثنية خرقاء تعبد ما تحت، وتعتقد أن الملائكة بنات الله -تعالى عن ذلك- ولا تترفع عن اتخاذ الغارات مصدر ارتزاق، ولا تستنكف من وأد البنات مخافة سبي أو خشية إملاق، ولا تأبى أن تبيح اجتماع رجال على امرأة فتعد ولدها ولداً شرعياً لمن يشبهه منهم. ويقول القائل في (بني حنيفة) إنهم اتخذوا في الجاهلية إلهاً من حيس فعبدوه دهراً ثم أكلوه في المجاعة، تعالى الله عما يفترون.



وحول تلك البيئة أمم يدينون بأديان محرفة مختلفة، فمنهم أمة تدين بالتثليث وتقول إن الثلاثة واحد، وإن ابن الله قُتل ثم رُفع إلى السماء وقعد في جنب أبيه -تعالى الله عما يختلقون- ويبيع لهم كهنتهم بقاعاً من الجنة وهم لأربابهم مسخرون.

ومنهم من يعتقد أن الله شيخ أشمط قاعد على كرسيه في السماء، وحوله الأملاك يهبط إلى الصخرة ويصعد منها إلى السماء، وقد استراح يوم السبت مستلقياً على ظهره رافعاً إحدى رجليه على الأخرى لنصَبٍ أصابه من خلق الكون، تعالى عما يأفكون!

ومنهم الصابئة عبدة الأجرام العلوية كأصحاب الهياكل الذين يعتقدون أن الشمس إله كل إله، وكالحرانية الذين يرون أن الخالق واحد كثير، واحد في الأصل كثير بتكثّر الأشخاص في رأي العين... فإنه يظهر بها ويتشخص بأشخاصها ولا تبطل وحدته وذلك بحلول ذاته أو جزء من ذاته فيها. تعالى عما يشركون.

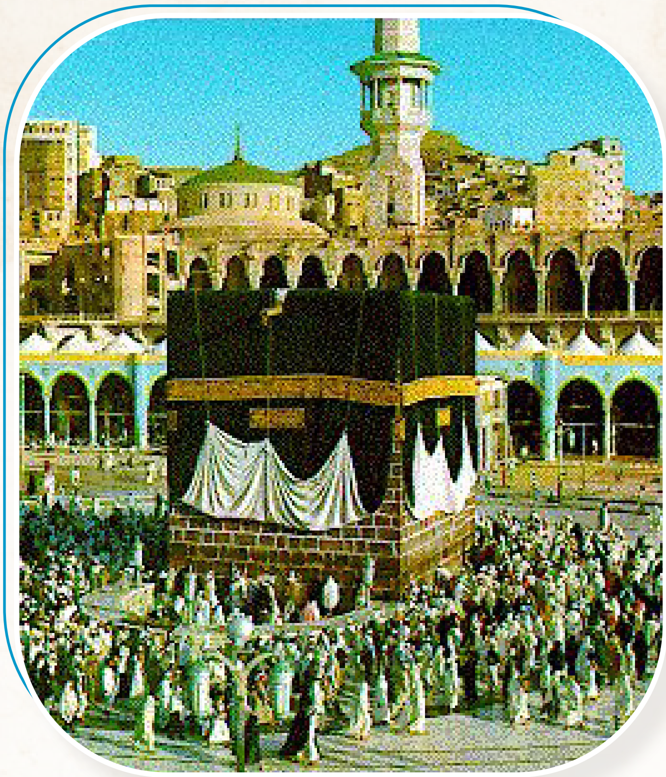
ومنهم المجوس عبدة النار القائلون بخالقين اثنين: النور خالق الخير، والظلمة خالق الشر على اختلاف فرقهم بخلط وتخليط من مانوية وديصانية ومزدكية وغيرها يرون أن النور غير متناهٍ إلا من جهة التحت حيث يلاقي الظلمة، وكان ماني رأس المانوية راهباً بحرّان مزج النصرانية بالمجوسية، ورئيس المزدكية هو مزدك الداعي إلى الاشتراك في الأموال والأبضاع تأسيساً للإخاء الشامل بإزالة أسباب العداء في زعمه، وقد بلغت به الوقاحة إلى حد أن يطالب قباد الساساني بتسليم الملكة له فانصاع له قباد الذي كان دان بدينه، لكن صعب ذلك على أنوشروان ابنه فانكب على رجلي مزدك يقبلهما ليعفي أمه من هذا فأعفاها، وبعد أن تولى الابن الملكَ أعمل في المزدكية السيف وقتل رئيسهم شر قِتلة.

ومزدك هذا هو السبب الأصلي لانهدام ذلك المجد الشامخ لآل ساسان وانهدام المجد نتيجة ضرورية للإباحة المطلقة حيثما حلت ولو بعد حين. ومِن معتقد المزدكية أن المعبود قاعد على كرسيه في العالم الأعلى على هيئة قعود الملك في العالم الأسفل.

ومن تلك الأمم الدهريون والطبعيون نفاة الصانع المحرومون من تعقُّل الاستدلال بالأثر على المؤثر، وهذا منتهى البلاهة، وهم آفة الفضيلة في كل عصر، والمنزلون للبشر منزلة البقر في عدم التكليف.

ومنهم السمَنِيّة والبَراهمة القائلون بنفي ما وراء الحس والمنكرون للنبوة، وفلسفتهم أم الهوان والمذلة في كل دور.

هكذا كان الحجاز وما حوله إلى فلسطين والشام والعراق وبلاد الروم وأرض الفرس والهند وبلاد أفريقية وما والاها حين بُعث خاتم رسل الله ﷺ؛ فأي منظر يكون أقتم وأظلم من هذا المنظر في تاريخ البشر.



الدعوة المباركة

ولا يخفى على البصير مصادر ما نستخفه من المزاعم الشائعة في بعض نِحَل اليوم من تلك المعتقدات الباطلة. فقام هذا النبي الهاشمي الأبطحي ﷺ بالدعوة إلى الإسلام في تلك البيئة المحاطة بتلك الأمم..

يقيم الحجة لدعوته بحيث لا يدع عذراً لمعاند، ويوقظ العقول إلى المعالي بطريقة لا تعلو على مدارك العامة ولا تستنكرها الخاصة، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادل الطوائف بالتي هي أحسن حتى دانوا له تباعاً، فعلّمهم ما يجوز اعتقاده في الله وما لا يجوز، وفهّمهم وجوب تنزيه الله سبحانه عن مشابهة مخلوقاته ومماثلة مصنوعاته وفقّههم في أبواب العمل، ودربهم على الفضائل والسجايا الكريمة، واستنهض الجميع نحو رقي مستمر في العلوم والأعمال والأخلاق وما إليها استنهاضاً تدريجياً بعيداً عن الطفرة والمفاجأة، مستعملاً اللطف في محله والعنف في موضعه حتى خرقت دعوته ذلك النطاق وانتشر دين الإسلام في جميع الآفاق فدانت الأمم بنور هدايته في مشارق الأرض ومغاربها.

وأفاضت هذه الدعوة المباركة والنهضة الميمونة على العالمين ما لم يعهد له مثيل من الخيرات في أيسر مدة، فمن تأمل ذلك يزداد يقيناً ويجد في ثنايا تشريع هذا النبي العظيم معجزات تتجدد مدى الدهر، رغم انحراف المنحرفين عن هدية ﷺ ورغم مسعى الفاتنين في هدّ كيان شرعه في الداخل والخارج.

وأمهات ما تلقت الأمة من النبي ﷺ هي العلم بالله وصفاته وما إليها من المعتقدات المقصودة لذاتها، والعلم بالأحكام العملية من عبادات ومعاملات يدور عليها تهذيبهم النفسي وإقامة العدل بين الخليقة، والعلم بطرق اكتساب الملكات الفاضلة والتخلي عن الخلال الرديئة النفسية مما يرشد إلى وسائل تزكية النفوس وتصفية القلوب حتى تصدر منها الأعمال المسعدة في النشأتين سجية لا بتكلف؛ فتتم لهم الكمالات العلمية والعملية...

وكان السلف من الأمة المحمدية في غاية من الاعتصام بهذا الدين الحنيف ونهاية التوفيق في استثمار الخيرات منه في ساحات العلم والعمل والاعتزاز، كما هو معلوم لمن استعرض آثارهم في فتح البلاد وهداية العباد، ومدوناتُهم الخالدة في العلوم تملأ خزانات العالم وتشهد لهم بكل فخر، بخلاف خَلَفهم الذين أضاعوا التراث، وبدأوا يندمجون في غير أمتهم فهانوا وذلوا حيث أعرضوا عن هذا الدين القويم والشرع الحكيم، فلا حول ولا قوة إلا بالله فندعوه سبحانه أن يوقظنا من غفوتنا ويلهمنا رشدنا، وهو المجيب لمن دعاه.

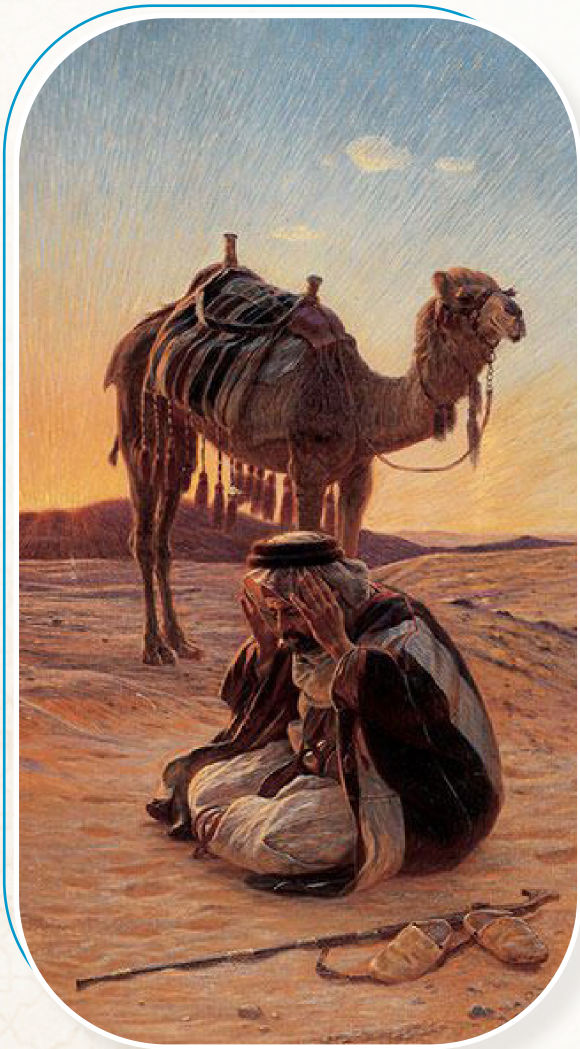
بعثة المصطفى ﷺ



إن الله اصطفى خاتم رسله صلوات الله عليه من أكرم أرومة على أكمل خلال، فبعثه بمكة بعد أن بلغ أربعين سنة من عمره إلى الناس كافة يدعوهم إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادلهم بالتي هي أحسن، وابتدأ ينذر عشيرته الأقربين فآمن به الذين يستمعون القول ويتبعون أحسنه، وآزروه وأيّدوه في دعوته، وآذاه مقلدة الجدود على العمى وقاطعوه

وقاطعوا المسلمين، فصبر النبي ﷺ والمسلمون جميعاً إزاء عدوان المشركين صبراً لا مزيد عليه، وملء قلوبهم الإيمان بأن الله سبحانه ينصر رسوله ويعلي كلمته.

ولم يكن رسول الله ﷺ ولا أصحابه -رضوان الله عليهم أجمعين- يقابلون عدوان هؤلاء بعدوان ولا أذاهم بأذى، بل كانوا يشرحون لهم تعاليم الإسلام شرحاً تنشرح له صدور مَن ألقى السمع وهو شهيد، ويبيّنون لهم حقائق الدين الحنيف بياناً تخضع له قلوب الجبابرة إذا فكروا فيما سمعوا، ورغم هذا كان المشركون في تعنت شديد وقسوة بالغة نحو المسلمين، والمسلمون يزدادون إيماناً إلى إيمانهم كلما أوذوا في سبيل الله.



وعظيم صبرهم أمام ما لقوا في سبيل الحق من صنوف العنت فخرٌ خالدٌ لهم مدى الدهر، وأسوة حسنة وأمثولة عليا للذين يجاهدون لإعلاء كلمة الدين ويسعون في أن يعيدوا إلى الدين مجده وجدته، بعزائم لا تعرف الخنوع والاستسلام ولا التواكل والتكاسل.

وقد استمرت حالة المسلمين على ما وصفناه من الصبر على صنوف الضيم والاضطهاد من ابتداء البعثة النبوية إلى عام الهجرة حتى لم يبقَ للمشركين مجال إزاء البراهين المشروحة لهم غير العنت الدائم والتمرد المتزايد والعدوان المستمر.

وهذه المدة الطويلة البالغة ثلاث عشرة سنة كانت مهلة كافية، بل فوق الكفاية لتمكينهم من التفكير ملياً فيما يدعو إليه خاتم المرسلين مما فيه سعادتهم العاجلة والآجلة، لكنهم ما ازدادوا إلا عتواً وفساداً، فأذن الله سبحانه لنبيه في الهجرة إلى المدينة المنورة -زادها الله تشريفاً- فتمت الهجرة النبوية على الوجه المشروح في كتب السير كالمورد الهني للقطب الحلبي، وسيرة ابن سيد الناس، وإمتاع المقريزي وغيرها.

تعزيز الحق بالقوة



وكانت هذه الهجرة مبدأ عهد جديد ملؤه العزة للمسلمين، وهو عهد بدء دفع العدوان على الحق بالقوة حيث آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وكان هذا التآخي بين الأصحاب أول نواة تثبت منها القوة المنشودة ضد المعتدين، وما أبرزه المهاجرون والأنصار إذ ذاك من التضحية والتفاني في سبيل إعلاء كلمة الله مما لم يسجل مثله التاريخ لأمة من الأمم.

وقد مضى النبي وأصحابه في الدعوة إلى الله -بعد الهجرة- على مبدأ الدفاع عن الحق بالقوة بعد إعذار المدعوين وإقامة الحجة عليهم؛ فبهذه الطريقة الرشيدة انتشر النور الوهاج المنبثق من جانب الحجاز في الآفاق كلها حتى استنارت هذه الكرة الأرضية المظلمة بهذا النور العظيم، إلى أن تبدلت الأرض غير الأرض وتمّ وعمّ في البسيطة ما يعرفه الجميع من الرقي العظيم في العلوم والأعمال والأخلاق بعد اعتناق الأمم لهذا الدين الحنيف، وهذا مما لم يُرَ مثله في جيل من الأجيال ولا دين من الأديان، ولم نزل نفاخر بذلك التراث الفاخر أمام جميع أمم العالم.

وأجلى ما يتراءى للناظر من المعاني السامية في الهجرة هو تعزيز الحق بالقوة، لأن الحق كثيراً ما يكون عرضة للضياع إزاء اعتداء المعتدين إذا لم تكن هناك قوة تحميه وتذب عنه.

ولهذا المعنى شُرعت الخلافة في الشرع الإسلامي حتى تنفذ أحكام الشرع في الأبواب كلها بمنعة تقوم بكبح جماح الطغاة الغواة، بل رأى الصحابة -رضوان الله عليهم- الفراغ من بيعة الخلافة مقدماً على تجهيز النبي ﷺ ودفنه عند لحوقه بالرفيق الأعلى ليتولى خليفته الإشراف على شؤون الأمة عقب وفاته ﷺ، حذراً من حدوث أمر يحوج إلى القوة أثناء الفترة..



بل عدوا الساعين في تفريق شؤون الدين من شؤون الدنيا بمنع الزكاة في سبيل المرتدين بسعيهم في تجريد الخلافة من القوة، بل الخلافة هي أول تشريع عرفه البشر المدني بالطبع في تاريخه، بل هو أول شرع مشروع للبشر قبل خلقة البشر، حيث قال الله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةًۖ﴾ [البقرة: ٣٠]، ولولا أن الملائكة علموا أن الخليفة يكون بيده تنفيذ الأحكام الشرعية بقوة على المفسدين الخارجين على ما حده الشرع لما قالوا: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠] ولو كان هناك أمر أهم للأمة من إقامة من ينفذ الأحكام الشرعية فيهم بقوة لسبق القول به.



بيعة الأنصار



الشيخ محمد أحمد باشميل

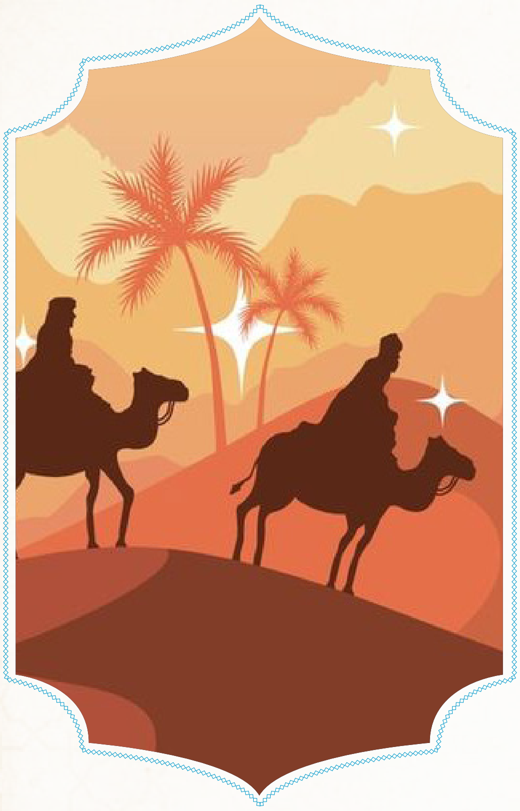
رحمه الله*

في العام التالي للبيعة الأولى (أي سنة اثنين قبل الهجرة النبوية) حضر لأَداء مناسك الحج من أهل يثرب ثلاثة وسبعون رجلًا وامرأَتان ممن أسلموا. وقد جاءُوا ضمن حجاج قومهم من أهل الشرك.

---

* محمد أحمد باشميل، من معارك الإسلام الفاصلة، ط٨ (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م) ص٥٠ وما بعدها.

وبمجرد وصولهم إلى مكة، جرت الاتصالات (سرًّا) بينهم وبين النبي ﷺ وانتهت هذه الاتصالات بالاتفاق على أن يجتمع الفريقان في اليوم الثاني من أيام التشريق، على أن يتم هذا الاجتماع في سرية تامة وفي ظلام الليل، وقد حددوا مكاناً لهذا الاجتماع.. الشِّعب من مِنى عند العقبة حيث الجمرة الأولى، أو الشيطان الكبير (كما يسميه العامة اليوم).



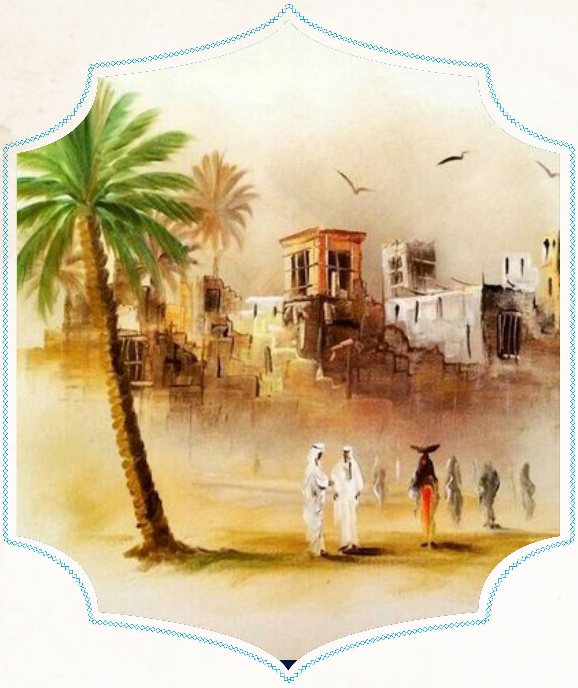
وفي الميعاد المحدد من تلك الليلة، حضر النبي ﷺ إلى الشعب عند العقبة وأَخذ الأَنصار يتوافدون على النبي ﷺ، واحداً بعد واحد (في ظلام الليل) خوفاً من أَن ينكشف أَمرهم لكفار مكة والمشركين من قومهم أهل يثرب.

ولنترك أَحد قادة الأَنصار يصف لنا كيف تم ذلك الاجتماع التاريخي الذي كان بداية التحول الخطير في تاريخ الصراع بين الإِسلام والوثنية.. وهو كعب بن مالك[1] رضي الله عنه:

قال كعب: ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام[2]، سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر إنك سيد من

١. انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد).
٢. سيرة ابن هشام ج١ ص٤٤١.

ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً، ثم دعوناه إلى الإسلام، وأَخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة فأَسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيباً.



قال كعب: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله ﷺ، نتسلل تسلل القَطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشِّعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلًا وامرأَتان من نسائنا.. نسيبة بنت كعب، أم عمارة، إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأَسماء بنت عمرو، وهي أُم منيع ..فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبدالمطلب -وهو يومئذ على دين قومه- إلا أنه أحب أَن يحضر أَمر ابن أخيه ويوثق له، وكان أول متكلم.

بداية المحادثات وأول المتكلمين

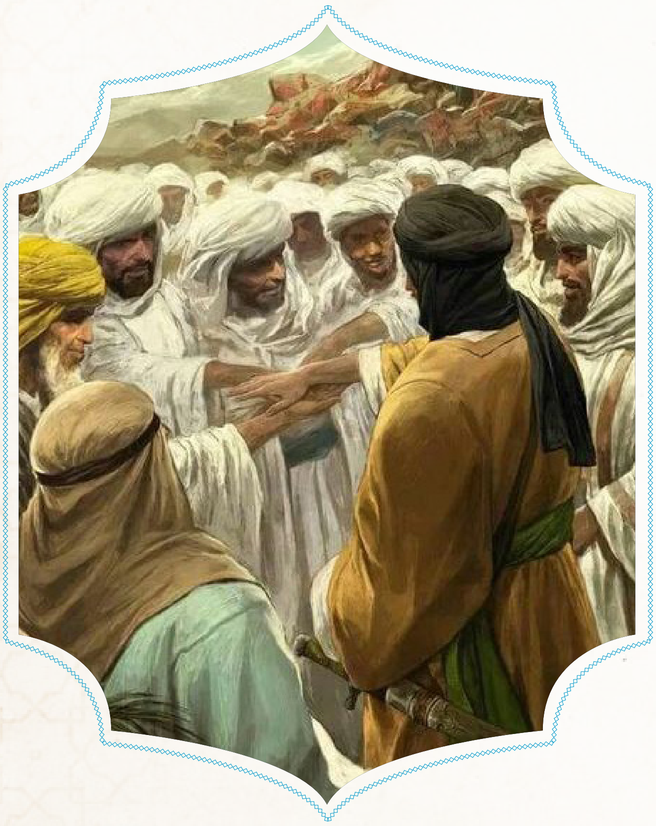
وهكذا، وبعد أن تكامل المجلس شرع المجتمعون في المحادثات التمهيدية لإِبرام التحالف العسكري بين هذه النخبة الممتازة من صفوة الأوس والخزرج وبين النبي ﷺ.

وكان أَول المتكلمين في هذا الاجتماع التاريخي العظيم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، فقد وقف خطيباً في القوم ليشرح لهم (بكل صراحة) خطورة ما هم مقدمون عليه، ويبين لهم -ليستوثق منهم- عِظَم المسئولية التي ستُلقى على كواهلهم نتيجة هذا التحالف العسكري، فقد قال لهم فيما رواه ابن إسحاق:

"يا معشر الخزرج -وكن العرب إنما يسمون هذا الحي من الأَنصار «الخزرج»- إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على رأينا فيه (أي من ناحية الاختلاف في الدين) فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم مسلّموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده»."

وبعد أَن فرغ العباس من إلقاءِ بيانه قال له اليثربيون (بلهجة تأكد العباس من صدقها): قد سمعنا ما قلت. ثم التفتوا إلى رسول الله ﷺ قائلين (في عزم وتصميم وشجاعة وإيمان): فتكلّم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت. وبعد ذلك ألقى الرسول ﷺ بيانه، ثم عُقد التحالف بين الفريقين.

معاهدة حماية



وقد كانت أهم بنود هذا التحالف من الناحية العسكرية، أن اليثربيين من الخزرج والأوس قد تعهدوا بحماية رسول الله ﷺ كما يحمون أنفسهم ونساءهم وأولادهم.

ثم شرع في وضع بنود المعاهدة التي أراد من هذه النخبة اليثربية المباركة المصادقة عليها قائلاً موجهاً خطابه إلى الأنصار:

"أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأَبناءكم».

فأَخذ البراءُ بن معرور[٣] بيد رسول الله ﷺ ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعنّك مما نمنع منه أُزرنا[٤]، فبايِعنا يا رسول الله، فنحن والله أَبناءُ الحروب، وأهل الحلقة[٥] ورثناها كابراً عن كابر.



وبينما البراء بن معرور يتكلم مؤكداً القيام بالتزام ما يفرض هذا الحلف من دفاع عن النبي ﷺ، اعترض أبو الهيثم بن التيهان[٦] قائلاً:

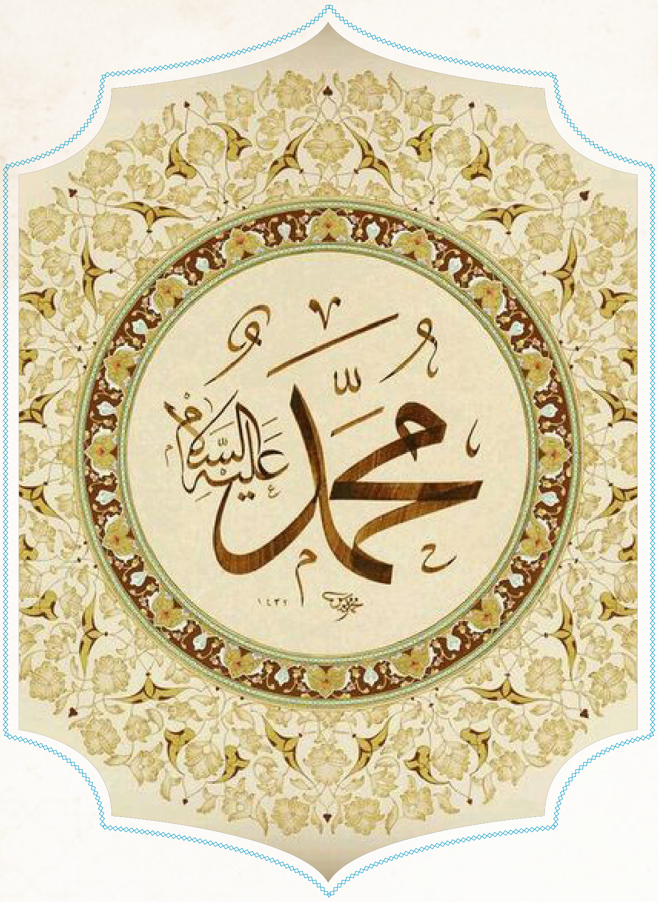
«يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا قاطعوها -يعني اليهود- فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أَظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا»؟

فتبسم الرسول ﷺ ثم قال:

«بل الدم الدم، والهدم الهدم[٧]، أَنا منكم وأَنتم منى، أُحارب مَن حاربتم وأُسالم مَن سالمتم».

---

٣. انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد).
٤. أزرنا أي نساءنا، والمرأة قد يُكنى عنها بالإزار.
٥. الحلقة (بفتح الحاء) السلاح.
٦. انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد).
٧. كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار: دمي ودمك، وهدمي هدمك، وهي كلمة تعني أن ذمتي ذمتك وحرمتي حرمتك. قاله ابن قتيبة وابن هشام.



وبعد أن ارتضى الأنصار (بالإجماع) شروط البيعة وأرادوا الشروع في عقدها بالمصافحة، طلب منهم العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري[٨] قائلاً (ليعرف مدى استعداد قومه للتضحية في سبيل تنفيذ ما عقدوا لرسول الله ﷺ من حلف ومبايعة):

يا معشر الخزرج.. هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟!

قالوا: نعم.

قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا أُنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله (إن فعلتم) خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة[٩] الأموال وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة.

قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف.

ثم التفتوا إلى رسول الله ﷺ قائلين: فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفّينا بذلك؟ قال: الجنة. قالوا: «ابسُط يدك». فبسط يده فبايعوه.

---

٨. انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد).

٩. نهكة الأموال: نقصها.

معاهدة غير مكتوبة

ولتبادل الثقة المطلقة بين الفريقين استعاضوا عن تسجيل هذه المعاهدة والتوقيع عليها كتابياً بالمبايعة بالأيدي، وكانوا يرون ذلك (لشدة إيمانهم ولسجية الوفاء المتأصلة في نفوسهم الشريفة) أعظم من إبرام المعاهدة كتابياً، فقد بسط رسول الله ﷺ لهم يده الشريفة فبايعهم واحداً واحداً، وبهذا اعتبرت المعاهدة نافذة المفعول.. هذا من جانب الرجال.

أما الجناح النسْوي في هذه الطليعة المباركة.. والذي تمثله امرأتان هما أُم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية، وأَسماء بنت عمرو، فلم يبايعن رسول الله ﷺ بالأيدي لأنه ﷺ ما صافح امرأة أجنبية حتى توفاه الله[١٠]، ولذلك كانت مبايعتهما بالموافقة التامة على بنود المعاهدة.

النقباء الاثنا عشر

وبعد أَن تمت المراسيم العامة للبيعة بالمصافحة من الجميع، طلب رسول الله ﷺ من المبايعين انتخاب اثني عشر زعيماً من زعمائهم ليكونوا نقباء على قومهم وكفلاء مسئولين عنهم في تنفيذ بنود هذه المعاهدة قائلاً: «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً، ليكونوا على قومهم بما فيهم». فتم انتخابهم في الحال، وبعد أن قُدِّموا لرسول الله ﷺ أخذ عليهم النبي ﷺ العهد (كرؤساء مسئولين) قائلاً:

---

١٠. روى الواقدي أن زوج أم عمارة (عربة بن عمرو) قال ساعة إبرام هذه المعاهدة: يا رسول الله هاتان امرأتان (أم عمارة وأم سبيع) حضرتا يبايعنك، فقال ﷺ: قد بايعتهما على ما بايعتكم عليه إني لا أصافح النساء.

"أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي". يعني المسلمين. قالوا: نعم"[١١].

الجاسوس الذي اكتشف المعاهدة

وقد أُبرِم هذا الحلف العسكري في هدوء تام وانسجام كامل، غير أن القوم ما كادوا يفرغون من إبرام هذا التحالف حتى اكتشفه أحد الشياطين الذين يعملون في مخابرات مشركي مكة، فقد كان هؤلاء الجواسيس يراقبون حركات محمد ﷺ لتزويد زعماء قريش بالمعلومات عن مدى نشاط دعوته، وخاصة في موسم الحج الذي يتزايد فيه نشاط النبي ﷺ بين قبائل العرب التي كان يتصل بزعمائها ويدعوهم وقومهم إلى الإسلام.



ولما كان اكتشاف هذا الجاسوس لاجتماع الأَنصار بالنبي جاء متأخراً، بحيث لا يمكن إبلاغ زعماء قريش خبر هذا الاجتماع سراً ليباغتوا المجتمعين وهم في الشِعب، حيث جاء هذا الاكتشاف في اللحظة الأخيرة من الاجتماع الذي كان على وشك الارفضاض.. لما كان الأَمر هكذا وقف هذا الجاسوس على

---

١١. سيرة ابن هشام ج١ ص٤٤٦.

مرتفع يشرف على (مِنى) حيث يخيم الحجيج وصاح بأعلى صوته يلفت نظر قريش إلى الخطر الذي يتهددهم قائلاً: «يا أهل الجباجب (أي المنازل) هل لكم في مذمم[١٢] والصباة[١٣] معه قد اجتمعوا على حربكم»

استعداد الأنصار لضرب قريش في مِنى



وعند سماع الأنصار صوت الجاسوس وهو ينبه قريشاً إلى ذلك الاجتماع في العقبة، قال أحد زعماء الأنصار (وهو العباس بن عبادة بن نضلة) وكان أحد النقباء الاثني عشر.. قال يخاطب النبي ﷺ والاجتماع على وشك الارفضاض: والذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلنّ على أهل مِنى غداً بأسيافنا؟

إلا أن النبي ﷺ لم يوافق على فكرة هذا الهجوم قائلاً للزعيم الأنصاري البطل: لم نؤمر بذلك.

ثم سمح رسول الله ﷺ لطليعة يثرب المباركة بالانصراف إلى رحالهم.

فانصرف أبطال العقبة إلى رحالهم في منى وقد أرسوا قواعد النضال المسلّح لحماية دعوة الإسلام والدفاع عن حاملها، وبهذا كتبوا الفصل الأول في تاريخ تحول مجرى الصراع بين الإسلام والوثنية.

---

١٢. كان مجرمو كفار مكة يسمون النبي ﷺ مذمماً!

١٣. الصباة جمع صابئ، وهو (الصابئ) بالهمزة، وكان يقال للرجل إذا أسلم (في زمن النبي ﷺ صابئ!



﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾



الأستاذ مالك بن نبي

رحمه الله*

إن عارضاً قد حدث بالتأكيد فغير مجرى حياته. فما هو هذا الذي حدث؟

لقد جاء أحد إخوته في الرضاعة ذات يوم مبهور الأنفاس، ليقص متلعثماً على حليمة المذعورة حادثاً غريباً فاجأ محمداً، فهبت حليمة من فورها تبحث عن رضيعها، فلما لقيته أكد لها ما حدث قائلاً: «جاءني رجلان يلبسان البياض فأمسكاني وفتحا صدري وقلبي وأخرجا منه علقة سوداء»[1].

---

* مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبدالصبور شاهين، ط: دار الفكر- دمشق، ط٤، ١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠م، ص١١١ وما بعدها.

١. قال المقريزي في "إمتاع الأسماع" عند حديثه عن رضاعة الرسول في بني سعد: "وشق فؤاده المقدس هناك، ومُلئ حكمة وإيماناً بعد أن أُخرج حظ الشيطان منه". وروى البخاري في صحيحه (شق صدر رسول الله ﷺ ليلة المعراج). وقد استشكله أبو محمد بن حزم. كما روى مسلم في صحيحه (ج٢ ص ٢١٥ بشرح النووي- طبع الطبعة المصرية) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه. قال أنس: "وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره". على أن الشق في فترة الحضانة رُوي أيضاً في مسند الدارمي (المقدمة، باب ٣). [المترجم]

وترى السيرة في هذه القصة اقتلاعاً رمزياً للإثم من جذوره، وربما أورد لها بعض المفسرين قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح]

ولكن من الثابت أن حليمة قد أعادت الطفل إلى مكة عندما كان في الرابعة أو الخامسة من عمره. فماذا يمكن أن ينطبع في عقله من هذه الحقبة من الحياة الوثنية والبدوية؟

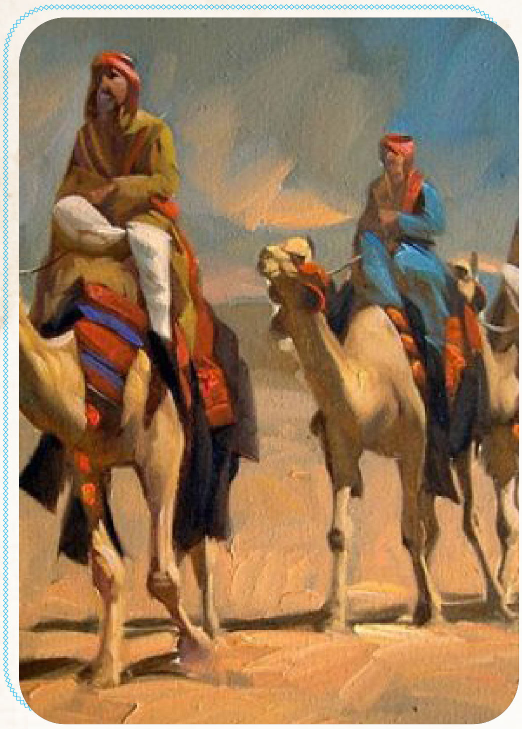


لا شيء -بكل تأكيد- يمكن أن يكون قد علق بذاته فيما يتعلق بالدعوة المقبلة.

وبعد قليل ماتت أمه (آمنة)، ولم يعد للغلام منزل أبوّة، فضمه جده (عبد المطلب) إليه. ثم مات الجد العجوز، فكفله عمه أبو طالب -أبو (علي)- وكانت سنه آنذاك سبعاً أو ثمانياً.

الاتصال الأول بالعالم الخارجي

وفي منزل الوصي حيث لا ثروة تُغني أهل البيت عن العمل، كان عمه يعمل قائداً ورائداً للقوافل المكية، فكان يذهب في مواسم معينة إلى مراكز التجارة الشامية، لمقايضة منتجات الهند واليمن بمنتجات بلاد البحر الأبيض المتوسط، وفي أحد هذه الأسفار حين بلغت سن النبي إحدى عشرة أو اثنتي عشرة سنة، توسل إلى عمه أن يصطحبه، ولكنه رفض لأنه لم يكن يريد أن يصطحب رفيقاً حَدَثاً مثله في سفر طويل قاسٍ.



ومع ذلك فقد ألحّ الغلام وذاب في دموعه، وألقى بنفسه بين ذراعي عمه الذي استجاب أخيراً لطلبه المؤثر.

تلك إذن هي المرة الأولى التي اتصل فيها النبي ﷺ بالعالم الخارجي، أي أنه عاش حتى الثانية عشرة في بيئة عربية وثنية، يرعى إبل عمه في ضواحي مكة؛ ومعنى ذلك أن حياته لم تنطبع بأي ظرف خاص من نوع ثقافي، بل لقد عاش تلك الفترة يتيماً راعياً. هذا السفر غير المتوقع سيضع في طريق الغلام الحادث العارض الأول الذي يتصل مباشرة بالدعوة المستقبلة.

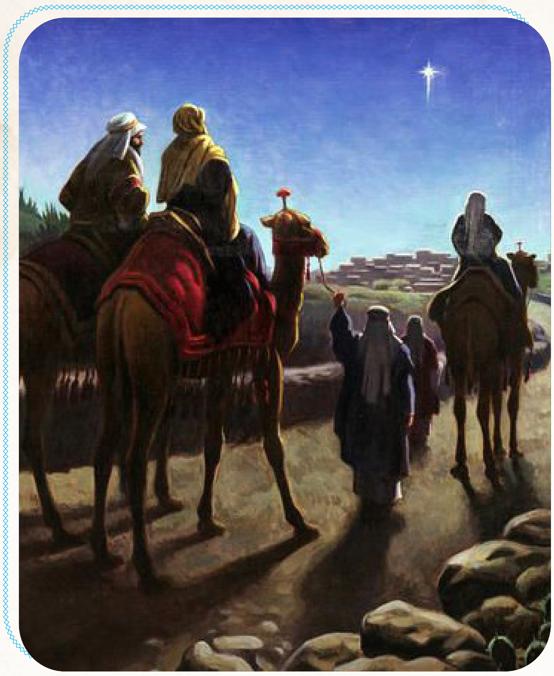
رسول الله و(بحيرا) الراهب

فعندما بلغت القوافل مدينة (بصرى) بالشام، استقبلهم راهب الدير استقبالاً حاراً، وقدّم لهم الضيافة المسيحية ثم انتحى ذلك الراهب المسمى (بحيرا) بأبي طالب جانباً وقال له: ارجع إلى مكة بابن أخيك، واحذر عليه اليهود فإنه كائن له شأن عظيم»[٢].

فهل أولى أبو طالب هذه الحادثة العادية في السفر ما تستحق من الاهتمام، ليشترك مع ابن أخيه في رسالته المقبلة، وهو الذي مات دون أن يعترف مطلقاً بالإسلام؟

وعلى كل، فإن رئيس القافلة المكية كان يجب عليه أولاً أن يكمل مهمته التجارية، قبل أن يأخذ طريق العودة.

٢.ابن الأثير، ج٢ ص٢٤.



أما فيما يخص الغلام -حتى على فرض أن القصة طرقت سمعه- فإن الحادث فيما يبدو لم يغير شيئاً من سلوكه كسائر شباب قريش.

والسيرة اليقظة لوقائع حياته لم تذكر شيئاً خاصاً -منذ هذا الحادث التاريخي- يدل على أن نبي المستقبل قد تجلى له مستقبله.

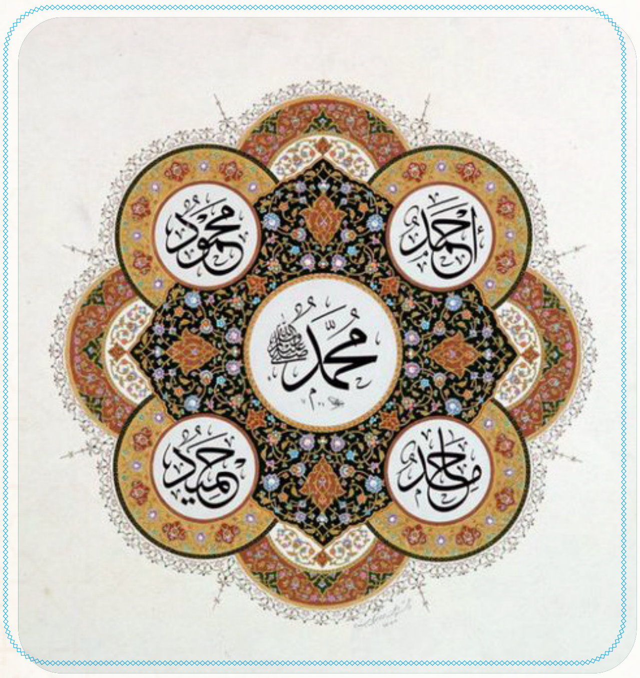
حماية الله لرسوله من الفساد

لقد بلغ (محمد) مرحلة المراهقة في مدينة مولده، فقد كان يختلط بالفتيان، ماراً بشهواتهم وأهوائهم دون أن ينزلق فيها، مع أن أحيان الفساد لم تكن قليلة هناك، فقد كانت المصابيح الحمراء المعلقة على أبواب الجواري المنحرفات يجتذبن شباب مكة، المولعين بحمل السلاح، وعشق النساء، ومطارحة الأشعار، وهم يحلمون بشجاعة عنترة وغرام امرئ القيس، وكل منهم يمني نفسه بتخليد اسمه، ويود لو يعلق ذات يوم معلقته (على أستار الكعبة).

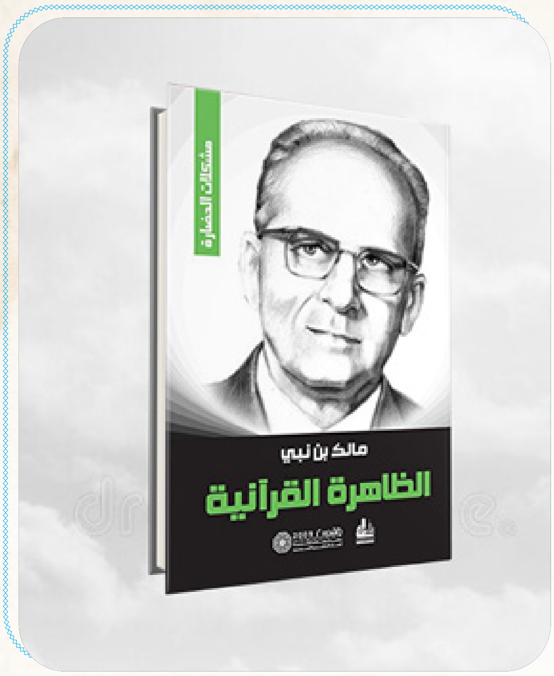
والرسول ﷺ نفسه قد حدثنا عما كان يراوده من نزعات الشباب، فقد ورد في الخبر أنه كان يرعى غنماً لأهله مع فتى من قريش بأعلى مكة، فاستأذنه في أن يبصر له غنمه حتى يسمر بمكة كما يسمر الفتيان، فخرج فلما جاء أدنى دار من دور مكة سمع غناء وصوت دفوف ومزامير في عرس بالمدينة، فلها بذلك حتى غلبته عيناه فنام، ثم عراه مرة أخرى مثل ذلك.

ومن هذا يظهر أن حادثاً عارضاً غير متوقع يحدث دائماً ليحوله عن قصده، وليست الخرافة هي التي تتكلم في هذا الشأن، ولكنه الشاهد نفسه، أعني التاريخ القائم على الأحاديث الصحيحة، ولدينا في هذه النقطة مرجع مهم: فإن نبي المستقبل كان ولا شك يلقى في غمار هذا الشباب كثيرين من أصحابه الذين أصبحوا فيما بعد -مثل عمر- أبطالاً وشهداء في سبيل دعوته. وفي هذا المرجع التاريخي شهادة ضمنية من ألمع الأسماء في التاريخ الإسلامي، مثل خالد بن الوليد وعثمان بن عفان وغيرهما. أولئك الذين أصدروا على نبي المستقبل حكماً موجزاً، ولكن كم هو بليغ حين أسموه (الأمين).

لقد كان في أعينهم في ذلك العصر الصادق الأمين، وهذه الشهادة التاريخية تعطينا تفصيلاً ثميناً للصورة النفسية التي نحاول رسمها، ومع ذلك فإن حياته العادية البسيطة تستمر دون شيء خاص في قطار أيامه، حتى سن الخامسة والعشرين. فلم يزل (محمد) عزباً، لأنه لم يستطع الزواج، إذ لكي يطلب يد إحدى شريفات مكة ربما وجب عليه أن يدفع صداقاً كبيراً لا تسمح له به ثروته المتواضعة.



ومع ذلك ففي سن الخامسة والعشرين، جاءه غلام يسمى (ميسرة) ليفاتحه في أمر الزواج، ودار الحديث حول أرملة غنية شريفة من نساء مكة، تسمى (خديجة). ولقد رفض النبي مقدراً حالته المتواضعة بالنسبة لوضع الزوجة المقترحة، ولكن الغلام الذكي عرف كيف يبدد وساوسه، وتدخلت خديجة بنفسها لتأييده.



ونحن ندين لهذا التدخل ذاته بتفصيل قيم بالنسبة لتاريخ (الظاهرة القرآنية)، فقد كانت توجد في مكة إبان تلك الحقبة حالة نفسية خاصة، كما يوجد دائماً في كل مكان قبيل الأحداث الهامة كالحرب مثلاً. كان أهل مكة ينتظرون النبي الموعود في سلالة إسماعيل، وكانت خديجة تغذي سر طموحها إلى أن تتزوج النبي المنتظر، وتراه في (محمد)، الذي صارحته تماماً بمشاعرها نحوه، ولكن (محمداً) لم يكن أقل صراحة حين دافع عن نفسه أن يكون ذلك النبي المنتظر.

في هذه الظروف النفسية تم الزواج، وقد ترك لنا ضمناً- من حيث المبدأ- شهادة هامة عن الذات المحمدية التي تجلى لنا في ضوء هذه المناقشة الأولى عن مجيء النبي الموعود.

ونحن نجد فيه شهادة أخرى ليست بأقل أهمية، فقد ترك لنا وثيقة قيمة في سيرة النبي، وردت في الخطبة التي قالها أبو طالب عم النبي في خطبة ابن أخيه حسب عادة قريش، قال:

أما بعد، فإن محمداً ممن لا يوازَن به فتى من قريش إلا رجح به، شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً، وإن كان في المال قُلاً، فإنما المال ظلٌ زائلٌ وعاريةٌ مسترجَعةٌ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك[٣].

هذه السطور تصلنا جيداً بصورة الأمين، وتتفق من كل وجه مع الصورة التاريخية لبطل أعظم ملحمة في التاريخ الديني.

---

٣. كذا في هامش الكامل لابن الأثير، ج٢ ص٢٥، وقد وردت بصيغة أخرى في السيرة الحلبية ج١ ص١٣٩٠ [المترجم]

الصادعون بالحق

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾

من إنتاج علمائنا الأسرى



المرأة

في حياة النبي محمد ﷺ



الأستاذ صبحي صالح

فك الله أسره*

إن الله عز وجل لما أنزل القرآن هيأ للقرآن شخص متلقيه، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ولذلك اختار الله عز وجل النبي محمد ﷺ ليكون رسول الله إلى الناس إلى قيام الساعة وأهّله وربّاه ليتلقى القرآن.



* المقال منتقى من محاضرة للأستاذ صبحي صالح، ضمن سلسلة: بنات النبي، محاضرة ١، بتحرير واختصار يسير.

فأنزل القرآن في الواقع قبل أن ينزله وحياً، لأن الله عز وجل أراد أن يكون النبي ﷺ هو النموذج الحي الذي يراه الناس واقعاً عملياً يجسد رسالة الإسلام نصاً وتشريعاً، وحقيقةً وواقعاً، ولذلك قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وحيث إن ذلك كان أمراً خافياً عن الناس، لكنه مقدّر من رب الناس قبل أن يخلق الناس، أي أنه اختار محمد ﷺ رسولاً قبل أن يخلق محمداً ﷺ.



ولذلك كان محمد ﷺ في كل شأن من شؤونه ترجمةً لوحي رسالة السماء بالإسلام قبل أن يُبعث وبعد أن بُعث، وهذه حكمة الله تعالى في كل رسله: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، أي أن الله تعالى كان يهيئ الرسول للرسالة قبل أن يرسَل فتبقى حياة الأنبياء كلها نموذجاً عملياً للتطبيق المطلوب من الرسالة التي بها أُرسل، ولذلك كانت حياة النبي ﷺ غريبة عن كل أقرانه وأترابه من زمنه في بيئته.. وُلد يتيم الأب، وبلغ الحلم يتيم الأب والأم، ورُزق الأولاد وماتوا قبله، فكان متميزاً فريداً في حياته كلها.

وهذا التميز سبقه تميز آخر قبل أن يولَد فهو كما وصف نفسه: أنا ابن الذبيحين، أي ما كان ليولد لو وفّى جده بنذره في قتل أبيه، وما وُجد جده لو وفّى إبراهيم الخليل برؤياه ووحيه في قتل إسماعيل، وهكذا هو ابن الذبيحين، أي في أصل جده الأعظم جد العرب إسماعيل عليه السلام، لولا حكمة الله ما وُلد إسماعيل، ولولا حكمة الله ما وُلد عبدالله بن عبدالمطلب أبو النبي محمد ﷺ.

إذاً هو مصطفى من كل شيء، نقي النسب والوجود، متميز في كل أمر، متميز في أصل سلالته من إسماعيل النبي ابن النبي، ماضياً في سلالة نقية طاهرة زكية تنتهي بفداء عبدالله أبي النبي محمد ﷺ مثلما فدى إسماعيل جد عبد الله، تميز في كل أمر.



وضع المرأة قبل نبي الرحمة ﷺ

ثم كان هناك تميز آخر يجب أن يُدرس خاصة في هذا الزمن الذي اختلطت فيه المفاهيم والعواطف، وهو الجانب الاجتماعي في حياة النبي ﷺ قبل أن يُبعث وبعد أن بُعث، كيف كانت العلاقات الاجتماعية في حياة النبي ﷺ قبل أن يُبعث وبعد أن بُعث؟ وما طرأ عليها من تغيُّر بعد البعثة إن كان قد طرأ على حياته ثمة تغير، هل كان في حياته تغيُّر قبل البعثة؟ ثم بعد البعثة.. هل تغيرت علاقاته بأهل بأرحامه.. بأولاده.. بعلاقاته كلها؟ كيف كان سلوك النبي ﷺ في مجتمعه وفي كل دوائره، بآبائه و بزوجاته وبأصحابه، وبأرحامه كيف كانت؟ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

والباحث في الجانب الاجتماعي في حياة النبي ﷺ يلحظ أمراً خطيراً، وهو أن الله عز وجل كأنه قد هيأه في حياته ليرد به على كل من سيأتي من أمته إلى قيام الساعة، هذا الجانب المخصوص اسمه: المرأة في حياة النبي محمد ﷺ.. كيف كانت المرأة في حياة النبي ﷺ؟ موقعها، مكانتها؟

كان مجتمع الجاهلية -هكذا يسمى- الذي جاء إليه النبي محمد ﷺ مجتمعاً يكره البنات شر كره، كان يستكثر عليهم حق الحياة، حتى أنه رُوي في تاريخ العرب أن المرأة في الجاهلية إذا جاء أوان وضعها، أي إذا حل موعد الولادة، أخذوها وجعلوا لها حفرة، فإن كان المولود بنتاً فتؤخذ من الرحم إلى الحفرة مباشرة بلا رحمة ولا عاطفة، بسبب سلوك اجتماعي سلس موروث لا غضاضة فيه على الإطلاق عندهم، وإن كان المولود ذكراً حملوه، واحتفلوا بمَقدَمِه، وقدّموا القرابين للآلهة، وذبحوا على أعتابها الذبائح.

هذا هو مجتمع الجاهلية الذي وُلد فيه محمد ﷺ، وهذا الذي استنكره القرآن: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨-٩]، الله يسأل: لماذا استكثرتم على البنات حق الحياة، أأنتم الخالقون أم الله؟!

ولذلك ذهب فلاسفة العصر ومحللو الأمور يبحثون عن الأسباب ويقولون: كان العرب يحرصون على قتل البنات خشية العار، لأنه كان في تاريخهم من وُجد في نسائه خيانة، فكان قتل المرأة مخافة العار، ولِما حدث أيام النعمان ابن المنذر، لما هجم على قبائل العرب فسبى النساء، وأخذهم سبايا حرب، وبات الذل والعار يصل قبائل العرب ما بقوا، فكانوا يقتلون البنات حتى إذا أغار العدو لا يجد من النساء من يتخذهنّ سبايا، فرفعوا عن أنفسهم الذل والعار بذلك!

ومنهم من كان يقتل أولاده خشية أن يأكلوا معه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، أي لا تقتلوا الأولاد خشية الفقر، فكان ثمة من يقتل فقراً، ومن يقتل عاراً، وكان من يقتل دفعاً لهجوم العدو والسبي، ومنهم من كان يفعل ذلك وراثة بغير علة ولا تفكير..

إذَن وُلد النبي ﷺ في مجتمع يحرم على النساء حق الحياة.

المرأة في حياة الرسول ﷺ



لقد أراد الله عز وجل أن يجعل للمرأة في حياة الإسلام رسولاً ورسالة وضعاً مختلفاً، فقضى أول ما قضى، أن الذي يتكفل بالنبي ﷺ جنيناً ووليداً أمه وليس أباه، فالذي استقبل النبي ﷺ مع اللحظة الأولى للحياة الأم وذلك بعد وفاة الأب، فنشأ النبي ﷺ يتيم الأب في حضن أمه.

ثم من أمه إلى مرضعته حليمة، فانتقل من امرأة إلى امرأة، ثم من امرأة إلى امرأة أخرى في طريق العودة لما انتهت الرضاعة فردته المرضعة إلى الأم، وماتت أمه وهو في السادسة من عمره، بما مفاده أنه قد انتهت رسالة النساء في هذه المرحلة من العمر، وآن له أن يتربى تربية الرجال وبأخلاق الرجال، أي كان للمرأة المقام الأول في حياة النبي ﷺ خلافاً لما كانت عليه عادة العرب، بأنه لا مكان للمرأة.

فلما كبر النبي ﷺ خطبته المرأة، ولم يخطب هو المرأة.. مسائل جديرة بالنظر: لماذا استقبلته الأم دون الأب؟ ولماذا خطبته المرأة دون أن يخطبها هو، والعجيب أن في خِطبة النبي ﷺ ملفتاً عجيباً، فإن خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها الزوجة الأولى المتفردة في حياة النبي ﷺ هي التي خطبته، في حين يروي لنا التاريخ أن رقية بنت نوفل عمة خديجة أخت أبيها، كانت قد سبق لها أن خطبت عبد الله والد سيدنا محمد ﷺ.

فإن الثابت في التاريخ أن جد النبي ﷺ عبدالمطلب لما راح يحفر بئر زمزم لم يكن عنده من الأولاد يوم ذاك سوى الحارث فقط، فلما هاجت عليه العرب لأنه يحفر بين إساف ونائلة، أصنام الجاهلية، ولم يكن عنده من الولد إذ ذاك إلا واحد، شعر بضعفه، ليس عنده من الذكور إلا واحد، فدعا الله على باب الكعبة وهو يحفر زمزم: إن رزقني الله تعالى عشرة من الأولاد لأقدّم للآلهة واحداً منهم! وقد وقع الخيار على عبدالله والد النبي ﷺ!



أمور عجيبة لكنها تحتاج إلى تفكير، نحن لا نقرأ قصصاً، إننا نقرأ سيرة المصطفى ﷺ، نقرأ رسالة الإسلام في تطبيقها العملي في حياة النبي ﷺ، تأملوا في حياة النبي حتى تعيشوا في سيرته.. لما نجا عبد الله أبو النبي ﷺ من الذبح والنذر بمائة ناقة، جاءت رقية بنت نوفل فرأت في وجهه شأناً، وانفتح قلبها له، فذهبت تخطبه إلا أنه أبى، وتزوج آمنة بنت وهب، فعادت مرة أخرى خديجة بنت خويلد تخطب محمداً، كما فعلت عمتها مع أبيه من قبل.

أما هو ﷺ فجاءت إليه المرأة تخطبه، فوافق وكان العرض من المرأة والقبول من النبي ﷺ، فلما وافق تزوجها وكان إذ ذاك ابن الخامسة والعشرين وهي في الأربعين، وقد تزوجت قبله برجلين هلكا، فكان هو الزوج الثالث لها، وهي الزوجة الأولى في حياته.



انظر إلى المرأة في حياة النبي من كل الزوايا، لما تزوج لم يكن زواجه كما يفعل الناس، فقد كانت أرملة لرجلين من قبله، وكانت تكبره بخمسة عشرة سنة كاملة، وكان هو في ريعان شبابه، ولم يسبق له الزواج من قبل، فلما تزوجها انتقل إلى دارها وكان إذ ذاك يستفتح السادسة والعشرين من عمره في زمن وصفه القرآن: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ [النحل: ٥٨-٥٩]

كان إذا قيل للرجل: أبشر قد وضعت المرأة بنتاً.. يتوارى من القوم خشية الذل والعار! أما النبي محمد ﷺ لما تزوج المرأة على هذه الملامح السابقة من حياته، وقبل أن يتم زواجه العام الأول، أذنت خديجة بحمل، وتهلل النبي ﷺ، فقد آن له أن يكون أباً، وآن له أن يرى من فلذة كبده حياً، ولما انتهت فترة الحمل استُدعيت القابلة لاستقبال المولود، والنبي ﷺ يتعبد عند الكعبة يسأل الله السلامة للأم والمولود.



فلما عاد قالوا أبشر يا محمد، فقد جاء المولود وسمع الصوت الذي تعرفونه، فتهلل مستبشراً، ودخل على امرأته بعدما وضعت له المولود الأول، وهو يوشك أن يحمل المولود، قال: ما رُزقت؟ قالوا: أنثى، في مجتمع ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ولم يكن إذ ذاك نبياً، كان خاضعاً للمجتمع وقيمه، وكان هذا مسلك وعُرف أهله وقبيلته وكل قومه، وجاء المولود على هذا الحال، فهل استقبل النبي محمد ﷺ الأنثى استقبال قومه؟ أم تغير الأمر؟

الثابت في كل كتب التاريخ والسيرة أن محمداً ﷺ تهلل بالمولودة، وسعد بها، وحملها على صدره، وهنأ أمها على سلامة الوضع، واستبشر كلاهما، ثم قال: ماذا تسمين؟ قالت: اختر أنت، قال هي زينب، قالت: نعم الرأي ما رأيتِ.



إلا مَن أبَى



الشيخ أحمد الأسير
فك الله أسره*

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وأتباعه وأنصاره إلى يوم الدين ثم أما بعد:

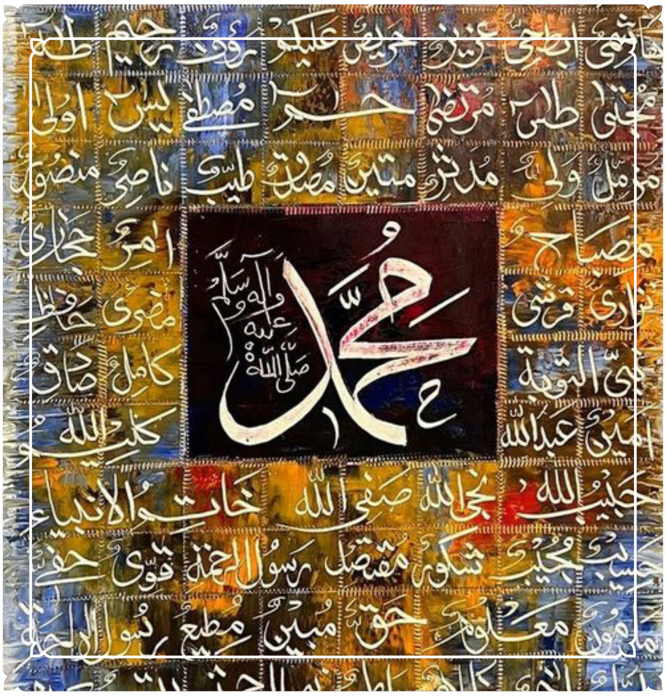
يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨] ويقول أيضا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ويقول أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

---

* من محاضرة الشيخ أحمد الأسير، فك الله أسره: السيرة النبوية، القسم الأول، جزء ٧، بتحرير يسير، منشورة بموقع (يوتيوب)، عام ٢٠١٠.

المنافق واليهودي

اختصم رجل من المنافقين من أهل المدينة في زمن النبي ﷺ مع أحد اليهود، وأنتم تعرفون أن اليهود كان يسكنون على أطراف يثرب مجاورين لأهل المدينة، وكانوا أحياء: بنو قينقاع، بنو النضير، بنو قريظة... إلى آخره، فاختصم هذا المنافق الذي هو من الداخل غير قابل للإسلام لكنه في الظاهر مسلم يصلي مع المسلمين ولكن له مصالح خاصة في المدينة، لأن المدينة صارت دار الإسلام وتحت حكم الإسلام، فاختصم هذا المنافق مع اليهودي فقالا: من يقضي بيننا؟

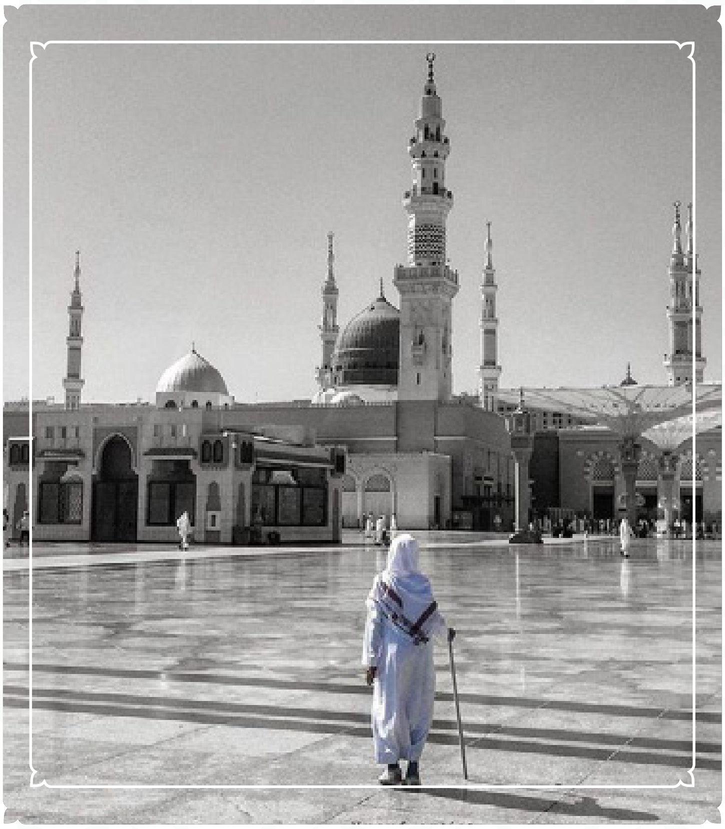


فاقترح اليهودي أن يقضي بينهما رسول الله ﷺ، أما المنافق فرفض، وأنتم تعرفون وقت الخصومات يعرف الشخص إن كان الحق معه أم لا، لكن في بعض الأحوال الكِبْر يمنع الإنسان من الاعتراف بالحق، وهذا المنافق كان يعرف أن الحق عليه، فقال في نفسه: لو ذهبنا إلى النبي فليس عنده ميل وإن كان الخصم يهودياً وسيحكم بالعدل، فرفض المنافق أن يحتكم إلى رسول الله ﷺ، وقال لليهودي: بل نحتكم لكعب الأحبار، الحبر الأكبر عند اليهود، وكما ذكر القرآن عن اليهود: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

لكن أصر اليهودي أن يحتكم إلى رسول الله ﷺ، فذهبا بالفعل إلى رسول الله، فقضى ﷺ بالحق لليهودي، فلم يقبل المنافق ذلك وقال لليهودي: نذهب إلى كعب الأحبار. فرفض اليهودي وقال له: كما حكم نبيك.

وفي بعض الروايات -وإن كانت ضعيفة ولكن ربما صح معناها- أنهما اتفقا أن يذهبا إلى أبي بكر، فقضى الصديق رضي الله عنه كما قضى رسول الله ﷺ، فظل المنافق في حيرة وقال لليهودي: إن عمر هو مَن سيفصل في المسألة، فرضي اليهودي، ثم ذهبا إلى عمر في بيته، وعرضا عليه أمرهما، فقال لهما: أما ذهبتما إلى رسول الله؟ فقال له اليهودي: ذهبنا إلى محمد، قال: وقضى رسول الله بها؟ قال: نعم، قال: وبمَ قضى؟ قال اليهودي: قضى لي، فقال عمر: على رِسلك، فذهب الفاروق وأحضر سيفه!

بعض الروايات تقول: فقتل عمر المنافق وقال: هذا قضاء من لم يرضَ بقضاء رسول الله!



لكن الإنسان إذا اختلف مع أخيه أو صاحبه أو من يعمل معه أو اختلف مع صاحب العمل مثلاً؛ فلا يستدل بهذا الحديث ثم يقتل صاحبه! لأن هذا عمر رضي الله عنه، في دولة إسلامية وحكم إسلامي، والرواية ليست صحيحة!

يزعمون أنهم آمنوا

فنزل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا * وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٠-٦٤]



وهذا ما أريد الوصول إليه، أن الله يرسل رسوله من أجل أن يُطاع بإذن الله، لأن هناك فهماً مغلوطاً عن النبوة والرسالة.

يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ﴾ [النساء: ٦٤]، من زمن نوح إلى محمد ﷺ ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ﴾، وليس من أجل أن يُتبرك به وفقط، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾، بمعنى آخر: الرسول أيها الأحبّة هو النموذج الأصلح والأفضل والأسمى للبشر، وكأن الله يقول لنا: بالرسول، هذا النموذج البشري الذي أحبه، اقتدوا به، فالرسول هو إمام الحياة.

وانظروا إلى حالنا قبل قليل في الصلاة، يكبّر الإمام فنكبر خلفه لا نتقدم عنه ولا نتأخر.. لماذا؟ لأن الإمام إنما جُعل ليؤتم به، وعنما ندخل في الصلاة لا نسلّم قبلَه، أيّ رسول يأتي إلى الأرض هو إمام الحياة.. كل الحياة.

فهذه النبوة وهذه الرسالة رحمة للبشر، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، لماذا؟

لأن الذي خلقك هو أعلم بما يصلح حياتك ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، فلذلك يرسل الله عز وجل الرسل تترى، وكذلك لتكون حجة على الناس: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]



يأتي الرسول من أجل أن يفهّم الإنسان ويَشرح له كيف يعيش أفضل حياة، ويحقق أفضل مصلحة لنفسه، لذلك يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]

نستجيب لأيّ شيء يدعونا إليه النبي ﷺ؟

نعم! من أدقّ سُنة، كالسواك ونحوه إلى أعظم فريضة، فأي شيء يدعونا إليه الرسول فهو يصلحنا، يدعونا إليه رسول الله ليحيينا: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

يدخلون الجنة إلا من أبَى

لذلك قال النبي ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبَى». الكل سيدخل الجنة إلا مَن يرفض ويأبَى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟!

قال: «مَن أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبَى».

هو لا يريد أن يدخل الجنة!

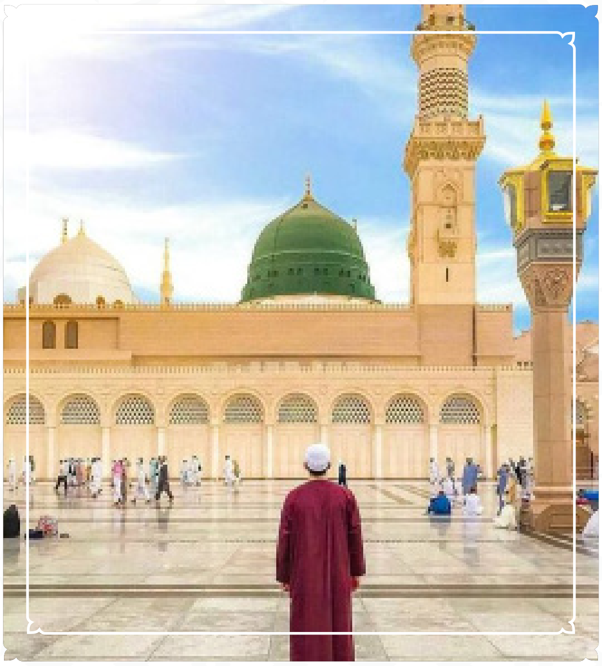
وقفت مع هذا الحديث فوجدت أن هناك مَن يريد دخول الجنة ويريد أيضاً أن يعصي! والحديث يقول: ومن عصاني فقد أبى، هو ما يريد دخول الجنة، فكيف يمكن التوفيق؟ تحل هذه القضية ويزول هذا الإشكال بقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]

أي من تمام فضل الله على الناس، ومن تمام عدل الله سبحانه وتعالى على الناس أنه اختار لهم ما يختارونه وما يريدونه لأنفسهم في الدنيا، أي أن الرسول عندما يعرض نفسه على الناس ويقول لهم: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، كونوا عباداً لله عز وجل على طريقي تفلحوا في الدنيا والآخرة؛ فالذي يدعوكم إليه يؤمّن لكم كل فوز وكل فلاح وكل صلاح لكم، وإذا عصيتموني فإن الطريق الذي تسلكونه يؤمّن لكم كل خسارة وكل شقاء في الدنيا والآخرة.

فبعد أن يقيم الرسول الحجُة على الناس: أن الله حق والرسول حق ورسالته حق، يصل الإنسان المعاند الذي يريد المعصية عملياً إلى طريق الشقاء، وكأنه يقول للرسول: أنت تقول لي إن الصلاة والحجاب

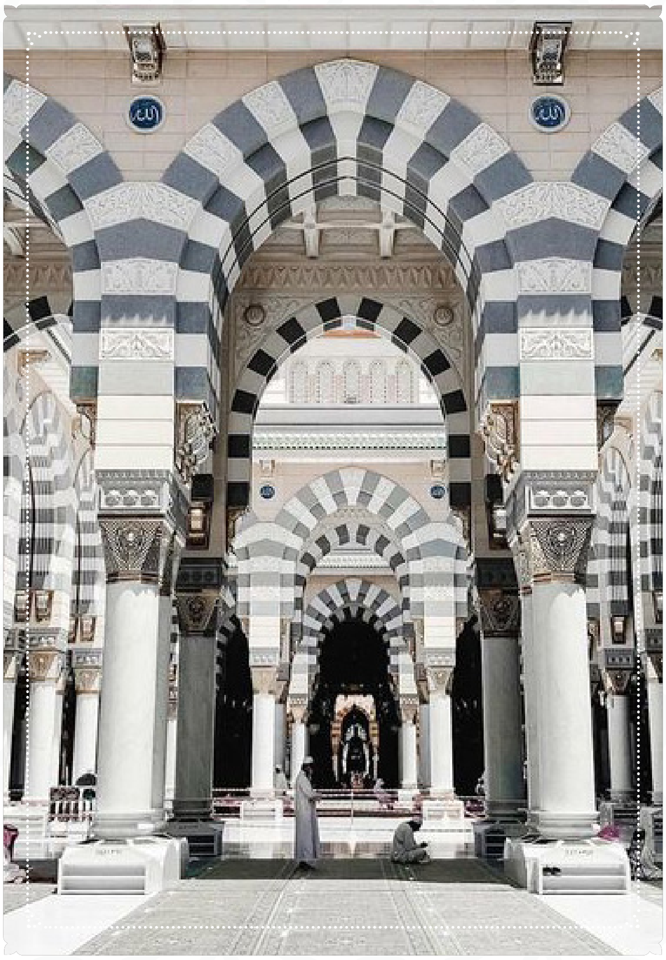
والزكاة والطاعة تؤمن لي أفضل حياة، وأقمت عليّ الحجة في ذلك، وتقول لي إن ترك الصلاة والحجاب والمعاصي إلى آخره تؤمن لي أفسد حياة، وأقمت الحجة عليّ في ذلك، ومع هذا وطالما أن لي الاختيار فأنا حر، أنا أريد أن أضر نفسي!

أي أن الذي لا يريد أن يصلي عملياً بعد أن أقام عليه الحجة يريد أن يقول: أنا أريد أضر نفسي، أنا حر، والذي يشرب الخمر أم الخبائث من بعد أن تقام عليه الحجة يقول: أنا أريد أن أضر نفسي، والذي يريد أن يرتكب فاحشة الزنا والعياذ بالله، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، الذي يفعل ذلك يقول: أنا أريد أن أضر نفسي، والتي لا تريد أن تلبس الحجاب تضر نفسها، والذي يقطع رحمه والكذاب، والذي يغش وقليل الأخلاق، أي معصية وأي طريق خطأ بخلاف طريق محمد ﷺ هو طريق الهاوية للإنسان، وهو الذي يتضرر في الدنيا قبل الآخرة، وطريق الطاعة والاستجابة لرسول الله ﷺ، هو طريق الصلاح وطريق المنفعة في الدنيا والآخرة.



فبعد أن تقام الحجة على الإنسان، ثم يصر على المضي في طريق الهلاك، هل يكون بذلك قد ظلم نفسه أم لا؟ فالله عز وجل رضي لمن أراد لنفسه الذل والهوان ولمن أراد لنفسه الخسارة ولمن أراد لنفسه الهلاك، أراد له ذلك في الدنيا والآخرة، طالما أنك تريد طريق الهلاك في الدنيا فاختاره الله لك

في الدنيا والآخرة: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبَى». قيل: ومن يأبَى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى». ومن عصاني عملياً ماذا يفعل؟ لا يريد الجنة لأنه يريد أن يضر نفسه، وإذا كنت تريد ضرر نفسك فقد رضي الله لك أن تضرها في الآخرة.



هذا هو مفهوم الرسالة أيها الأحبة في الله، فمحمد هو إمام الحياة، ومحمد الرسول بصير.. بخلاف البشر.. النبي الذي يُبعث يرى ما لا نرى، يرى الملائكة، يرى نوعاً من أنواع العذاب في القبر، يرى الجنة، ينزل عليه الوحي، يلتقي بالأنبياء.. بصير وكلنا أمام النبي عميان، لا نعرف ما سيكون بعد الموت إلا ما أخبرنا به ﷺ، عميان نسير إلى الموت لكننا لا نرى أمامنا، وما الذي ينتظرنا بعد الموت؟ لا نعرف، وما الذي يصير معنا بعد الموت؟ الله أعلم!

طريق معرفة كل ذلك هو النبي ﷺ، ودون النبي ﷺ لا نعرف شيئاً.

يا أمة المليار لا تكفي المقاطعة!



الشيخ سليمان الدويش

فك الله أسره*

الحمد لله الذي جعل عداوة الكافرين من صلب الدين، وجعل موالاتهم من الخلل المبين، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحيماً بالمؤمنين عزيزاً على الكافرين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد قال حسان رضي الله عنه:

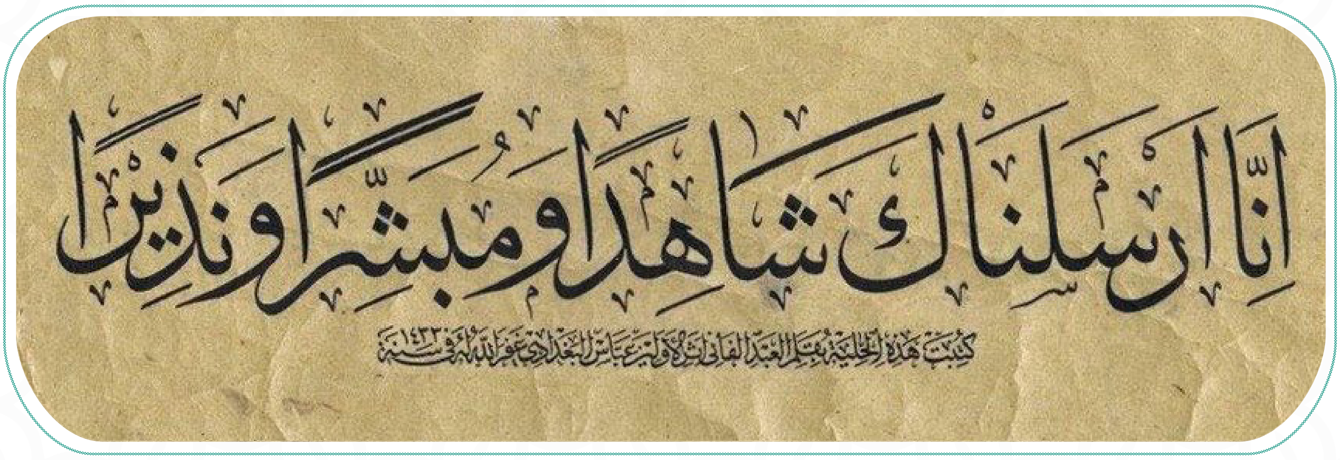
هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه .. وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولستَ له بكفءٍ .. فشرّكما لخيركما الفداء
هجوتَ مباركاً برّاً حنيفًا .. رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالدتي وعِرضي .. لعِرض محمد منكم وقاء



* مقال: يا أمة المليار لا تكفي المقاطعة، للشيخ سليمان الدويش، فك الله أسره، كُتب في ١٤٢٦/١٢/٢٣، موقع (طريق الإسلام) الإلكتروني.

أيها الفضلاء.. لن أستحثّكم على المقاطعة ولا على غيرها مما يتكاثر تداوله عبر الرسائل اليوم إبان الحملة القذرة التي تبنّتها بعض وسائل الإعلام الكافرة في بلاد الغرب.. ولن أطالب الحكومات ولا غيرها ممن تحملوا أمانة المسلمين لأن ينهضوا للذبِّ عن عرض رسول الله ﷺ. لكني سأقف اليوم موبخاً لنفسي أولاً، ولمن يقرأ كلامي من المسلمين ثانياً، فأقول:

نحن أمّة جعلنا الله من أهل هذا الدين، وشرّفنا بإنزال كلامه المبين، وببعثة سيد المرسلين، وجعلنا خير أمة أُخرجت للناس، وأكرمنا بأن جعلنا وسطاً وشهوداً، وتفضّل سبحانه بأن جعل ديننا خير الأديان، ونبينا خاتم الأنبياء، وأخبرنا جل في علاه أنه لن يقبل من أحد ديناً سوى الإسلام بعد ما جاء محمد ﷺ.



مع هذه الكرامات كلها وتلك المزايا وغيرها مما لم أذكره -وهو كثير-، نجدنا نحن المسلمين أقل اهتماماً بديننا وغيرةً عليه وحماساً له من إخوان القردة والخنازير، الذين لعنهم الله في كتابه وعلى ألسن أنبيائه ورسله، والذين لو تحدث أحد في شرق الأرض أو غربها عن عقائدهم الفاسدة ومقدساتهم الباطلة وكتبهم المحرّفة لأجلبوا عليه بخيلهم ورَجْلِهِم، واعتبروه عدوّاً للساميّة، وأثاروا عليه الأرض بغبارها وأكدارها حتى يُضطروه للتراجع عن قوله والانحناء لهم صاغراً، لأنه عدو للسامية.



لقد تدخّلوا في تغيير سياسات دول ومصير حكومات تحت تلك الراية (معاداة السامية)، ومثلهم الرافضة الأرجاس والهندوس وغيرهم من ملل الكفر ونحله الباطلة. أما نحن فلا زلنا نتناقش في مسألة المقاطعة ومدى تأثيرها، ومن سيتضرر بها؟ هل هو المصدِّر أم التاجر في بلادنا؟! ولاحول ولاقوة إلا بالله العظيم.

لقد اعتُدِي على أشرف كلام وأصدق حديث، وأفخر نخر نفتخر به، وهو كلام رب العالمين وكتابه، فما ازدادت مبيعات الكفار عندنا إلا رواجاً، وما تأثر اقتصادهم إلا إيجاباً. وهاهم يعتدون على أشرف رجل في تاريخنا، والذي حبّه من ديننا ويجب أن يتقدم حبَ النفس والنفيس والمال والعيال والولد والبلد وكل حطام الدنيا وحظ النفس، ونحن ننتظر! وكأنه ليس فينا غيرة اليهود على ساميتهم، ولا الهندوس على وثنيتهم.

أبغوني أشرف من كتاب الله وأصدق فندافع عنه إذا أُهين؟!

دلّوني على مخلوق خير من محمد ﷺ فننتصر لِعرضه إذا أوذي؟!

متى سنغار وقد بال الكفار على كرامتنا؟

متى سنثأر وقد تغوّطوا فوق عزتنا؟!

أليس فينا حس إيماني ونور رباني؟ مَن سينتصر ونحن من بُعث النبي ﷺ فيه وأُنزل الكتاب عليه وزف الإسلام إليه؟ أننتظر ملائكة من السماء لتنصر دين الله؟ إذاً فما قيمتنا في الأرض ونحن ننتسب لهذا الدين؟

يا أمة المليار.. أنتم -وأنا واحد منكم- صفر شمالي لا يؤثر في الأعداد، تغلّب على نخوتنا بنخوته لدينه وغَيْرته على عقيدته مَن لا يُقارن بنا عدداً ولا عُدداً، بل وفاقنا بالدهاء فجعل العالم كله تبعاً له ويسير بهواه ورغبته. نحن لا زلنا ننتظر صلاحاً والمعتصم، ونبحث عن هارون الرشيد، وكأن مليار مسلم ليس فيهم مَن يعرف الله مثلهم ولا مَن يغار على دينه كغيرتهم رحمهم الله!



لن تُنصر هذه الأمة طالما أنها لم تنصر دين الله تعالى. فهل لنا من عودة صادقة لهذا الدين وتصحيح المسار؟ أليس من رجعة وتوبة وتسليم للشرع؟ إن هذه الأزمات المتكررة والصفعات الموجعة أفادتني قناعة في أمور:

١ أن الكافر عدو لا يجوز الوثوق به

وأن عداوته أصلية لا تنفكّ، كما أخبر الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وإلا فمن

كان يظن أن دولة الدنمارك أو النرويج أو غيرها من أحقر الدول، سيتناول ثوابتنا ورموزنا بالإهانة والتجريح؟ رغم أنها دول لم يردها من المسلمين عداوة أو استهداف إلا أنها عداوات الكفار المتغلغلة في سويداء قلوبهم عليهم لعائن الله تترى.



٢ أن الكافر لا تجوز مهادنته ومداهنته عقائدياً

وذلك بمثل تسميته بـ(الآخر)، ترقيقاً لمبدأ الولاء والبراء، وأن تلك الدعوات التي تثار بين الفينة والأخرى كـ(نحن والآخر)، دعوات سمجة باطلة ليس لها حظ في شريعة رب العالمين.

٣ أننا بحاجة ماسة وعاجلة إلى التصحيح

لأننا نعيش خللاً كبيراً في ارتباطنا بديننا وانتمائنا له، وأن غَيْرَتنا على ثوابته ومسلّماته ورموزه دون المستوى بكثير.

٤ أن الإعلام له تأثير المخدر في المريض المنهك

ذلك أنه أقنعنا أن السخرية برسولنا ﷺ بشخصه هي الخطر الداهم والشرّ القريب، هذا في حال حديثه عنه، وأعمانا عن الحديث عن السخرية بسنّته وهديه وشريعته ﷺ والتي لا يزال إلى اللحظة يمارسها الإعلام بلا وجل أو خجل.

٥ أنه يتفق في الهدف والنظرة كافر الشرق وكافر الغرب

فكلهم يسخر من كلام ربنا ومن رسولنا ﷺ، فذاك يرسمه بكاركاتور وهذا يشبهه بالشيطان، وذاك يتبول على المصحف، وهذا يعتبره أفيوناً للعقول.

٦ الإيمان العميق بحديث «ولكنكم غثاء كغثاء السيل»

وأن العدد ليس مقياس التأثير، بل الحكمة والحنكة والدهاء، فنحن مليار ونيّف، ومع هذا عجزنا عن فعل شيء.. في حين أن اليهود عدة ملايين متفرقين في غرب الأرض وشرقها يديرون عالمنا بأحابيلهم ولعبهم وخداعهم، فلعنة الله عليهم ومن أعانهم.

٧ انكشاف الازدواجية في المعايير عند الكفار

فما يريدونه يجعلونه في قالب الحرية، وما لا يريدونه يجعلونه في قالب مخالفة الديمقراطية، ويدرجونه تحت بند الإرهاب العريض، ويمنحونه طابع التهديد للأمن القومي.

٨ أن التدخل في السياسات أمر لا يحقُّ إلا لطائفة دون غيرها

فالغرب مثلاً أجبر تركيا على تغيير نظام حكمه ليتمشى مع رغبتهم، واضطره إلى الركوع لهم في كل شيء، في حين أنهم لو طالبتهم بأيسر الأشياء لاعتبروا ذلك تدخلاً في الحريات وغيرها. فلعنة الله عليهم من كفرة لا يرضون بأقل من أن ننسلخ عن ديننا.

٩ السطحية في التفكير عند بعض المسلمين



تيسير علواني

حين حاول التفريق بين تصرّف الصحيفة والموقف الرسمي المعلن للحكومة، وأن الحكومة ليس بمقدورها الضغط على تلك الصحيفة ومنعها، متناسين أو متجاهلين أن الغرب الكافر نفسه هو من حاكم الصحفي (تيسير علوني) بسبق صحفي أجراه، واتهمه بتأييد (القاعدة) وتدخل في الحرية الإعلامية.

ونحن يجب أن نكون أكثر عمقاً، وأن نعرف أن الغرب يضغط علينا إعلامياً وسياسياً ولا يحتمل أي مقال أو إشارات أو عبارات إعلامية نؤيد فيها استهداف مصالحه، ولو رأى منا ذلك لاستخدم كل وسائله المتاحة إعلامياً واقتصادياً وسياسياً وتكلوجياً لجمنا وتكميمنا. لماذا لم يسكت عن حرية أبي حمزة المصري مثلاً، وهو لا يحمل سلاحاً ولا يدير معركة، إنما يتكلم بلسان في جسد مشلول؟ لماذا لم يغضّ الطرف عن مصوّر قناة الجزيرة والمسجون في سجون جوانتنامو؟ إن محاولة التفريق بين المواقف السياسية وبين الحرية الصحفية خدعة كبرى لمحاولة النأي بالحكومات على ضعفها عن الدخول في هذه الأزمة.

١٠ الإيمان بحقيقة وجود الطوابير الخفية

على حد قول الله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧]، وهذه الطوابير هي مَن يحاول ثني المسلم عن الضغط على الكافر بأي وسيلة متاحة نصرة لدينه وعقيدته.

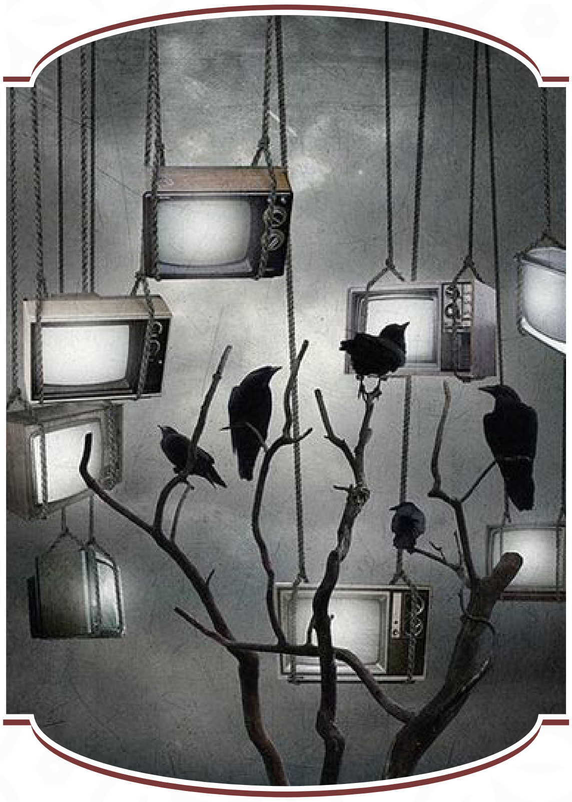
١١ أن الغَيْرَة على الدين منحة ربانية

يكرم بها من يشاء من عباده، وأنها ليس خاصة بقوم دون غيرهم، وأن الله تعالى قادر على سلبها من أقوام حين تخمد، ليكرّم بها غيرهم، على حد قوله جل شأنه: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

ولهذا فمن واجبنا لنحافظ على هذه الكرامة وأن نكون عالميين في دعوتنا ورسالتنا، وأن ننهض لقضايا أمتنا، وأن لا نلتفت للسمّاعين لعدونا بيننا، وأن نكون يداً واحدة على عدونا، وأن نترك خلافاتنا الجانبية جانباً، وإلا فالبديل جاهز موجود ومن خلقنا فقد خلق غيرنا، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

١٢ نجاح العدو في مخططاته لتمييع غَيْرَة المسلمين

حتى أشغلهم بقضايا تافهة، وأنساهم أساسياتهم وثوابتهم، وفتح عليهم مزيداً من الخلافات التي عصفت بهم، فلا يدرون أي باب يرد إليهم من خلاله البلاء؛ فتارة تنبعث رائحة حقوق المرأة، ومرة قضية الأقليّات، وحيناً الحريات.. وهلم جرّا، وصار هو يمارس دور الموجّه المتحكّم، ويختار ما يشاء من الأهداف لقصفه.



١٣ أن العدو يتأثر بتكاتفنا واتحادنا

ولهذا سعى جهده لإشغالنا عنه بقضايانا الخلافية المناطقية والمذهبية، ولو أننا فوّتنا عليه هذه الفرصة لارتعدت فرائصه، ولكننا وللأسف الشديد خدمناه في هذا أيّما خدمة.

١٤ أن الأمة بحاجة إلى توجيه وقيادة



تمسك بزمامها وتوجهها التوجيه الصحيح، مقدمة السياسات الشرعية على سياسة المصالح الذاتية، وتثبيت دعائم الحكم ولو على خراب الديار وانتشار الفساد والعار.

تلك هي بعض الفوائد التي استفدتها من هذه الأزمة وغيرها، وإن كنت أعلم سلفاً أن من الناس من سيقول: لقد أجدتَ جلد الذات وأكثرتَ اللوم وبالغت في التشاؤم.

والحقيقة أنني أعلم ذلك جيداً، وقد قدمت قبلُ أن خطابي هذا خطاب توبيخ وتقريع، وهو لا يشمل حتماً من ثار لدينه وثأر، ولا من بذل ماله ونفسه في كل ثغر، بل هو للقاعدين أمثالي ممن ابتُليت الأمة بهم عدداً دون فائدة فالله المستعان.

اللهم أصلح أحوالنا وردنا إليك رداً جميلاً يا كريم!

أيها الفضلاء..



إن تقليب المواجع وتأنيب الضمير ومنهج التبكيت والتوبيخ منهج يبعث على شحذ الهمم وإيقاظ النفس من سُبات الغفلة، وفيه إبراء للذمة، وإقامة للحجة، ولهذا فعلينا نحن المسلمين حين يقرع مسامعنا شيء من هذا أن ننتفض لله تعالى كما انتفض غيرنا، ممن أهمهم شأن أمتهم، فنقوم ولا نقعد، حتى يقضي الله لنا في أمرنا أمراً، ويعلم منا صدقاً.

إن منهج التقريع فيه قرع لأبواب القلوب لاستثارتها وإشعال لنار الغيرة لإنارتها.. إنه منهج رغم قسوة سياطه وغلظ لفظه إلا أنه ربما يكون أنجع بكثير من أسلوب الثناء المخدِّر الذي أصابنا بتخمة الكمالات، وكأننا أهل الله وخاصّته، فصرنا نظن أننا حَمَلة الدين وحُماته، ونحن قاعدون لم يستفِد منا الدين إلا أعداداً. منهج التوبيخ والمقارنات يجعلنا ننظر لحظّنا من ديننا وحظه منا، ونحن مَن يرى أنه على دين الحق وعقيدة الصدق في حين أن مواقف أهل الباطل والزيف والزيغ فاقت مواقفنا نصرةً لزيغهم وزيفهم وفسادهم، بما لاتصح معه المقارنة وللأسف الشديد. هذا ما بعثني على التوبيخ والتقريع، مؤمّلاً أن يكون له أثر فاعل، فجزى الله خيراً الكاتب والقارىء والناقل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



تفضيل رب العالمين لسيد المرسلين ﷺ



الشيخ بشر بن فهد البشر

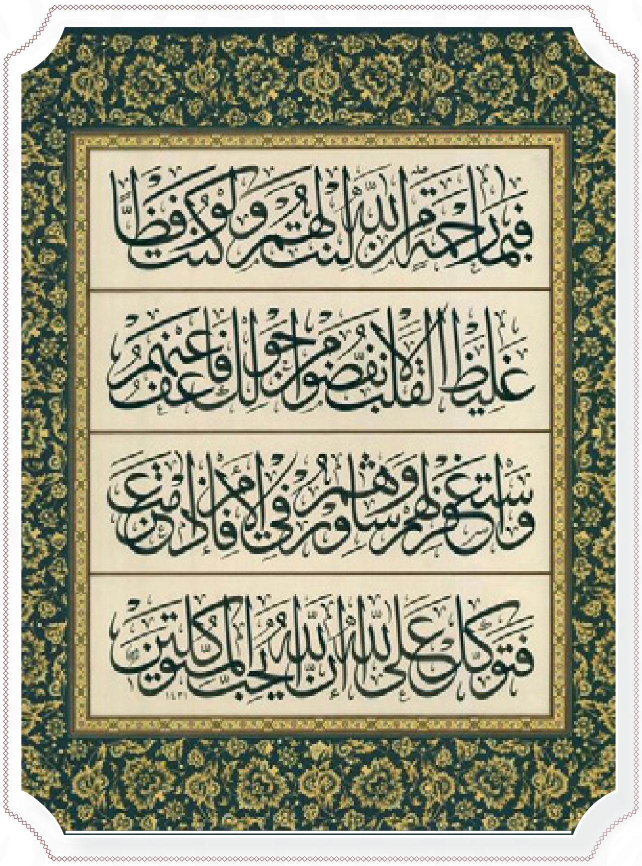
فكّ الله أسره*

أيها الإخوة في الله ما عرفت الأرض ومَن عليها وما عرف التاريخ حياة إنسان، ولا تاريخ مخلوق دُرس كما دُرس تاريخ محمد ﷺ، إن مَن أراد أن يحصي المؤلفات عن رسول الله ﷺ سيعجزه الإحصاء، لا يعلمها إلا الخالق جل وعلا، لقد أُلفت كتب كثيرة في جوانب متعددة من حياة رسول الله ﷺ، ولو أراد باحث أن يجمع ما أُلف في سيرته وفي مغازيه ﷺ لما أحاط بذلك.

---

* المقال مقتطف من محاضرة: محمد رسول الله، للشيخ بشر بن فهد البشر، فك الله أسره، منشورة على موقع: (طريق الإسلام) الإلكتروني.

أيها الأحباب لقد جمع الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ أكمل الصفات البشرية وأحسنها وأجملها خَلقية وخُلقية، فكان أحسن الناس في خَلقه، وكان أحسن الناس في خُلقه ﷺ.



أحسنهم خَلقاً ﷺ

يصفه أصحابه رضي الله تعالى عنهم، وهم أحب الناس له، وأخلص الناس له ﷺ، فيقول البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير».

ويقول أيضاً رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ مربوعاً بعيد ما بين المِنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه، رأيته في حُلة حمراء لم أرَ شيئاً قط أحسن منه[1].

وروى البخاري أيضاً: أن البراء رضي الله عنه قد سُئل: أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال: «لا، بل مثل القمر».

ويصفه أنس بن مالك خادمه الأمين رضي الله تعالى عنه فيقول: «كان ربعة من القوم، ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون ليس بأبيض، أمهق ولا آدم، ليس بجعد قطط، ولا سَبْط رَجِل».

١. روى هذه الأحاديث البخاري.

وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنه: «ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي ﷺ يَستسقي، فما ينزل حتى يَجيش كل ميزاب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه •• ثمال اليتامى عصمة للأرامل».

أما خُلقه ﷺ

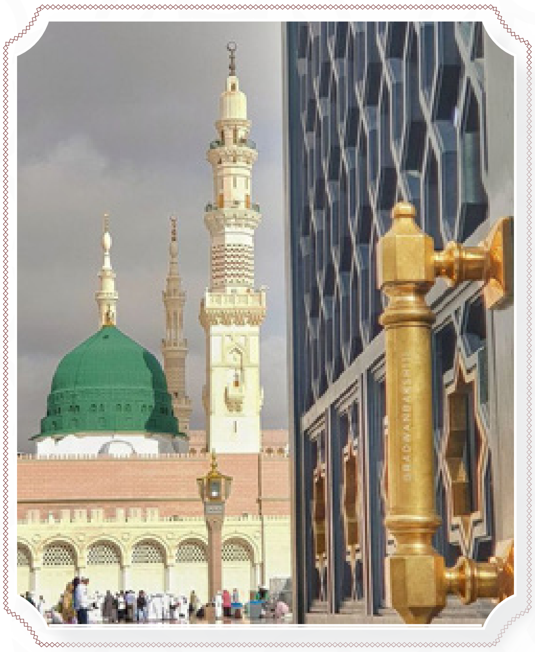
فقد وهبه الله تعالى مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم ومعالي الأمور، ويكفي في ذلك قول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].



وقد سُئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «أما تقرأ القرآن؟» قال السائل: بلى! قالت: «كان خُلقه القرآن».

يعني أنه قد طبق القرآن على نفسه، فامتثل أوامره، واجتنب نواهيه، صلوات الله وسلامه عليه، وما عرف التاريخ منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها رجلاً له من محاسن الأخلاق ومن معالي الأمور كمحمد ﷺ.

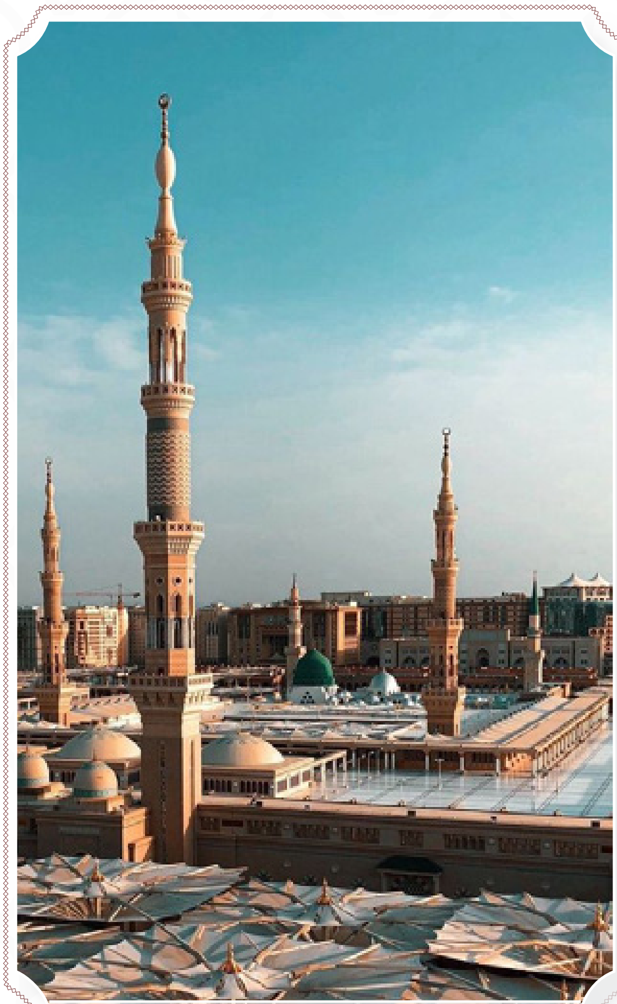
تفضيل رب العالمين لسيد المرسلين ﷺ



أيها الأحبّة! لقد أعطى الله نبيه ﷺ من الفضائل والخصائص ما ساد به البشر في الدنيا والآخرة، لقد شرح الله له صدره، ورفع له ذكره، وسد كل الطرق الموصلة إلى رضوان الله إلا طريق محمد ﷺ، فهو ﷺ سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، وأكرم الخلق على الله تعالى، وهو حامل لواء الحمد، آدم والنبيون من بعده كلهم تحت لوائه ﷺ.

وهو صاحب المقام المحمود الذي يظهر الله به فضله على العالمين، وهو الشفاعة العظمى، حينما يذهب الناس إلى آدم ليشفع إلى الله تعالى فيعتذر عنها، ثم يذهبون إلى نوح فيعتذر عنها، ثم يذهبون إلى إبراهيم فيعتذر عنها، ثم يذهبون إلى موسى فيعتذر عنها، ثم يذهبون إلى عيسى فيعتذر عنها، ثم يذهبون إلى محمد ﷺ فيقول: أنا لها، هذا هو المقام المحمود الذي قال الله فيه: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، فيذهب النبي ﷺ فيسجد لله تبارك وتعالى، ويفتح الله عليه من محامده أموراً لم يفتحها على أحد قبله، كما أخبر عليه الصلاة والسلام، فيقول الله له: ارفع رأسك، وسَلْ تُعطَ، واشفع تُشفَّع، فيأتي الله عز وجل لفصل القضاء قبولاً لشفاعة محمد ﷺ.

وأعطاه الله عز وجل الكوثر، وهو نهر عظيم آنيته كعدد نجوم السماء، وماؤه أبيض من اللبن، وهو ﷺ صاحب الحوض المورود، مَن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، وقد اتخذه الله عز وجل خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً.



أيها الأحباب، وكما فضل الله تعالى محمداً ﷺ في الآخرة على العالمين، فقد فضله في الدنيا، وخصه بخصائص ليست لغيره من الأنبياء:

منها: أن الأرض قد جُعلت له مسجداً وطهوراً.

ومنها: أن الغنائم قد أُحلت له، ولم تُحل لنبي من قبله.

ومنها: أنه قد نُصر بالرعب مسيرة شهر.

ومنها: أنه قد بُعث للناس عامة، وكان كل نبي يُبعث إلى قومه خاصة.

وقد فضل الله أيضاً أمة محمد ﷺ على الأمم، فهي آخر الأمم وجوداً، وهي يوم القيامة أول الأمم دخولاً الجنة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وهم أكثر أهل الجنة، والنبي ﷺ أكثر الناس تابعاً يوم القيامة.

فصلّ اللهم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلِم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين.

النبي ﷺ وصفة الطِيبة



الشيخ خلف العنزي

فك الله أسره*



الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

ثم أما بعد:

إن كان لنا من حديث نتحدث عنه، فإن بين عينيَّ الآن كلامٌ، خرج من فم النبي ﷺ، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ * إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، حيث قال صلوات الله وسلامه عليه:

---

* المقال منتقى من محاضرة الشيخ خلف العنزي، فك الله أسره، التي بعنوان: (النساء الطيبات)، موقع (الشبكة الإسلامية)، باختصار، وتحرير يسير.

«أيها الناس! إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون:٥١] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذَكَر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب! يا رب! يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِّي بالحرام، فأنَّى يستجاب له»؟!



والله الذي لا إله غيره! لو أردنا أن نعطي هذا الحديث حقه من التفسير والتوضيح والبيان؛ لاحتجنا إلى عدة أيام، ولما نستخرج كل مكنون، ولما يستبن لنا مكنوزه، حيث إن المتكلم به مَن أوتي جوامع الكلم -بأبي هو وأمي ونفسي له الفداء- محمد ﷺ، ولكن حسبنا في هذه العجالة العجلى أن نتحدث عن قوله: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً»؛ فهو إخبارٌ أن الله العظيم طيب.

فالحمد لله حيث تكلم أعلم العالمين برب العالمين، مخبراً الناس أجمعين أن لهم رباً خالقاً، مالكاً مدبراً، وأنه طيبٌ سبحانه وتعالى. ولقد ظهر طيبه، واستبان للعلماء والعارفين في ذاته، فهو طيبٌ في ذاته، وفي أسمائه، وصفاته، وأقواله، وأفعاله، والخير بين يديه، والشر ليس إليه.



وقد قال جل وعلا عن أسمائه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فإن لنا رباً طيباً، إذ أنه عليم، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، يعلم سبحانه وتعالى كل شيء، قال جل ثناؤه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦] ويقول تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧] فإنه عليمٌ جل وعلا، وصفته العِلم.

ولقد أمر يوماً بكتب بعض معلومه، فكُتِب في اللوح المحفوظ ما هو كائنٌ من مقادير الخلائق قبل أن يخلق الله السماوات والأرضين بخمسين ألف سنة، كُتِب ثَمَّ، ووالله إن مما كتب: أسماؤنا وآباؤنا وقبائلنا ومجلسنا هذا، وما يتكلم فيه متكلمنا، حتى كلمة (كلمة) التي قلتها الآن مرتين، قد كُتِبَت في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرضين بخمسين ألف سنة، ومما كُتِبَ أيضاً: أين نحن غداً، في باطن الأرض أم على ظهرها؟ وإلى أين سنصير، ألِى نارٍ تلظى ﴿لا يَصْلاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [الليل:١٥]؟! أو إلى جنة المأوى ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٥] هذا وإنه هو السميع البصير، والعظيم الجليل.

ولقد حدَّثنا المصطفى ﷺ عن السماء أنه ما فيها موضع شبر إلا وفيه ملك راكعٌ أو ساجد، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون!، بل حدَّث عن ملَك من حملة العرش ما بين شحمة أذُنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام من خفقان الطير! لا إله إلا الله! الطير يسافر من العاتق إلى شحمة الأذن سبعمائة سنة، فما ظنكم بضخامة وعظمة هذا الملك إذا ما سافر الطير من عاتقه إلى أعلاه، أو من أعلاه إلى أدناه؟! وليس له من عمل إلا عبادة الله وقوله لله: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

هو طيبٌ في سمعه وبصره، تقول عائشة رضي الله عنها وأرضاها: «سبحان الذي وسع سمعه الأصوات، والله ما كان في حجرتي إلا المجادِلة، ورسول الله ﷺ ...»، وحجرة عائشة ليست كحُجَرِنا هذه، وإنما إذا أراد المصطفى أن يصلي الليل وعائشة نائمة، جاء فسجد وهي قد مدت قدميها في قِبلته -وليس ثَمَّة أماكن أخرى للمنام- فإذا أراد السجود غَمَزَ رجلها، فتكُفَّها فيسجد محلها، فإذا رفع رأسه تمدها، ثم إذا سجد غَمَزَها فتكُفَّها، هكذا مساحة الغرفة. أما ارتفاعها فلقد كان الحسن البصري يقول: «عندما كنت صبياً كنت أمد يدي في حُجَر أزواج النبي، فأَجِدُ»، أي أنه كان يلمس السقف. فالارتفاع قريب في هذه الحجرة.



خولة بنت حكيم تجادل رسول الله ﷺ، وتشتكي إلى الله، وتحاور رسول الله في أمر زوجها أوس بن الصامت رضي الله

تعالى عنه وقد ظاهَرَ منها: «... يا رسول الله! إن أوساً قد أخذني لحماً ولفظني عظماً»، وهي تشتكي وتحاور، وهو يقول لها: «ما أراكِ إلا حُرِّمت عليه»، تقول عائشة: «وإنه لَيخفَى عليَّ بعضُ قولها»، وبينما هي في ذلك المكان وعندها نبيها، والمجادِلة في مجلسها، ينزل من السماء قرآنٌ يقول الله جل وعلا: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].



سبحان الله! عائشة أقرب إليهم من الباب، وربُّ الأرباب فوق سمائه، مستوٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه، يسمع المحاوَرة، ويسمع المجادِلة! نعم. هو السميع البصير، الذي يسمع سرنا وجهرنا، وهو الذي يرانا في تقلبنا، في ليلنا ونهارنا، في مجلسنا هذا، والله إن الله الآن يرانا، بل لقد صح الخبر عن سيد البشر ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أجسادكم...». أن تكون الأجسام طويلة أو قصيرة، جميلةً أو قبيحة، بيضاء أو حمراء، سوداء أو سمراء، «إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

انتهت معركة حامية الوطيس، جُنْدِلت فيها الرءوس، وبُقِرت البطون، وجُدِّعت الأطراف، وتناثرت الأشلاء، وأهريقت الدماء، وكثر في الأرض القتلى، وغربت الشمس أو كادت، وإذا بنصر الله نازل على النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، وإذا بالصحابة يجمعون الأسرى، ويجمعون السبي رجالاً ونساءً وصبياناً في مكانٍ واحد، تحيط بهم خيل الله المنتصرة، في يومٍ أعز الله فيه الإسلام، وأذل فيه الشرك والمشركين.

وبينما نبينا ينظر إلى أرض المعركة، وإلى السبي وإذ به يبصر هناك امرأةً ثكلى، رائحة جائية، مقبلةً مدبرة، تفتش عن شيء، وتبحث عن غرض، وإذا بها تنكب على الأرض وتأخذ قطعة قماش، تفتشها وتنظر في جنباتها، وإذا بوجه صبي يبزغ لها من بين طيات القماش، إنه طفلها وليدها الذي افتقدته منذ الصباح الباكر، أخذت الأم فرحةً وإن كانت في أرض المعركة التي فيها قُتِل الآباء والأزواج، وانتشرت الدماء، ولكنها وجدت الصبي لا يزال حياً، ضمته إلى صدرها، وألصقته على كبدها، ثم أخرجت ثديها وأخذ الصبي يرتضع من حليبها، ونبينا والصحابة ينظرون إليها، وقال المصطفى:

«أتظنون هذه المرأة تلقي وليدها في النار وهي تستطيع ألا تلقيه؟» قالوا: لا والله يا رسول الله! ما كانت لتلقيه في النار وهي تستطيع ألا تلقيه، فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لله أرحم بعباده من هذه بولدها».

النبي ﷺ وصفة الطيبة

ومن طيب الله جل وعلا أنه أرسل لنا نبياً طيباً هو محمد بن عبد الله ﷺ، هو طيبٌ -بأبي هو وأمي- في خِلقته وصورته، طيبٌ في أقواله وأفعاله، ودعوته وعلمه، ودعائه، وليله ونهاره وبلائه، وللمسلمين وللكافرين على حدٍ سواء، هو طيبٌ.



وانظروا معي إلى شيءٍ من طيب الحبيب ﷺ، فلقد خلقه الله خِلْقةً جميلة جليلة، من رآه من بُعْدٍ هابه، ومن رآه من قربٍ أحبه، كان

رَبعةً من الرجال، لا هو بالطويل الـمُمَغَّط، ولا بالقصير المكَلْثم، كان بعيد ما بين المنكِبين، كان ﷺ أبيض مُشْرَباً بحُمرة، وفيه شيءٌ من أُدْمَة العرب يسيرة، وجهه إلى الاستدارة أقرب، واسع العينين، كث اللحية، كان أنفه دقيقاً وفيه طول وبه شمم -ارتفاع أرنبة الأنف إلى الأعلى يسيراً- أسيل الخدَّين، يحف شاربه ويجزه وينهكه، فيبدو الإطار الأعلى من الشفة العليا، إذا تكلم أسْمَعَ، وإذا أطعم أشْبَعَ، وإذا مشى تكفأ، كان ﷺ طيباً في أخلاقه، وفي بدنه، وفي خَلْقه.



نام يوماً عند أم سُليم بنت ملحان على النِطْع وهو -الجلد إذا نُزِع شعره- في حر المدينة في القائلة، وأخذ جسده الطيب الطاهر ينزف عرقاً، وجاءته أم سُليم بقارورةٍ عندها وإذا بها تسلت العرق عن جسد النبي ﷺ وتضعه في قارورةٍ عندها، فانتبهَ من نومه وأفاق من رقدته، وقال: «ما هذا يا أم سُليم؟» قالت: عرقك يا رسول الله! نجعله في طِيبنا».

وهو أطيب الطِيب، فلقد كان طيباً حتى في عرقه ﷺ.

طيباً حتى يوم أن مات في حجرة عائشة بين الحاقنة منها والذاقنة، والصحابة في المسجد كأنهم الشياة في الليلة المطيرة، ويدخل الصديق المسجد، ومن المسجد إلى حجرة عائشة، ونبيه على الأرض قد سُجي بشملة، فيتقدم ثم يرفع الغطاء عن وجهه قليلاً، وينظر إلى وجه المصطفى وقد مات -بأبي هو وأمي ﷺ- ثم يتقدم الصديق ويقبله بين عينيه، ويقول: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما أطيبك حياً وميتاً».



فلقد كان طيباً في حياته ومماته.

- طيباً في يده: ما ضرب بيده جارية أو غلاماً أو امرأةً أو أحداً قط، إلا أن يكون في سبيل الله.

- طيباً ﷺ في كلامه: فلم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً، ولم يكن صخاباً في الأسواق ولا لعاناً.

- كان طيباً -بأبي هو وأمي- في بصره، فقد كان يغض بصره عملاً بقول ربه: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

- كان طيباً في يده، فما مست يدُه يد امرأة لا تحل له قط.

- كان طيباً ﷺ في بطنه: فلم يكن يأكل الحرام، لا رباً ولا غشاً، ولا سرقةً ولا غلولاً، بل حتى الصدقة وهي غُسالة أيدي الناس لم يكن يأكلها.

دخل يوماً وهو جائعٌ إلى بيته، فوجد على فراشه تمرةً ملقاة، أمسكها بيده، ثم خاطبها بلسانه وقال: «والله لولا أني أخشى أن تكوني من تمر الصدقة لأكلتكِ». ثم وضعها ومضى.

سار يوماً ومعه ابن عمر، وإذا بهما يسمعان مزمار الراعي -الناي- فوضع النبي ﷺ إصبعيه السبابتين في أذنيه، واتجه إلى اتجاهٍ مغاير لمصدر الصوت، وأخذ يمشي ويسأل ابن عمر: «أتسمع؟» ويقول ابن عمر: نعم. «أتسمع؟» نعم. «أتسمع؟» نعم. «أتسمع؟» لا. وينزع أصابعه.

وذلك لئلا يدخل الخنا الغناء مزمار الشيطان الملعون في أذن الحبيب الطيب ﷺ، وهو سماعٌ، ولقد فرَّق أهل العلم بين السماع والاستماع.

كان طيباً ليس لأهل عصره وزمانه، بل ولنا أيضاً، فلقد جاء الخبر وصح عن سيد البشر أنه بات ليلةً يبكي، سبحان الله! ما الذي يبكيه يا تُرى وقد بلغ الستين أو نحوها؟! بكى، ثم بكى، ثم بكى، وازداد بالبكاء، حتى أرسل الله جبريل: سَلْ محمداً ما الذي يبكيك؟ والله بهما أعلم منهما بأنفسهما، فقال جبريل: يا محمد إن الله أرسلني إليك لأسألك ما الذي يبكيك؟ قال: «يا جبريل! أمتي.. أمتي!». فيصعد جبريل لرب العالمين، إن محمداً يقول: أمتي أمتي. فيقول الله: «قل له إنا لن نسوءك في أمتك».

لذلكم فكلكم يا أمة محمد تدخلون الجنة، كما قال ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبَى». قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟! قال: مَن أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».

طيبٌ ﷺ.

الإسلام دين الطِيبة

إن الله طيب، وخصنا بنبي طيب، وجعل ديننا الإسلام طيباً ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].



كل الدين طيب بلا استثناء، وأقول متحدياً: أتحدى كائناً مَن كان أن يأتي بشيءٍ طيب وقد حرمه الله، أو يأتي بشيءٍ خبيث وقد أحله الله، والله لو بَحَثَ الباحث عمره كله، وأعطي مع عمره عمر نوح لما وجد، وقد قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ [المائدة: ٣].

اللهم إنا قد رضينا ما رضيت لنا.

فديننا طيب للإنسان مع نفسه، ومع إخوانه، طيبٌ للمرأة في حالها، وخِلْقَة الله لها، طيبٌ للرجل في نفسه، وميدانه، وهو طيبٌ للصبيان، وطيبٌ للرجال، للحاضرة وللبادية، للعرب وللعجم، للكبار والصغار، فهو دينٌ شاملٌ كامل لهم جميعاً بلا استثناء، دينٌ طيب، رضيه رب العالمين لهذه الأمة الطيبة.



هل نحن من الطيبين؟

وبقي السؤال:

«إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً»، فهل نحن من الطيبين فيقبلنا رب العالمين؟

هذا سؤالٌ عظيم!

إن كنا من الطيبين فغداً أو بعد غدٍ سيأتينا أمر الله، وتنزل الملائكة لنزع الروح، ويأتون للطيبين بوجوهٍ طيبة، فإذا أخرجوها ينادونها: أيتها الروح الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي إلى رحمة من ربك ورضوان، فتخرج الروح تسيل كما تسيل القطرة مِن فِي السِّقاء، فيأخذونها ويصعدون بها إلى السماء،

فيخرج منها كأطيب ريح مسكٍ وجدت على وجه الأرض، فيتساءل الملائكة: ما هذه الريح الطيبة؟! فيقولون: روح فلان بن فلان، بأحب أسمائكِ في الدنيا يا رعاكِ الله!

ثم إذا كان الأمر يوم القيامة ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣] ووصلوا إلى باب الجنة، وتجاوزوا القنطرة، وها هم أولاء أمام الباب وقد فتحه رب الأرباب ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

والجنة -كما قال إبراهيم الخليل- طيبة، وهي قيعان، وغراسها: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

فهل نحن يا تُرى من الطيبين، فيقبلنا الله؟

لَنكون في الدنيا من السعداء إذا طيَّبنا أسماعنا، وطيَّبنا أبصارنا، وطيَّبنا أفواهنا ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١].

هل نحن طيبون في بطوننا وفروجنا؟ وقد قال نبينا ﷺ: «من يضمن لي ما بين لَحييه وما بين فخذيه أضمن له الجنة».

هل نحن من الطيبين فيقبلنا رب العالمين؟! ونسارع حيث النداء إلى الصلاة رجالاً؟! وإلى أول الوقت نساءً؟!

فيا إلهي.. يا رب العالمين، نسألك الثبات حتى الممات. ونسألك اللهم أن تهدينا إلى الحياة الطيبة، فنكون من عبادك الطيبين.

أنصار النبي ﷺ

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

الأمين العام للهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي